

السنة الثالث ديسمبر 2017 عدد 03

مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية  
مجلة دورية علمية محكمة

ISSN: 2437-0592



مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية  
يصدرها مخبر المجتمع الجزائري المعاصر بجامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2  
Roua Journal for Epistemic and Civilisational Studies

# رؤى

للدراسات المعرفية والحضارية

Roua Journal for Epistemic and Civilisational Studies

مجلة دورية علمية محكمة يصدرها مخبر المجتمع الجزائري المعاصر بجامعة محمد لمين دباغين، سطيف2

عدد 03

ديسمبر 2017

السنة الثالث

## المدير الشرفي للمجلة

أ.د. الخير قشي

## مدير المجلة

د. عبد الحليم ماهور باشة

## مدير التحرير

د. أحمد عماد الدين خواني

## رئيس التحرير

د. فروق يعلى

## هيئة التحرير

د. عبد الرزاق أمقران

د. عبد الكريم عنيات

د. العمري عيسات

د. دريس نوري

د. فارس شاشة

أ. د. عبد الرزاق بلعقروز

أ. د. سامية عواج

د. نور الدين مبني

د. بوجمعة كوسة

د. حسان حامي

## التدقيق اللغوي:

د. محمد غزالي

## الهيئة الاستشارية

### الأعضاء المحليون

أ.د. ميلود سفاري	جامعة سطيف2	أ.د. الطاهر سعود	جامعة سطيف2
أ.د. زراققة فيروز	جامعة سطيف2	د. بلقاسم نويصر	جامعة سطيف2
أ.د. أنور مقراني	جامعة سطيف2	أ.د. عبد العزيز بوالشعير	جامعة سطيف2
أ.د. علاوة عمارة	الأمير عبد القادر، قسنطينة	أ.د. رشيد ميموني	جامعة الجزائر2
أ.د. فضيل دليو	جامعة قسنطينة2	أ.د. ناصر جابي	جامعة الجزائر2
أ.د. جمال مفرج	جامعة قسنطينة2	أ.د. مولود عويمر	جامعة الجزائر2
أ.د. نورة بوحناش	جامعة قسنطينة2	أ.د. عبد القادر بوعرفة	جامعة وهران
أ.د. مراد زعيمي	جامعة عنابة	أ.د. طيبي غماري	جامعة معسكر
د. الشريف طوطاو	جامعة خنشلة	أ.د. محمد شوقي الزين	جامعة تلمسان

### الأعضاء الدوليون

أ.د. محمد محبوب	جامعة تونس	أ.د. محمد بوهلال	جامعة سوسة تونس
أ.د. أحمد وصال	جامعة مرمره تركيا	أ.د. رائد جميل عكاشة	IIIIT الأردن
أ.د. عدي الهواري	IFPO ليون فرنسا	أ.د. أحمد محمود السماسيري	جامعة اليرموك
د. طارق لعجال	جامعة ملايا ماليزيا	أ.د. عبد القادر بخوش	جامعة قطر

## هوية المجلة

- تتركز البحوث التي تنشرها مجلة رؤية للدراسات المعرفية والحضارية حول العلوم الإنسانية والاجتماعية (دراسات نظرية وميدانية تطبيقية).
- المجلة هي منبر لتناظر الأفكار ومحاورة مستجدات المعرفة والفكر والعلوم.
- تنشر المجلة الدراسات والبحوث التي تتوفر على الشروط العلمية وتنضبط بالأصول المنهجية.
- ترحب المجلة بكتابات الباحثين المبدعة التي تقدم إضافات نوعية.

## أهداف المجلة

- الإسهام في تنمية التفكير والبحث العلمي وترسيخ الممارسة البحثية العلمية المنضبطة.
- بناء العقلية النقدية الحوارية.
- مواكبة مستجدات المعرفة وعرضها على الباحثين والمهتمين، وإنجاز قراءات تحليلية ونقدية للإنتاج العلمي المتداول.
- فتح جسور التواصل والتكامل المعرفي بين العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- تبني أدوات البحث الجديدة التي تزيد من دقة وموضوعية العلوم الإنسانية والاجتماعية.
- ترجمة النصوص والأعمال التأسيسية والراهنة للأعلام المتخصصين في حقول العلوم الاجتماعية والإنسانية.
- فتح ملفات بحثية في موضوعات متخصصة.

## محاوِر المجلة

تنقسم المجلة إلى المحاور الآتية:

- الافتتاحية.
- كلمة التحرير.
- دراسات.
- ترجمات.
- متابعات.
- ملف العدد.
- حوارات مع شخصيات علمية مبرزة في تخصصات العلوم الإنسانية والاجتماعية.

## قواعد النشر في المجلة

رؤى للدراسات المعرفية والحضارية مجلة محكمة يتم قرار النشر فيها بناء على توصية المحكمين من ذوي الاختصاص.

■ تنشر المجلة المقالات والأبحاث التي تتميز بالأصالة والموضوعية والتي لم يسبق نشرها بأي شكل من أشكال النشر.

■ ما تنشره المجلة يعبر عن وجهة نظر صاحبه ولا يعبر بالضرورة عن وجهة نظر المجلة.

■ لا تتحمل مجلة رؤى أية مسؤولية عن الموضوعات التي يتم نشرها في المجلة، ويتحمل الكتاب كامل المسؤولية القانونية عن نصوصهم في حالة مخالفتها أو انتهاكها حقوق الملكية الفكرية للآخرين.

■ يقدم البحث- مع السيرة الذاتية للباحث- مطبوعاً على ورق في ثلاث نسخ مرفقاً بقرص مضغوط، أما الأبحاث من خارج الوطن فترسل على البريد الإلكتروني للمجلة.

■ ترتب المقالات المنشورة وفق اعتبارات فنية لا علاقة لها بقيمة البحث أو مكانة الباحث.

■ لا تعاد المواد المرسله إلى المجلة نشرت أو لم تنشر، ولا تلتزم المجلة بإبداء أسباب عدم النشر.

■ تراعى في المواد المقدمة للمجلة القواعد المنهجية والأعراف الأكاديمية؛ إذ ينبغي أن يحتوي المقال على عنوان رئيسي وعناوين فرعية وملخص باللغة العربية وبلغة أجنبية (إنجليزية أو فرنسية) في حدود 100-150 كلمة، على أن لا يتجاوز حجم المقالات 7000 كلمة، وتكتب بخط (Traditional Arabic) حجم 16، و(Times New Roman) حجم 12، بمسافة (Simple) بين الخطوط. ويراعى في التمهيش التتابع عبر كامل المقال (1،2،3،4...) على شرط أن يكون الرقم الذي يشير للتمهيش من دون قوسين.

■ كلمات المقال المفتاحية من 5 - 7 كلمات فقط.

■ توثيق البحث يكون على الطريقة المعتمدة في المجلة على النحو الآتي:

الكتب: اسم المؤلف، عنوان الكتاب بخط مغلظ، رقم الطبعة، عدد الأجزاء (مكان النشر: الناشر، تاريخ النشر)، الجزء، الصفحة.

في حالة الاستخدام اللاحق للمرجع نفسه، الاسم الأخير للمؤلف، عنوان مختصر للكتاب، رقم الصفحة.

المقالات: اسم المؤلف، عنوان المقال بين شولتين، اسم المجلة بخط مغلظ، السنة، المجلد، العدد، التاريخ بين قوسين، الصفحة.

الرسائل العلمية: اسم الباحث، "عنوان الرسالة" (الدرجة العلمية، القسم والكلية والجامعة التي نوقشت بها الرسالة، تاريخ النشر)، الصفحة.

## محتويات العدد

كلمة التحرير بقلم مدير تحرير المجلة: د. أحمد عماد الدين خواني ..... 06

### دراسات

مالك بن نبي: اختبارُ الشهادة والقربان بقلم: د. بوذن يوسف ..... 09

النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز بقلم: د. أحمد عماد الدين خواني ..... 43  
ثقافية التعصب المجنس وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) الجامعة الجزائرية أنموذجا

بقلم: د. اسمهان بلو ..... 67

التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو-تاريخية بقلم: د. فروق يعلى ..... 81  
استراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

بقلم: د. نور الدين ميني/ أ. أحمد بوعون ..... 110  
صياغة آلية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

بقلم: د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... 135  
واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر بين النصوص التشريعية

والممارسة الميدانية بقلم: أ. لبنى بن دعيمة ، د. فايزة يسعد ..... 153  
علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري

أسرة أولاد مقران نموذجا بقلم: د. لخضر بوطبة ..... 172

### متابعات

قراءة في كتاب: مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر ل: ديفيد هارفي

بقلم: د. عبد الحليم مهور باشة ..... 197

..... كلمة التحرير

## الإفتتاحية

بقلم: د. أحمد عماد الدين خواني

مدير التحرير

في عددها الثالث، تستأنف "رؤى" رحلة البحث في الفكر والإبداع، من خلال نهجها المتفتح على التنوع والاختلاف، فالمعرفة الإنسانية اليوم تشترط المشاركة والحوار بين مختلف المجالات الفكرية، لتجاوز عجزها في إدراك ماهية "الانسان" الذي أنهكته الحداثة، ف'رؤى' الفكر لا يكتمل تمامه إلا بإشراك العقل والقلب؛ بالنظر إلى ما هو محسوس في حياة الانسان، وبإدراك معاني تلك المحسوسات بحثا عن الحقيقة.

وعليه، يقدم هذا العدد مواضيع معرفية مختلفة المجالات، تعالج إشكاليات متنوعة، حيث يعيد الباحث يوسف بون طرغ سؤال "الشهادة" في كتابات مالك بن نبي، بمنهجية مبدعة "والتي تمثل أفق القارئ الضمني وفضاء إدراكه"، وفي سياق المراجعة والنقد، يبحث الأستاذ أحمد عماد الدين خواني في التناقضات المعرفية التي تعيشها النظرية السوسولوجية الوضعية اليوم، متسائلا عن مستقبلها، وبجراة الباحث المتسائل، تفكك الأستاذة اسمهان بلوم ثقافية التعصب المجنسن داخل الجامعة الجزائرية، والعلاقة الشائكة المنغلقة بين الجنسين، من جهة أخرى، يعيدنا الباحث فروق يعلى بمنهجية المتفحص للرقم والتاريخ إلى سؤال التحضر بمدينة سطيف من خلال مختلف المحطات التاريخية، ويقدم الباحثين نور الدين مبني و أحمد بوعون تصورا لاستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية ، حيث "يعتبر الوقوف على ماهية السياحة، ضرورة ملحة أمام كل باحث ومهتم بالتنمية السياحية". ومن خلال البحث عن آلية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعملة، يقدم الباحثين بن سباع صليحة وبوعزة الصالح بحثا ميدانيا لاقتراح تصور عن بيئة اجتماعية ملائمة لحماية الطفل من أخطار مجتمع المعرفة والعملة. وبين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية تعيد الباحثين بن دعيمة لبنى ويسعد فايزة طرح السؤال السيكلولوجي للتوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر. وفي سياق اكتشاف الاخر يقدم لنا الباحث عبد الحليم مهورباشا قراءة في كتاب: مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر للكاتب: ديفيد هارفي، والذي يعالج فيه الكاتب إشكالية سياسات التطوير العمراني الرأسمالي برؤية ماركسية.

..... كلمة التحرير

هنا، كلمات العرفان نقدمها للباحثين الذين قدموا أطاريح متميزة لإشكالية الانسان برؤى مختلفة ومتنوعة، ستسهم حتما في بسط طريق البحث عن المعنى، من جهة أخرى، كلمات الشكر نحملها لجميع من ساهم من بعيد أو قريب في إخراج هذا العدد؛ مراجعا أو مصححا أو ناصحا.





---

# دراسات

---

 pdfelement

**مالك بن نبي: اختبارُ الشهادة والقربان**  
**بقلم: د. يوسف بوذن**  
**جامعة الحاج لخضر باتنة 1**

**ملخص:**

تتناول هذه الدراسة سؤال الشهادة (Le témoignage) في كتابات مالك بن نبي. ولتحقيق ذلك اعتمدت على المفاهيم الأساسية لنظرية «التلقي والأثر»، كما استعملت مفاهيم سيميائية وسردية محددة. بدأت الدراسة بالإشارة إلى معنى المرحلة، ثم وضعت اعتبارات أولية قبل تقديمها ملمحا عاما عن تجربته الفكرية. وأخيرا حددت خصائص التشكيلة الخاصة لشهادته التي تُمثل أفق القارئ الضمني وفضاء إدراكه. تبين أن الشهادة استراتيجية مُركّبة تنطوي على امكانيات فعلية لبناء الوسط الحضاري.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

### مقدمة: (تحديد الإشكالية)

يكتسي موضوع الشهادة (le témoignage) أهمية معرفية بالغة. ولا تقتصر علاقاته على الجانب القانوني فحسب وإنما يتصل بعدة حقول معرفية نظرا للرهانات المتعلقة به، سواء على مستوى الحجاج الجماعي، خاصة بعد ظهور مراجعات تاريخية تقترح سرديات مغايرة وتُعيد النظر في التاريخ الرسمي. أو على المستوى الفردي، للكشف عن مسارات الذات وقيمها والتزاماتها. أما عندما ترتقي الكتابة إلى مقام الشهادة فإنها تصبح معيارا في النظر، وتُكتب حينئذ: الكتابة-الشهادة.

تكمّن راهنية الشهادة التي أدلى بها مالك بن نبي في حيوية كتابته، ومراهنته على تجديد الإنسان واقتحام "السر الذي يوّلد أو يهدم الحضارات الحالية، والحضارات المفقودة في ليل الماضي السحيق أو الحضارات القادمة"<sup>1</sup>، ولذلك اختار التفكير في المدينة غير الفاضلة، ومن الموضوع الذي وقف فيه، قدّم شهادته على حالتها المأساوية: "كنت خائفا من أن أموت في زنانات الاحتلال، دون أن أترك للجزائر، لإخواني المسلمين، تقنية للنهضة، لأنني رأيتهم مرارا يضحون بأفضل وسائلهم ووقتهم في التفاهات"<sup>2</sup>. انطلاقا من هذا المنظور، تأسست الدراسة على السؤال التالي:

- ماهي دلالات الوعد الذي قطعه مالك بن نبي على نفسه بالعودة بعد ثلاثين سنة (ما يعادل الجيل حسب ابن خلدون)، هل كان مجرد انزياح سردي، أم أن قارئنا مُختلفا كان يتبرعم في كتاباته، وتطلّب شروطا معرفية لم تكن جاهزة في حينها؟  
كما تفترض الدراسة وجود مواصفات للقارئ الضمني في نصوصه، عبّرت عنها شهادته التي يتعيّن تحديد تشكيلتها الخاصة.

وتهدف الدراسة إلى المساهمة في فهم ما يُمثّله مالك بن نبي، بعد فشل "مقاربات الشرح" في الإجابة، لافتقارها إلى نماذج في التحليل، فأعدت أفكاره بدء التشيؤ (réification). يبدو هذا جليا في أوساط الخطاب الإسلامي الذي اطمأن - فيما يبدو - إلى سرديّة التفادي

<sup>1</sup> - Bennabi Malek. les conditions de la renaissance. éditions ANEP, Alger, (2005).,p22.

<sup>2</sup> - ibid, p03.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

(narration de l'évitement)، وارتسمت في أفق حركته خطوات إنسان من طابقين: طابق أرضي يستولي عليه التراث الخام، وطابق علوي تُستعمل فيه الأفكار الحديثة - كما هي أفكار بن نبي- للتبرير، وبينهما برزخ لا يبغيان!

#### أولاً- اعتبارات منهجية:

تعتمد الدراسة أساساً على ما انجزته نظرية " التلقي والتأثير في مجال القراءة، كما وردت في أعمال كل من هانس روبرت ياوس (Hans robert jauss) وفولفغانغ إيزرر (Wolfgang Iser). وتستثمر مفاهيمها في تحديد مضمون الشهادة لدى مالك بن نبي. لقد استطاعت النظرية أن تعيد النظر في علاقتنا بالنصوص بتركيزها على كيفية تفاعل القارئ مع العمل الإبداعي. فرض هذا الانزياح النقدي مجموعة من المقدمات النظرية الأساسية:

- 1- معنى النص ليس معطى جاهزاً، وإنما يتولد من العلاقة الحوارية أو النشاط التركيبي الذي يمارسه القارئ الفعلي، ليصبح المنتج الدلالي المُحَقَّق حدثاً مؤثراً في وعيه الذاتي. فسيرورة القراءة "لا تنتهي إلى الكشف عن المعنى فقط، بل وتكشف للذات أيضاً عن تلك الجوانب من وعيها التي ظلت خفية عنها قبل مواجهتها للنص وانهماكها في تشكيل معناها"<sup>1</sup>.
- 2- يتحكم النص في سيرورة القراءة، لأن التلقي ما هو إلا "منتج ينشئه النص في القارئ، وهو منتج مسبوک بالمعايير والقيم التي تتحكم في تصور القارئ"<sup>2</sup>. فبنيات النص "تستدعي استجابة ما لنرى المقدار الذي اختاره القارئ من عناصر الإمكانيات المحيطة للنص"<sup>3</sup>. هذا المقدار يجعلنا ندرك لماذا بقيت بعض "البنيات النصية غير نشيطة في بعض الفترات في حين كانت الأخرى تحتل مكان الصدارة"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عبد الكريم شرقي، من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر. (2007)، ص 217.

<sup>2</sup> - إيزر فولفغانغ. (1995). فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة حميد لحمداني والجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس، 212.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 212.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص 212.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

3- النص ليس انعكاسا للواقع الخارجي الخام، ولكنه "يتموقع بالنسبة إلى الأنساق الدلالية السائدة في عصره باعتبارها نماذج فكرية لفهم وتأويل هذا الواقع"<sup>1</sup>. وغالبا ما يكشف عن قصور في رؤيتها، ويُعيد دمج ما عطلته تلك الأنساق.

4- أثناء القراءة، يعتمد القارئ على وجهة نظر متحركة تسمح له بتنسيق المنظورات تدريجيا، وملء البياضات (blancs textuels) والأماكن غير المحددة. وهي عملية توليفية معقدة تسفر عن نتوء تشكيلة (configuration) متماسكة حيث "تلتحم الصور في متتالية، وبسبب هذه المتتالية يصبح المعنى حيا في مخيلة القارئ"<sup>2</sup>.

5- يرى إيزر أن "القارئ الضمني" (lecteur implicite) "ليس شخصا خياليا مدرجا داخل النص، ولكنه دور مكتوب في كل نص ويستطيع كل قارئ أن يتحمله بصورة انتقائية وجزئية وشرطية"<sup>3</sup>. ومع أن إيزر حاول التفريق بين القارئ الضمني والقارئ المقصود من طرف المؤلف، إلا أننا لا نرى فرقا جوهريا بينهما. فالمؤلف حين يلجأ إلى استراتيجية نصية معينة، فهو يبني في نفس الوقت قارئاً نموذجياً، يكون جديراً بالتعااضد من أجل تأويل ملائم للنص<sup>4</sup>.

6- عرف هانس جورج غدامير (Hans-Georg Gadamer) الأفق على أنه "مدى الرؤية الذي يتضمن كل شيء يمكن رؤيته من زاوية محددة"<sup>5</sup>.

أما «أفق التوقع» فهو إجابة على السؤال: "ماذا يتوقع القارئ أن يقرأه في النص؟"<sup>6</sup>. بما أن القراءة تفاعل بين أفق القارئ وأفق النص، فيها تنصهر أفاقهما وتتقاطع بعد سلسلة من المراجعات التي يدخلها القارئ على مهاراته وقدراته المتنامية عن طريق الاستكشاف

<sup>1</sup> - عبد الكريم شرقي مرجع سابق، ص 194.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 15.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 213.

<sup>4</sup> - إيكو امبرتو. (1996). القارئ في الحكاية، التعااضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 96.

<sup>5</sup> - هولب روبرت سي. (2007). نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا، ص 109.

<sup>6</sup> - حمودة عبد العزيز. (1998). المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت، ص 322.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

والتأويل. من ناحيته، يلجأ النص إلى سجل نصي (répertoire du texte) ينتقيه من الواقع الاجتماعي والثقافي الذي يتحدث عنه. غير أنه، بعد فصل تلك العناصر عن سياقاتها القديمة، يحدد لها دلالات جديدة، ويحررها من الروابط والوظائف المألوفة. وبواسطة هذا التحويل يرسم النص أفقا، ويحمل للعالم شيئا "لم يكن موجودا من قبل"<sup>1</sup>.

حينذ، ينشأ صراع بين الطبيعة الحديثة للنص والسَّان (code) الاجتماعي والثقافي للقارئ<sup>2</sup> الذي سيجد نفسه أمام فجوة نوعية، بين معايير وتجارب السابقة وما يقترحه النص كروية للواقع الخارجي. كما أن تعريف غدامير يتضمن ضرورة أن ينتقل القارئ الحاضر إلى الأفق التاريخي للقارئ السابق حتى "يفهم كيف قرأ النص ولماذا قرأه بالطريقة التي قرأها بها"<sup>3</sup>. أما "ياوس" فيربط القيمة الجمالية للنص بالفارق الجمالي (écart esthétique) الفاصل بين أفق التوقع المتداول وأفق النص المقروء. فكلما عارض النص «أفق الإنتظار» المتداول، وأعاد النظر في مسلماته المستقرة فإنه يكون علامة على الجودة ويتحول مع مرور الزمن إلى قيمة معيارية. إلى جانب هذا، تتقرب الدراسة من اللغة الواصفة للسيمائية (سيمائية غريماس على وجه الخصوص) باعتبارها يقظة حيال الكيفية التي يقول بها النص ما يقوله<sup>4</sup>. كما أنها تستثمر مفهوم "الهوية السردية" أي "ذلك النوع من الهوية الذي يكتسبه الإنسان من خلال وساطة الوظيفة السردية"<sup>5</sup>، من أجل فهم "الحبكة الفكرية" التي اقترحها مالك بن نبي لعرض طريقته الخاصة في التموقع في الزمان والنظر في مشكلات العالم الإسلامي.

<sup>1</sup> - إيزر، مرجع سابق، ص 213.

<sup>2</sup> - إيزر، مرجع سابق، ص 213.

<sup>3</sup> - عبد العزيز حمودة، مرجع سابق، ص 324.

<sup>4</sup> - Groupe d'entrevernes. (1985). Analyse sémiotique des textes, presses universitaire de Lyon, Lyon, P07.

<sup>5</sup> - ريكور بول. (1999). الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور). ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ص 251.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

### ثانيا- سياقات العودة أو معنى المرحلة:

1- ارتبط السياق العالمي بمجموع التحولات الكونية المترابطة التي أدت بتدفقاتها وأنيتهما إلى تقلص الزمن والمكان، وسيادة النسبية الشاملة بديلا عن السرديات الكبرى والمثل العليا التي كان قد درج عليها خطاب الحداثة: "لا تستطيع الحداثة ولا تريد أن تستعير من زمن آخر المعايير التي تتوجه بها، إنها مجبرة على أن تستمد معياريتها من ذاتها"<sup>1</sup>. أدت هذه التحولات الكبرى إلى دخول المجتمعات فضاءاً امبراطوريا لا يعترف بالحدود، وإن بشرنا خطاب "مابعد الحداثة" بالعودة إلى "المحلي" والاعتراف بمختلف الروابط الصغيرة.

2- أما السياق الإسلامي فارتبط بالانفجار الكبير الذي أحدثه "الربيع العربي" في السياسة والثقافة والاجتماع. لقد نقلت الحركات الاحتجاجية الشبابية أسئلتها الوجودية إلى الشارع، واستعملت الوسائل الرقمية للتفاوض على الحاضر المحتقن، كما أحرقت جسدها علانية (محمد البوعزيزي) للدلالة على شيء كامن فيها، أقوى من الرضوخ للوضع القائم. والآن، بعد فشل جميع الخطابات والوعود، تحولت الجغرافيا الإسلامية إلى ساحة مفتوحة على العنف والتدمير الذاتي، أي إلى فضاء غير قابل للسكن.

### ثانيا- الملمح العام للتجربة: اعتبارات أولية:

1- يعترف محمد عابد الجابري بوجود فراغ مرجعي عند تناوله لمسألة المثقفين في الحضارة العربية. فئات كثيرة يمكنها الانتساب إلى زمرة المثقفين كالفلاسفة والفقهاء والنقاد والشعراء والمؤرخين والمفسرين والإخباريين... إلخ، لكننا لا نستطيع أن نحدد بالضبط مَنْ من هؤلاء يستحق أن يطلق عليه اسم المثقف لأن هذا المفهوم ينتمي إلى الفكر المعاصر.<sup>2</sup>

وبقي الإنسان العربي الذي يوصف بالمثقف مُعلقاً في الفراغ و"لا يتعرّف إلى نفسه بوضوح"<sup>3</sup>. ومع اعترافه بهذا الفراغ فإنه حاول بناء مفهوم المثقف داخل الثقافة العربية مقارنة

<sup>1</sup> - Habermas, Jürgen. (1988). le discours philosophique de la modernité, Gallimard, France , P08.

<sup>2</sup> - الجابري، محمد عابد. (2008). المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 09.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 14.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

بالأدوار التي يلعبها اليوم في الفكر الأوروبي: فهو مُعترض ومُبشر بمشروع، وشخصٌ متمردٌ ومثيرٌ للفتن في نظر الذين يريدون الإبقاء على الوضع القائم<sup>1</sup>.

وهو أيضا كائن فردي له وعي خاص ورأي خاص، ولا يظهر إلا بظهور الخلاف في الرأي<sup>2</sup>. لكن، حتى وإن سملنا بسلطة العلوم العربية في أوروبا إبان القرن الثاني عشر كما يقول، إلا أن المثقف الأوروبي يدرك، بخلاف نظيره العربي، أنه ينتمي إلى أفق جديد مرتبط بالحدثة ومؤسساتها المدنية الراسخة. وهكذا تصالح الجابري مع جميع الفئات الثقافية السابقة، ولم يأخذ بعين الاعتبار السياق الجديد الذي أحرز فيه المثقف سلطة رمزية فرضت لغة جديدة واعتقادا حيويا بقدرة الأفكار على تغيير شكل الواقع ومضمونه. بهذا الصدد، يقول علي أومليل "لقد حمل الكاتب الحديث دعوته هذه بناء على وعيه بجدة العصر، وبالإيمان بالتقدم وأن الحاضر إنما هو انتظار متجه نحو المستقبل أكثر مما هو مربوط إلى الماضي وأن التاريخ هو مختبر لصناعة المستقبل"<sup>3</sup>.

ثمة إذا إيكولوجيا متأخرة في تاريخنا، وفي كل انتظار لمجيئها يقترن وجود "المثقف" في عالمنا العربي أكثر فأكثر بالمحنة. تروي سيرة مالك بن نبي كما جاءت في مذكراته، قصة الفكرة الباحثة عن اعتراف مستحيل. اقتربت تجربته العسيرة من تعريف ابن باجة للعشيب النابت من تلقاء نفسه: "من وقع إلى رأي صادق لم يكن في تلك المدينة، أو كان نقيضه هو المعتقد، فإنهم يسمون النوابت"<sup>4</sup>.

إلا أن غربته سعيدة بالأمل، مفعمة بالخلود، ولذلك جاءت كتابته وعدا بالبقاء، يقول فتحي المسكيني: "إن التوحد هو إذن الغربية، لكن الغربية التي لا تعني ههنا أي ضرب من اللاوطن، لأن الغريب لا يعاني من أي ضرب من القلق إزاء إمكانية الموت... إن التوحد سفر

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 24-25.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 38.

<sup>3</sup> - أومليل علي. (2011). السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ص 238.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص 190.



د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

بالفكر إلى مرتبة الوطن"<sup>1</sup>. فهو لا يختار الزمن الذي يأتي فيه، لكنه يتحدث من مكان خارجي يعلو بفرادته عن جميع الأمكنة الحاضرة. يُعبّر مالك بن نبي عن هذه الكينونة المُعلقة قائلاً: "أشعر أنني هائم بلا وطن ولا مسكن. لقد شاء الله أن أولد متأخراً أو مبكراً جداً"<sup>2</sup>. أن تكون لك فكرة، لا يعني شيئاً عاماً يتعلق بالاتصال، وإنما هو حدث جمالي نادر، فعلٌ مقاومة، مقاومة الموت كما يقول جيل دولوز في إحدى محاضراته (Deleuze, 2013)، ووعده بالعودة بعد ثلاثين سنة كما كان يردد لأقاربه. لقد قربته تجربته الفكرية الاستثنائية من دائرة القربان التي لا تختار سوى الأخيار والأشراف (اسماعيل، مريم، إفيجينا، إلخ) للتضحية بهم<sup>3</sup>.

وعندما يصبح وجود الجماعة مُهدداً، يتحول القربان الشريف إلى "كبش فداء" مُدنس، تُلصق فيه جميع الأخطاء، ويُطرد خارج الجماعة لتواصل حياتها القديمة. عاش مالك بن نبي مطروداً لأنه أقلق البنية، وأثار شكوكاً وجهة عن قدرة تلك الحياة القديمة على الاستمرار الحر. وضع مسلماتها ولغتها وردود أفعالها تحت مشروط المساءلة الصارمة، وتحمل أعباء الإعلان عن نهايتها: "هنا تنتهي حدود الدورة الحضارية القديمة على إنسانها أن يتبخر ليُعاد تحويله في ظهور روعي جديد"<sup>4</sup>. ولأنه تحمل أخطاء الجماعة ببسالة، فإنه قد يُصبح مُقدساً في نظر القارئ القادم، مادامت أفكاره تعفيه من القول مُطلقاً، وهل بإمكانه أن يقول أعمق مما قاله المنبوذ؟! 2- في مقدمتها، تقترح "مذكرات شاهد القرن" على خيال القارئ مشهداً جمالياً ينقل عبر فضائه وزمانه وشخصياته السياق الذي جعلها تقع بين يدي مالك بن نبي وهي لفائف تنتظر -بلهفة- قدرها في القراءة. لماذا لجأ مالك بن نبي إلى هذا التركيب السردى ليقدم به ذاته، ثم كيف تنازل رمزياً عن موقع المؤلف وهو الشخصية المدربة على الجرأة وتأكيد الذات؟ لماذا فضل الغياب في لحظة تستدعي الحضور؟ لماذا خاطب القارئ من وراء حجاب؟:

<sup>1</sup> - المسكيني، فتحي. (1997). فلسفة النوايت، دار الطليعة، بيروت، ص 87.

<sup>2</sup> - Bennabi, Malek. (2006). Mémoires d'un témoin du siècle, enfant, étudiant, écrivain, carnets. Samar, Alger, P550.

<sup>3</sup> - الربيعو تربي علي. (1992). الإسلام وملحمة الأسطورة، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 14.

<sup>4</sup> - حاج حمد، أبو القاسم. (2004). الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، دار الهدى، بيروت، ص 297-296.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

3- لا يكتشف القارئ المتمرس "لعبة" العتبة إلا عندما ينتهي من قراءة المذكرات، فتستولي عليه حينئذ أسئلة عديدة، تشتبك مع تفاصيل التجربة المؤثرة والفائضة بالدلالات. وهي ذات الفوائض المعنوية التي دفعت عبد العزيز خالدي إلى القول في تقديمه لكتاب شروط النهضة سنة 1948: "غريبي الحديث عن أصعب سيرة ذاتية عرفتها في الجزائر وأشدها تأثيرا، غير أنني ملتزم بالإعراض عن ذلك، لأن المؤلف منعني صراحة من التحدث عنها ولو بالتلميح"<sup>1</sup>.

فضل مالك بن نبي الانسحاب الشخصي، والتأخر قليلا عن كتابتها، ونسبها لإنسان ما. فهو ليس أصل النصوص بل الوسيط الأمين الذي يتكفل بنشرها. هكذا ينفي أي فضل في تشكيلها، ولكنه يرافق ميلادها في السابع من شهر نوفمبر 1965. تبدأ الكتابة عندما يغيب المؤلف، فإن أكتب معناه " أن أبلغ عن طريق محور أولي شخصي، تلك النقطة التي لا تعمل فيها إلا اللغة وليس «أنا»"<sup>2</sup>.

إن هذا التماسف الذي أقترحه مالك بن نبي غير موقفنا من المذكرات، فهو لم يعد يُمثل ماضي ولا موضوع مذكراته، لقد تركنا وجهها لوجه معها ليختبر قدرة القارئ على إنتاج وجهة نظره، كما لو أن في هذه التقنية الحديثة إمكانية وقورة في الإعلان عن ميلاد القارئ. لقد وضع مالك بن نبي أمامنا تجربة مركبة، جديرة بالفحص المبتكر والنظر المتأن في رهانات التاريخ الجزائري والتحويلات التي كان الراوي شاهدا عليها أو فاعلا أساسيا في مساراتها.

\* تباعد المؤلف لإيمانه العميق بشروط الكتابة الحديثة، وقربه الجمالي من أساليب النصوص الأدبية العالمية في عصره. ارتبط مساره الفكري بالسرد حين تنوع منذ بدايته برواية "لبيك حج الفقراء" سنة 1948 أي بعد عام واحد من صدور كتابه الأول "الظاهرة القرآنية". ولعلمه أيضا، أن سرد الذات لا يعدو أن يكون تأويلا آخر لها، واكتشافا مفاجئا للجوانب المضمر في اللاوعي، وقد أصبحت أفعالا وممارسات في الواقع. فكل قراءة للذات هي محاولة يائسة للقبض على حقيقتها كاملة، إلى أن يأتي تمثيلها كتابةً بمثابة تأجيل إلى حين.

<sup>1</sup> - Bennabi, Malek. (2005). les conditions de la renaissance, éditions ANEP, Alger ; P09.

<sup>2</sup> - بارت، رولان. (1986). درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبدالعالي، دار توبقال للنشر، المغرب، ص86.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

\* لقد وعد مالك بن نبي القارئ بتقديمه قراءة صادقة للتجربة عبر عقد ائتماني ( contrat fiduciaire) تضمّن الدلالات الروحية للصلاة الوسطى والسجود في مشهد المقدمة. يقول عن الظروف المثيرة التي جعلت المخطوط -أي المذكرات- يقع بين يديه: " لكل امرئ ما تعود. ومن عادتي في بعض الأحيان أن أؤدي صلاة العصر في المسجد، حينما يخلو من الذين أدركوا الصلاة وراء الإمام في وقتها"<sup>1</sup>، ويضيف " وبينما أنا في سجود هذه الركعة [الركعة الثانية من صلاة العصر] تنأى إلى سمعي وقع خطوات على السجاد ورائي، فما إن اقترب صاحبها مني حتى انسحب إلى الورا. وعندما رفعت رأسي حانت مني التفاتة لاشعورية إلى جانبي الأيمن، فرأيت على مقربة من ركبتي ربطة حسنة التغليف"<sup>2</sup>. ثم يدلنا على علامة موحية بعد أن قرأ بعض صفحاته. يقدم لنا اسم من يمكن أن يكون مؤلفها: الصديق. ولم يكن هذا الاسم الذي يتكلم بلسانه في المذكرات سوى الاسم العائلي لمالك بن نبي نفسه!

4- ربط مالك بن نبي حضوره في العالم بالسردي ليستوعب المعاناة التي طبعت حياته، وليعيد بناء هويته المشتتة بالتقصي الضاري عن روح مدينة فقدت سرها. والسردي السيروي بالذات هو كما يقول جون لويس شيس (Jean-Louis Chiss) "عَوْدٌ على الماضي واسترجاع للذاكرة وامتلاكها. قد يظهر جليا في المسار الفردي، لحظة الإخفاقات أو الخيبات في المجال العام، فيحل الخاص والكتابة محل الفعل المستحيل"<sup>3</sup>. وربما ساعده طابعه العلاجي على التعايش مع الجروح المحفورة في الذاكرة، بإعادة كتابتها لا في صورة تذكرو وإنما في صيغة فعل<sup>4</sup> يتحمل المتلقي أعباء هذه المرة. فمن حق المتلقي أن يعرف ما الذي حدث ليفهم الأفق التاريخي الذي تتكلم منه النصوص، وليحافظ على تماسك زمنيته (temporalité) في أفق تاريخي لاحق.

<sup>1</sup> - بن نبي، مالك. (1984). مذكرات شاهد القرن، الطفل والطالب، دار الفكر، دمشق، ص 13.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 14.

<sup>3</sup> - Chiss, Jean-Louis. (1985). Raconter et témoigner : le vécu à la croisée du théorique et du politique. Pratiques, N°45. P. 26.

<sup>4</sup> - ريكور، بول. (2016). الذاكرة والسردي، حوارات، ترجمة سمير مندي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان، ص 33.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

ولعله حق يُعبر عن الاستدراك الحيوي الذي أشار إليه مالك بن نبي عندما قال: "الأجيال تتعاقب لكنها لا تتوارث"<sup>1</sup>. قبل أن يغادر الجزائر في سبتمبر 1939 تحداها قائلاً: "إيتها الأرض الملعونة! لن تريني أبداً إلا إذا أصبحت حرة"<sup>2</sup>، والتزم بنشر مذكراته بعد مرور ثلاث سنوات على الاستقلال سنة 1962، وهو الحدث- الدافع الذي اعتبره حدثاً شخصياً قادراً على تركيب الذات، ذاته هو. جاءت تجربة مالك بن نبي الفكرية على شكل حبكة أو كلية زمانية كما يقول ريكور<sup>3</sup>، أين رسم بالأحداث وسياقاتها التاريخية مساراً سردياً واحداً، نسج حكايةً واحدة بها، واستخرج من تعاقبها تشكيلة (configuration) فريدة تعبر عن شكل شهادته. يبدو ذلك جلياً في دفاتره (1958-1973)<sup>4</sup>، التي تشابك فيها مساران سرديان، مسارٌ شقيّ بالإكراهات ومسار آخر سعيد بالأمل: مسار المطابقة ومسار وعود الذات. وهما المساران اللذان سيرسخان القلق والإحساس المفرط بالقهر في ديمومته:

مسار وعود الذات	كتب، مقالات، محاضرات، أسفار
الحبكة السردية	
مسار المطابقة	تضييق، مصادرة، إزعاج، تشكك

عند هذه العتبة، يُسعدنا الفيلسوف الفرنسي بول ريكور بمفهوم «الهوية السردية» نقرأ به الدلالات المرتبطة بالمسارين. يرى بول ريكور أن هناك نموذجين للهوية: الهوية كمطابقة (la mêmeté) من جهة، والهوية كذاتية (l'ipséité) من جهة أخرى. من خلالهما، تبدو الهوية الشخصية المكان المناسب للمواجهة بين هذين الاستعمالين للهوية اللذين يعبران عن نوعين من البقاء في الزمن<sup>5</sup>. تتم المطابقة عن طريق الطبع (le caractère) باعتباره نواة تتكون من

<sup>1</sup> - Bennabi, 2006. op-cite, p488.

<sup>2</sup> - Ibid, p320.

<sup>3</sup> - ريكور 1999، مرجع سابق، ص 42.

<sup>4</sup> - قامت دار "سمر" سنة 2006 بنشر مذكرات مالك بن نبي: الطفل (1905-1930)، الطالب (1930-1939)، الكاتب (1939-1954) إضافة إلى دفاتره المشار إليها. وقدمها نور الدين بوكروح. كما نشرت دار الأمة سنة 2006 الجزء الأول من العفن (1932-1940) ترجمه نور الدين خندودي.

<sup>5</sup> - (Ricœur, Paul. (1990). soi-même comme un autre, éditions du seuil, Paris, p140.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

مجموعة من الوضعيات التمييزية الدائمة التي نتعرف بها على الشخص بصفته هو. وتتدخل العادات لتؤسس الطبع كحكاية ذات معنى بواسطة الاختيارات والتقييمات الثابتة<sup>1</sup>. إشكالية المطابقة هي البحث عن ثابت علائقي أو مقوم ثابت (substrat immuable) يدل على ديمومتها في الزمن<sup>2</sup>. في حين تتم الذاتية عن طريق الوفاء لوعدها ما (tenir sa parole) يتحدى الزمن ويقتضي الإنجاز لأنها تبحث عن ديمومة الذات (le maintien de soi) في دينامية المكتسبات، حيث تفتح فجوات للمعنى يتعين معالجتها<sup>3</sup>. تأتي الهوية السردية كوساطة بين المطابقة والذاتية لبناء "نوع من الهوية الدينامية المتحركة الموجودة في الحبكة التي تخلق هوية الشخصية"<sup>4</sup>. لقد اختار مالك بن نبي مسار الذاتية الذي يقترح ويسعى إلى التحرر من أغلال التكرار والتعاقب، حتى وإن كان مسار المطابقة القاسي ينتزعه في كل مرة من تدفق السيرورة المهمة، ويقذف به في أتون الإكراهات اليومية.

كانت المطابقة في نظره تعني إبقاءه في حالة الإضمار، أي إفراغ تجربته من محتواها الاستثنائي. ولعلها الوضعية ذاتها التي تمر بها علاقة العالم الإسلامي بالغرب اليوم. حيث نجد هذا الأخير يتدخل في كل منعطف تاريخي لإعادة المجتمعات الإسلامية إلى كمونها الأول، وحرمانها من نقاط ارتكاز جديدة تؤهلها إلى اكتشاف ذاتها. يقوم عمليا بتفكيك حبكتها بإدخال مكوناتها وقواها في تناقضات لا تنتهي.

يبدأ المسار الفكري لمالك بن نبي (رسم رقم: 01) بالبحث عن سند ذاتي عميق على الرغم من وجوده سنة 1944 في المعتقل إبان الاحتلال الألماني لفرنسا. يلجأ إلى سردية كبرى، عابرة للزمن (القرآن الكريم)، في سياق الوجودية والعدمية بعد الحرب العالمية الثانية: "الشعوب التي

<sup>1</sup> - Ibid. p146.

<sup>2</sup> - Ibid. p143.

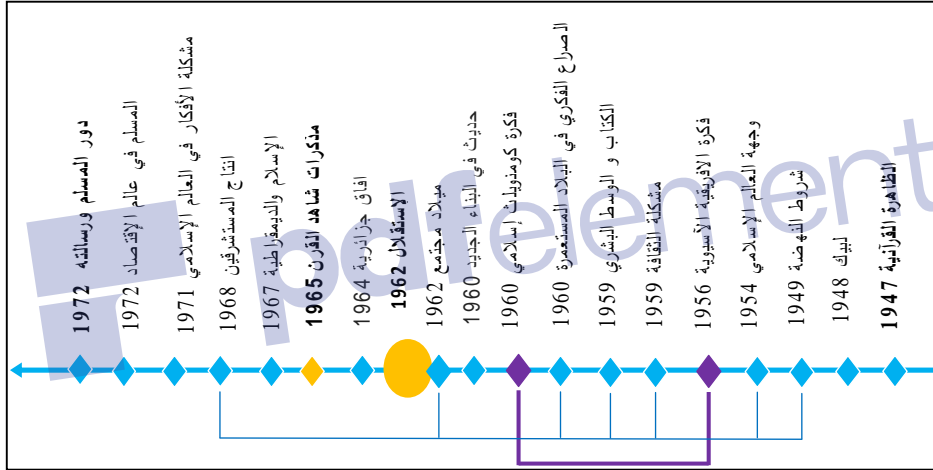
<sup>3</sup> - Ibid. p150.

<sup>4</sup> - ريكور 1999، مرجع سابق، ص 260.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

تعيش على محور واشنطن موسكو بدأت تشعر جميعها بنفاد مصيرها الثقافي... وبدأت تجري عمليات تعويض في شتى الميادين<sup>1</sup>.

وهذا ما يبرر كتابه الظاهرة القرآنية (1947) في البداية ثم العودة في نهاية المسار إلى ذات السند "دور المسلم ورسالته في الثلث الأخير من القرن العشرين (1972). أصر على إدراج القرآن الكريم في التاريخ بصفته نداء الحقيقة الكاملة (اختبار الخاتمية). في فترة يصفها بأنها "تلك الفترة من التاريخ التي تتجمع فيها كل روافد التاريخ بكل نتائجها النفسية والاجتماعية والسياسية والعلمية"<sup>2</sup>. ولكنه لا يطرح الأمر "من قبيل الاسترجاع وإنما من قبيل الدفع الروحي الجديد في واقع متغير جذريا وإنسان متحول"<sup>3</sup>.



رسم رقم 1: الحبكة الفكرية في تجربة مالك بن نبي

تأسست الحبكة الفكرية على مناورة أولى: تأسيس مرجعية إيديولوجية. حيث يرى أن دورها "خاصة في مرحلة الثورة السياسية أو الصراع الاجتماعي هو تأطير الطاقات المشاركة في هذه الثورة أو في هذا الصراع. ينبغي في المقام الأول الحفاظ على «الخط» الثوري في كامل نقائه

<sup>1</sup> - بن نبي، مالك. (2006). مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق، ص 161.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 160.

<sup>3</sup> - أبو القاسم حاج حمد، مرجع سابق، ص 294.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

بعيدا عن الشوائب التي يمكن أن تلتصق بها لاحقا... الإيديولوجيا هي تآطير الأشياء والأفكار والأشخاص بحيث لا يخرج شيء عن نوع معين من الفعل المنسق"<sup>1</sup>.

فالمرجعية الإيديولوجية تعيد النظر باستمرار في الواقع، تحافظ على القوة المحركة الأولى، تدمج الإرادات وتحدد وجهتها. وهذا ما يبرر المضامين الواردة في كتبه: «شروط النهضة» (1949)، «وجهة العالم الإسلامي» (1954)، «مشكلة الثقافة» (1959)، «الكتاب والوسط البشري» (1959)، «الصراع الفكري في البلاد المستعمرة» (1960) الذي فكر في عنوانته بـ «مذكرات مناظر على الجبهة الفكرية».

بالإضافة إلى أن كتاب «وجهة العالم الإسلامي» تضمن جزءا ثانيا خصصه للمسألة اليهودية، يعرض فيه نموذج الفعالية الذي استطاع أن يحافظ على استمراريته ويحقق عودة مظفرة في القرن العشرين. وهي المسألة التي حلل أبعادها أبو القاسم حاج حمد في كتابه المعروف "العالمية الإسلامية الثانية" وقابل بين خصائصها وخصائص التجربة الإسلامية القادمة.

ثم تلتها مناورة ثانية، رسم فيها حدود المجال الذي تنطلق منه الفكرة. يمثل المجال «فضاء المعنى» الذي يتجاوز الجغرافية الإسلامية. يُعرّف زكي العايدي هذا الفضاء فيقول: "في الواقع، وعلى المدى الطويل، سيتحقق الاستقرار النسبي للنظام العالمي مع ظهور فضاءات للمعنى. يمكن أن يُعرّف فضاء المعنى كمجموعة من القيم والمصالح الخاصة بمجتمعات سياسية غير متساوية وغير منسجمة ولكنها تطمح جماعيا إلى أن ترى نفسها في خضم الديناميات الثلاث للسياسة العالمية: حقل التبادل «السوق»، حقل الرموز «الهوية» وحقل الأمن «الاستراتيجية».

خلف هذه الفكرة يكمن نوع من المفتاح المزدوج الهوياتي والسياسي، ولا يظهر إلا عبر الإرادة الجماعية والحد الأدنى من الإجماع. في عالمنا اليوم، هناك أربعة فضاءات ينطبق عليها هذا التعريف: الفضاء الأمريكي، الأوروبي، الإسلامي والأسويي"<sup>2</sup>. وهذا ما يبرر كتبه «فكرة الإفريقية

<sup>1</sup> - Bennabi, 2006. Op-cite. p 482.

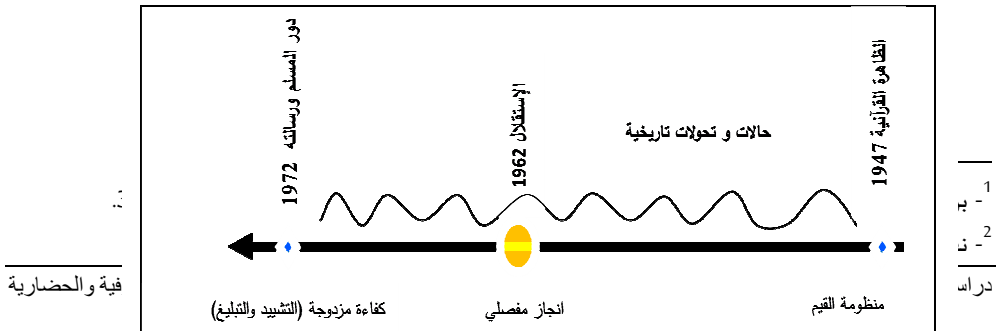
<sup>2</sup> - Zaki Laïdi, (1996), Espace, vitesse et sens à l'heure de la mondialisation, Politique étrangère, Vol. 61, N° 1, p18.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

الأسبوية» (1956) ثم العودة إلى المجال الإسلامي من خلال كتابه «فكرة كومونولث إسلامي» (1960).

من يقوم بأعباء المشروع التغييري؟ تتضمن الحبكة فاعلا نخبويا يتبنى البرنامج السردى (مجموع الحالات والتحويلات) لإنجاز ذاته والارتقاء بجهوده إلى مستوى الحضارة عبر اختبارات تأهيلية عسيرة: "إن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يُغَيِّر الفرد من كونه فردا (individu) إلى أن يصبح شخصا (personne) وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع"<sup>1</sup>. وهنا تطرح مسألة الفاعل الجماعي (acteur collectif): "ففعالية الأفكار تخضع إذن لشبكة العلاقات، أي أننا لا يمكن أن نتصور عملا متجانسا من الأشخاص والأفكار الأشياء دون هذه العلاقات الضرورية، وكلما كانت شبكة العلاقات أوثق، كان العمل فعلا مؤثرا"<sup>2</sup>.

وهذا ما يبرر كتاب «ميلاد مجتمع» (1962) قبيل الاستقلال لنقل الوجود الاجتماعي من حالة الإضمار إلى حالة التحقق، أي من الإرادة إلى القدرة والإنجاز. حتى وإن ارتبط مالك بن نبي بالتوجهات الكبرى للمجتمعات كما قلنا سابقا، فهو لا يناقض السوسيولوجيا التي تركز بالتحديد على دور النخب والحركات الاجتماعية، لأن الفعل التاريخي الذي نظَّره يقتضي شكلا معيناً من الدينامية، ويتجلى حتما في عمل الفاعلين الاجتماعيين الذين يشتركون في أهداف محددة، من أجل تغيير أوضاع يرونها غير مناسبة لمجتمعاتهم (رسم رقم: 02). يبدو أن توجهها موازيا كان يُنسج في شبكة علاقاته السياسية، خاصة مع القيادات العربية آنذاك - لا تسمح نتائج الربيع العربي بذكر أسمائها الآن- لدفعها إلى تبني أفكاره كمرجعية نموذجية قادرة على تحرير الواقع العربي والإسلامي.





د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

### رسم رقم 2: مسار الرغبة للفعل الحضاري حسب مالك بن نبي

اعتبر مالك بن نبي الاستقلال حدثاً مفصلياً في تاريخ المجتمع الجزائري. عاد من منفاه سنة 1963 ليواصل عمله على جبهة الصراع الإيديولوجي، ومقاومة المسارات السردية المنافسة، التيار اليساري على وجه الخصوص، وأطروحات المستشرقين. وهذا ما يبرر كتبه: «آفاق جزائرية» (1964)، «الإسلام والديمقراطية» (1967)، «انتاج المستشرقين» (1968)، «المسلم في عالم الاقتصاد» (1971). علماً بأنه استأنف كتاب «مشكلة الأفكار» (1971) الذي توقف عن كتابته في جانفي 1960. ويضيف (الثقافة المضادة) سنة 1972 لكتابه (مشكلة الثقافة) (1959).

وهكذا، يفتح المسار بحدث مؤسس أدخل منظومة القيم الدائمة حيز التنفيذ، واختتمه بطوبى إيمانية تضع مثال "الأمة المرشدة" على محك السيرورة العالمية، وبينهما الجهد المبذول في التاريخ لتحقيق هذا الوعد.

### رابعاً- التشكيلة الخاصة للشهادة: أفق القارئ الضمني وفضاءات الإدراك:

1- الشهادة مُساءلة للتجربة لأنها ترفض غلق الماضي على رواية الأمر الواقع. وهي مخاطرة بالمصادقية لأنها عرضة للخطأ أو التلاعب. أن تشهد يعني أنك تبني "شروط الإيمان بأقوالك الخاصة"<sup>1</sup>، وإلا سقط العقد الإيمانية الذي يجمعك بالشاهد.

يلجأ مالك بن نبي في مذكرات «العفن» إلى ما يضمن نزاهة شهادته وموضوعيتها وجدواها، فيقول: "إن هذا الكتاب شهادة أنوي تركها للأجيال القادمة. غير أنني أكتب بطريقة تسمح لجيلي نفسه أن يعرفها ويناقشها وينتقدها. فهي شهادة لن تكون ذات قيمة إن لم تعرض على

<sup>1</sup> - Sicard, Monique. (1999). Qu'est-ce qu'un témoin ?, Les cahiers de médiologie, vol.2, N°8, p.75.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

أنظار معاصري كاتبها. إذ بخلاف ذلك فلن تكون إلا كذبا اختلقه صاحبها لنشره بعد رحيله أو شهادة مهوس بعقدة الاضطهاد او طالب شهرة بعد الوفاة"<sup>1</sup>.

ثم تتابع حالة النفس (état d'âme) إصرارها على البقاء لكشف الحقيقة ورفض الشرط التاريخي المأساوي الذي لم تختبر المجيء فيه، ليقول: "فأنا أرمي هذه الشهادة إذن في وجه الأهالي (indigène) في بلادي كشهادة احتقار وازدراء"<sup>2</sup>، ولا يُستدعى طرف ثالث للشهادة أو يبادر هو من تلقاء نفسه كما فعل مالك بن نبي، إلا عندما يكون هناك نزاعٌ على الحقيقة.

ولا يكتفي الشاهد حينئذ بالقول، ولكنه يعتقد أن تدخله حاسم في استجلاء الحقيقة الكاملة. والشهادة أساس التحقيق والمحاكمة، بدونها يبقى الحدث التاريخي خارج الوعي. تبرز القيمة الأخلاقية للشهادة في دعوة مالك بن نبي قبيل الاستقلال (11 فيفري 1962) إلى فتح تحقيق شامل (enquête) حول إدارة الثورة من الناحية السياسية والعسكرية والمالية. يتبنى في "شهادة من أجل مليون شهيد" أسلوب المرافعة الصريحة، ويقاوم بالكتابة الحادة مناورات «الزعماء» السياسية التي كانت- حسب رأيه- تبديدا لمجهود الشعب الجزائري التحرري، وتحريفًا لوجهته.

الأمر الذي يؤدي إلى تقويض أسس البناء الجديد بعد الاستقلال. يقول: "هذا هو الوضع الذي يجب على الشعب الجزائري أن يعرف حقيقته الآن، كي لا يرتكز بناؤه السياسي والاجتماعي بعد الاستقلال، على أرضية تغرق فيها الأقدام في الخيانة والخداع والسفاهة"<sup>3</sup>، وفي ذروة الشهادة، يقدم الشاهد نفسه قربانا لقضية محددة، يُغيّر اسمه، يُسمى شهيدا، عندما تصبح الحياة ثمنا لاختبار القناعة كما يقول ريكور.

فالشاهد لا يصير شهيدا إلا إذا كان شاهدا إلى آخر المطاف. ينبغي أن يموت المخلص لقضيته العادلة بمقت الجموع والأقوياء"<sup>4</sup>، لأنه ينتمي "للقدر التراجيدي للحقيقة"<sup>1</sup>. لقد عبر

<sup>1</sup> - بن نبي، مالك. (2007). العفن 1932-1940، ج1، ترجمة نور الدين خندودي، دارالامة، الجزائر، ص 18.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 18.

<sup>3</sup> - Bennabi, Malek. (2010). témoignages sur la guerre de libération. Éditions alem el afkar, Alger. p63

<sup>4</sup> - Ricœur, Paul. (s.d). herméneutique du témoignage, p 42-43.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

مالك بن نبي عن هذه الخاتمة بضمير هادئ: "أنا لا ألوم نفسي على شيء: أظن أنني الإنسان الوحيد في هذا القرن الذي ذهب إلى النهاية في مقاومته"<sup>2</sup>.

2- يُبرز مالك بن نبي الجانب النضالي للشهادة الجماعية "من أجل كل الشعوب يكون شعب ما شاهداً"<sup>3</sup>. ويربطها بالدور الذي حدده القرآن الكريم للأمة الإسلامية: "لتكونوا شهداء على الناس" (البقرة، 143). ثم يواجه المتلقي بسؤال مُحرَج، قريب من التهمة: "هل المجموعة الإسلامية مؤهلة لأداء على نحو ملائم، دور الشاهد والفاعل في مأساة الحضارة الإنسانية؟"<sup>4</sup>، عندما لاحظ أن أحداث التاريخ المتسارعة قد فرضت تركيزاً للقوة، دون أن يكون لهذه المجموعة أي دور فيها، الأمر الذي قد يؤدي إلى اندفاع عشوائي نحو ثورة تأتيه من الخارج أي ثورة لن يكون في مقدوره التحكم فيها"<sup>5</sup>، غير أنه قبل أن يلعب أي دور رسولي، لا بد أن يكون لديه:

\* مكان خاص (lieu propre) يُميّز الذات عن الآخر ويعطيها الإحساس بالهوية المستقلة عن التغيرات والمقاومة للاندثار. فالخاص كما يقول ميشيل دو سارتو هو "انتصار المكان على الزمان"<sup>6</sup>.

\* النظرة الشاملة (panoptique) للقوى الخارجية وتقديرها لإدراجها في الخطط والحسابات الأولية. أي استعمال البصر النسقي لمراقبة ما يجري في المكان وتجزئته إلى وحدات يمكن قراءتها لاستباق الأفعال والتدابير اللازمة لضمان التفوق والسيطرة.<sup>7</sup>

<sup>1</sup> - Ibid, p43.

<sup>2</sup> - Bennabi, 2006, op-cite, p 520.

<sup>3</sup> - Ricœur, s.d, op-cite, p 44.

<sup>4</sup> - Bennabi, Malek. (2015). Mondialisme. éditions benmerabet, Alger 44.

<sup>5</sup> - بن نبي، مالك. (1990). فكرة كومنويلث إسلامي، دار الفكر، الجزائر، ص 12.

<sup>6</sup> - دو سارتو، ميشال. (2011). ابتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر، ص 93.

<sup>7</sup> - نفس المرجع، ص 93.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

وخلافا للاستراتيجية التي تعلن عن نفسها عن بعد، في المعاني والتوجهات الكبرى، تنغمس التكتيكية في الواقع، ولا تعتمد على مكان خاص، وإنما تراهن على الزمن لاحتلال مكان الآخر أو التسلسل إلى مواقع استراتيجيته، ولو لفترة وجيزة، ثم تغير حيلها العملية وتدابيرها الآنية حتى تتمكن من الانتقال إلى مستوى آخر من مستويات الهدف. كما أنها "تراهن على الحقل المفروض عليها كما ينظمه قانون قوة أجنبية. ليس لها الوسيلة للمكوث بعيدا في وضعية منعزلة أو في وضعية التنبؤ ولم الشمل: إنها حركة "داخل مجال الرؤية للعدو" كما كتب فون بيلوف وداخل المكان الذي يراقبه"<sup>1</sup>.

فبإمكان الضعيف أن يغتنم المواقع الظرفية في صمت، وهو في دائرة نفوذ القوي، لاكتساب الأداء الخاص به، وقلب موازين القوى لصالحه. بهذه النظرة، يقوم مالك بن نبي بتغريبنا (dépaysement) عن أنفسنا القديمة، وابعادنا عن عادات التفكير المكرر. وهنا يبرز أثر الترييض<sup>2</sup>، والنمذجة (modélisation) الذين استندت عليهما التقاليد الفكرية الغربية في فكره. لا يخفى علينا أن التفكير الإغريقي صمم الفعالية على شكل نموذج، يبدأ بتحديد الهدف نظريا ثم يعمل على إيجاد الوسائل المناسبة لإدخاله وتطبيقه في الواقع وفقا لهذه العلاقة:

النموذج ← الإنجاز

إضافة إلى ذلك، يقدم لنا مالك بن نبي عرضا (une offre) مُغامرا ويدعونا إلى اعتماد الحيل الذكية للاستفادة من كمونات الوضع، والإبحار (surfer) حسب الموجة التي تدفعنا أكثر نحو الامام<sup>3</sup>. وهي دعوة تراهن على التغيير الإسرائلي الصبور. يتقاطع هذا التصور مع اقتراح الفيلسوف الفرنسي فرونسوا جوليان (François Jullien) الذي قلب هندسة اللقاء بتبنيه جدلا شيقا بين الثقافات.

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص94.

<sup>2</sup> - يقول مالك بن نبي في مذكراته "... كنت أريد أن أفهم كل شيء: الجبر والهندسة والفيزياء والميكانيكا... ولم يكن الأب مورو قد فتح امامي باب مدرسة معينة، بل فتح لي باب عالم جديد يخضع فيه كل شيء للقياس حيث مهارات الدقة والملاحظة والعمل..." (1984، 161، 162).

<sup>3</sup> - Jullien, François. (2007). L'art de la Guerre expliqué à l'Occident, p06.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

نجدّه يدافع عن مفهوم "الفارق" (l'écart) بدلا من مفهوم الاختلاف (différence) لترتيب علاقة مثمرة بين الثقافات باعتبارها روافد ومنابع (sources) وليست عوالم هوية مغلقة. وإذا سلمنا بأن الاختلاف ينطلق من موقف تمييزي وتصنيفي، فإن "الفارق" ينطلق من مسافة استكشافية لا تجيب عن حاجة هوية، ولكنها تفتح فضاءا للتحديق المتبادل (dévisagement réciproque) بين الثقافات التي تتحوّل إلى خصوبات (fécondités) لا متناهية. وتقومُ بتنشيط التوتربين ما كان يبدو منفصلا في البداية<sup>1</sup>.

ولعل أفضل ما يمكن اختياره من الأمكنة لإدارة التوتير، هو مكان المفهوم، لسبب جوهري هو أن "الانطلاق من المفهوم للاشتغال عليه هو الذي يتيح الوصول إلى درجة من الوعي الذاتي بالوضع الوجودي والحضاري، وليس الانطلاق من الهوية أو القومية أو المذهبية للوصول إلى المفهوم... وعندما يكون الاشتغال على المفهوم، فإن هذا الأخير يضيء السبيل النظري نحو إعادة التفكير في الشرط القومي أو الهوي بالابتعاد عن هوسه وقصره في النظر"<sup>2</sup>.

3- يضع مالك بن نبي شروطا للشاهد للتحقق من قيمة شهادته:<sup>3</sup>

- الحضور في عالم الآخرين
- الاتصال بأكبر عدد من الذوات البشرية ومشاكلها
- احتضان الأمكنة البعيدة لتحضن الشهادة أقصى كم ممكن من الوقائع والأحداث.
- التأثير على الأشياء وعلى أعمال الآخرين.

من خلال هذه الشروط، يتضح استبعاده للرؤية الهوية، ونزوعه نحو القُرب الحيوي، باقتراحه ضربا من الهجرة يقلب البدايات بمسّ الغيرية أو بصدمة الفارق الحضاري. ولئن أحال في كتاباته إلى نماذج معينة في التجربة الإسلامية الماضية فإنه لا يعتبرها تجربة قالت

<sup>1</sup> - Ibid, p07.

<sup>2</sup> - الزين، شوقي محمد الزين (2018). نقد العقل الثقافي، مدارج، الجزائر، ص 07.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي، 1990، ص 72.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

كل شيء. لقد أعلن "شهادة الوفاة للدورة الحضارية السابقة قاطعا خط الاستمرارية بالشكل التراثي التقليدي"<sup>1</sup>.

وبناء عليه يستدرج المسلم الحديث إلى أفق حضاري واسع، ينفصل تدريجيا عن التفكير المنطوي على خبراته القديمة. يقدم واقع الثقافة الإسلامية دليلا حاسما على ميلها إلى لعب دور الحارس الذي "يكتشف ويُبطل بسرعة فحاح الصيادين المخالفين للقانون، ويمنع الصيادين الأجانب من الدخول إلى ملكيته بطريقة غير قانونية. تقوم مهمته على اعتقاد بأن الأشياء تكون أفضل عندما لا يتدخل"<sup>2</sup>. لم تتدرب بعد على لعب دور البستاني الذي يعتقد بأن النظام في بستانه مرتبط بمجهوداته واهتمامه اليومي، فهو يتعرف بصفة دائمة على أجود النباتات التي يجب أن تنمو، كما يتعرف على الحشائش الضارة التي يجب اقتلاعها من جذورها<sup>3</sup>.

فالمكان الخاص لإنسان ما بعد الموحدين استسلم لأفق الحارس المكلف بتدبير شؤون الصراعات الهوية ببسالة البلاغة الهشة وسرديات الموت قبل الآوان. أما الحضور في أفق الآخرين فهو ارتقاء نفسي يؤدي إلى تغيير محسوس في بنية وسيرورة المجتمع. في مقارنته لمسألة التغيير، يضع غي روشي (Guy rocher) أربعة ضوابط لتعريفه حتى لا نقحم كل ما يحدث في المجتمع ضمن التغيير الاجتماعي، وهي كما يلي<sup>4</sup>:

- أنه ظاهرة جماعية تؤثر على أنماط العيش والتفكير لقطاع واسع من المجتمع.
- أن يكون تغييرا شاملا في البنية الاجتماعية كما في حالة الثورات، أو في بعض مكوناتها الأساسية، مع إمكانية ملاحظة ذلك وتحديده عبر الزمن من خلال نقطة مرجعية ندرك بواسطتها الفرق بين الوضع السابق واللاحق.

<sup>1</sup> - أبو القاسم حاج حمد، 2004، ص292.

<sup>2</sup> - Bauman, Zygmunt. (2005). Les usages de la peur dans la mondialisation: Entretien avec Zygmunt Bauman, Esprit, vol.7, N° 316, p96.

<sup>3</sup> - Op-cite. P96.

<sup>4</sup> - Rocher, Guy. (1968). introduction à la sociologie générale, le changement social, tome3, éditions HMH, Paris , p20-21.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

- أن يتصف بالديمومة أي أن التغيرات يجب ألا تكون سطحية أو عابرة.

- وأن يؤثر على المسار التاريخي للمجتمع.

وهي ضوابط يجب أخذها بعين الاعتبار لرصد التغيرات النوعية المطلوبة. أما الاكتفاء بالأدوار البسيطة للكائن الأميبي، فهو بمثابة غياب فادح يؤجل ميلاد رؤية إيجابية للعالم ويؤدي لا محالة إلى التدمير الذاتي.

لا يخشى مالك بن نبي من ضياع الهوية -هويته هو أو هوية النص- عندما تتعالق نصوصه مع الفكر العالمي، ولا يلجأ إلى استراتيجية التناس (intertextualité) للتواصل مع خبراته المعرفية فحسب، وإنما لإزاحتها من مكانتها بالنقد والتحويل. فقدرة الكاتب على التفاعل مع نصوص غيره، كما يقول سعيد يقطين لا تتأتى إلا بـ «امتلاء» خلفيته النصية بما تراكم قبله من تجارب نصية، وقدرته على تحويل تلك الخلفية إلى تجربة جديدة قابلة لأن تسهم في التراكم النصي القابل للتحويل والاستمرار بشكل دائم<sup>1</sup>.

كما أن هذه الوساطة الحيوية من وجهة نظر جوليا كريستيفا "ليست حضوراً شكلياً لنص في نص آخر كما أنها ليست تقليداً أو إعادة إنتاج وإنما تحويلاً وإبدالاً للعلامات المستعارة"<sup>2</sup>. يبدو التعالق جلياً في كتابه "وجهة العالم الإسلامي" الذي استند فيه على ما جاء في كتاب "الاتجاهات الحديثة في الفكر الإسلامي" للمستشرق الإنجليزي هاملتون جب، وعده مرشداً ثمينا لكتابه "لدراسة الأمراض «شبه الصبانية» في العالم الإسلامي"<sup>3</sup>.

تبقى هذه الاستراتيجية حيوية في نصوصه لكونها ممارسة مغامرة، تقاوم المركزية الغربية وتحفز النقد الذاتي لتبني وعيا تاريخيا قائما على الإشكاليات السياقية. وعلى هذا الأساس، يأتي إقحام الآخر في الذات لجعلها "تواجه نفسها وتعارض مع ذاتها"<sup>4</sup>، لتفادي مآزق الخطاب الهوي المتسامي، الذي يكرس العطالة الفكرية والكساد الثقافي. ولعلها المسافة الخطابية -

<sup>1</sup> - يقطين، سعيد. (2005). الرواية والتراث السردى، رؤية للنشر والتوزيع، القاهرة، ص 18.

<sup>2</sup> - Piégry-gros, Nathalie. (1996). introduction à l'intertextualité, Dunod, Paris, p10-11.

<sup>3</sup> - بن نبي، مالك بن نبي. (1986 أ). وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر، ص 21.

<sup>4</sup> - بنعبد العالي، عبد السلام. (2006). في الترجمة، توبقال، المغرب، ص 33.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

الجمالية في الأساس- التي أرساها مالك بن نبي في جميع نصوصه لتحدي القارئ في تجربته المألوفة وتحريضه على "إزالة الأنقاض قبل البدء في عملية البناء"<sup>1</sup>. وترتكز هذه المسافة على عاملين أساسيين:

- ربط أفق القارئ بموضوع قيمة (Objet de valeur) غير معهود: الحضارة.  
- استعمال لغة لازعة، مكثفة وموجهة (اللغة النيتشوية الصاعقة)<sup>2</sup>: يضع في يد القارئ مطرقة نيشتة لهدم التماثيل التي أشار إليها في انشودته الرمزية<sup>3</sup>. ولا يضيف "شيئا" إلى قائمة الأشياء المقدسة في حياته، وإنما يقدم له أداة منهجية في التحليل والعمل والتوقع.  
بهذا المعنى، يتكون الوسط «وكذلك جعلناكم أمة وسطا» (البقرة، 143) تزامنيا، كبيئة تنصهر فيها آفاق جميع الروافد لتشكل إيكولوجيا متكاملة. قابلة للخروج، لعرض خبرتها على العالم كحاجة حيوية لتدبير العمران البشري. ومن ثم فإن الفكرة الإسلامية تبدو في أساسها كائنا جوانبا (une intériorité) بالنسبة لأفكار العالم لنزوعها نحو التطهير والإدماج لا الإقصاء، بناء على هذه الجدلية الدائرية:

الشهادة ↔ الوسط ↔ الخروج

فعبقرية الخروج مشروطة بكفاءة وجمالية الوسط المشروط هو الآخر بنوعية الشهادة.  
4- يعترف وليام زرتمان (William Zartman) بأننا نعيش عصر التفاوض وبأن مجتمعاتنا هي مجتمعات التفاوض بامتياز<sup>4</sup>. يُسمى ناتج القرار الجماعي أو الاتفاق المبرم بين المتفاوضين

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، 1986، ص 56.

<sup>2</sup> - يروي بن نبي في مذكراته حادثة طريفة تتعلق بصديقه الطبيب خالد بن عبد العزيز الذي كان تحت تأثير أحد المراقبين اليساريين، فما كان من مالك بن نبي إلا أن عرّفه بالفيلسوف الألماني نيشتة، ولم يفكر إطلاقا في أن يقدم له كتابا في الإسلام مثلا. راجع:

Bennabi, Malek.(2006). mémoires d'un témoin du siècle, Samar, Alger, p.238

<sup>3</sup> - بن نبي، مالك.(1987). شروط النهضة، دار الفكر، الجزائر، ص 19.

<sup>4</sup> - Alain, Sophie. (2009). Penser la négociation aujourd'hui. Négociations, vol. 12, N° 2, p11.



د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

بالصفقة الاجتماعية (transaction sociale) وهي مجموعة من الأفعال التفاوضية" التي تواجه  
الوضعية الفردية وتستدعي المداولات والتعديلات والمساومات والموازنة بين المنافع والأخطار"<sup>1</sup>.  
ولعلها المداولات التي تُفقد الهوية معناها الجوهراني لتصبح أثرا حيويا لمنظومة الأفعال تلك  
والرهانات المتعلقة بها. وهذا ما يحدث في المجال الثقافي على وجه الخصوص، عندما تلتقي  
مختلف الثقافات لتتصارع على المواقع وتستميت في الدفاع عن قيمها أو لتعزيز فرص التبادل  
المشترك. فبعد كل عملية تفاوض ثقافي، فردية او جماعية، تنتقل الأفكار والمعايير من طرف  
وتترجم في سلوك وتصورات وعلاقات الطرف الآخر. وهذا الناتج المتفاوض عليه، قد يكون  
حسب جان ريمي (Jean Rémy)، إما ابتكارا تنمويا (innovation de croissance) أي طريقة في  
إيجاد أشكال جديدة، مع الحفاظ على المنظومة السائدة، أو يكون في الحالة العكسية، ابتكارا  
تفكيكا أو قطائعا (innovation de rupture) عندما يُفقد المنظومة القائمة توازنها الكلي  
ويدفعنا إلى البحث عن بنية (structuration) جديدة<sup>2</sup>.

تقع شهادة مالك بن نبي ضمن استراتيجية البنية الجديدة، بعد يأسه الأخير من منظور  
الخطاب الإصلاحى التقليدي وإعلانه عن إفلاسه المنهجي، خاصة وأن عملية التجديد (وليس  
التجدد)<sup>3</sup>، التي شهدها العالم الإسلامي "لم تنتج انسانا جديدا وإنما أنتجت مظهرا جديدا  
للإنسان القديم". فالتفاوض الثقافي يقتضي فهما عميقا للأسس الفلسفية التي بنيت عليها  
الذات والآخر، حتى يكون التفاعل نشاطا خلاقا، ولا يقتصر على إدارة انفعالية لجوانب  
اللايقين الطارئة. في هذا السياق، يشير إلى مظهر من مظاهر التفاوض الخاوي عند استعمال

<sup>1</sup> - Dubar, Claude. (1992). Formes identitaires et socialisation professionnelle, revue française de sociologie, vol.4, N° 33, pp 521.

<sup>2</sup> - Rémy, Jean. (2005). négociation et transaction sociale. Négociations, vol.1, N°3, p87.

<sup>3</sup> - الفرق بين "التجديد" و"التجدد" يستعيره مالك بن نبي من غريمه لويس ماسينيون: إذا كان "التجديد" عبارة  
عن تكديس للمواد والحاجات فإن "التجدد" عبارة عن هندسة متجذرة في الروح الإنسانية، والمتجذرة هي  
الأخرى في الدين. راجع:

Bennabi, Malek. (2015). mondialisme, éditions benmerabet, Alger, p.55

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

آيات القرآنية فيقول: "الآية القرآنية في المدرسة الكلاسيكية حجة، يعني انها حقيقة منطقية تُنقل عقليا إلى المستمعين.

وبالتالي تُقدّم في هذه الحالة " كصيغة للاستعمال الخارجي"، بل وخارجي مضاعف، لأنه لا يعني "المصلح" - الذي ينسى أنه، هو أيضا، موضوع إصلاح- وإنما يعني مستمعيه، كما أنه لا يعني هؤلاء إلا على المستوى الأقل عمقا، المستوى العقلي. وبالتالي فإن الفعالية ستكون ضئيلة أو معدومة بالنسبة للمشكلة الأساسية للوعي، للروح، أي للطبيعة الإنسانية في عمقها الكامل. النتيجة الاجتماعية ستكون إذا تعديلا وليس تغييرا لمجتمع ما بعد الموحدين"<sup>1</sup>.

5- تفتضي الشهادة فاعلا يلعب دور بطل الروايات البوليسية في تفتيش وفحص كل الآثار المبعثرة في ساحة الجريمة المفتوحة، لتحديد هوية الفاعل وكيفية وقوع الجريمة، ودوافعها الحقيقية. يقوم مالك بن نبي بعد تحليل العناصر المرفوعة من مسرح الجريمة، بتوجيه الإدانة للاستعمار ولكل الذين تواطؤوا معه، ثم يحدد المقتول الذي لم يكن سوى الفكرة. مُجمل مساره الفكري كان إعادة تمثيل مسرح الجريمة الذي يبدأ من الدائرة الشخصية، ويتسع ليشمل الإنسانية بأكملها، فالشاهد "لا يشهد على وقائع معزولة وعرضية ولكنه يشهد على المعنى الجذري والكلبي للتجربة الإنسانية"<sup>2</sup>، وهو أيضا محاولة للبرهنة بالدليل الرياضي، على صحة مقارنته لمشكلات العالم الإسلامي. البرهنة التي لم تسلم من حدة الاعتقاد بأنها المقاربة النموذجية (exemplaire) والوحيدة القادرة على إنقاذ العالم الإسلامي من التعفن التاريخي الذي يتخبط فيه.

6- يقول موريس مارلو بونتي (Maurice Merleau-Ponty): "كل الرجال الذين لهم عيون، كانوا ذات يوم شهودا"<sup>3</sup>. كانت العين حليفا استراتيجيا لمالك بن نبي، منحت له "وجودا مرئيا لكل ما تظنه الرؤية العادية غير مرئي"<sup>4</sup>. هناك أشياء متوارية عن الأنظار، أقل من ذرة الرمل، تعيق

<sup>1</sup> - Bennabi, 2015, p55.

<sup>2</sup> - Ricœur, s.d, p44.

<sup>3</sup> -Merleau- ponty, Maurice. (1964). l'œil et l'éprit. Gallimard, Paris, p 29.

<sup>4</sup> - Ibid, p27.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

المحرك وتحتاج إلى كشف عن رهاناتها التاريخية. ولا تقتصر عينه على تملك الأشياء القريبة، وإنما تلتهم البعيد، تتجول بين حلقاته، وتنسج بدلالاته مبررات نسقها الخاص. لقد ساعدته عينه المهمة على إضاءة الأحداث وجعلها تتكلم، تشتبك مع تفاصيل مصيرنا، وتغيّر بنيته تغييراً جوهرياً. عينٌ تبحث عن التوحيد الحيوي وتُقصي الوحدة الساكنة. كانت يقظة محايدة، طريقة في الانتباه لما يجري وإنصات عميق للتوترات والذبذبات المرجعية في سيرورة الذات أو الوطن أو الإنسانية.

7- ينتمي مالك بن نبي، باعتباره طريقة في السكن في العالم، إلى أفق المدينة الحديثة، أي إلى براديجم الكل (paradigme du tout) الذي يفسر تصميمها ونسجها الواقعي. يعبر عن هذا الانتماء فيقول: "سيكون من الضروري أن نجد في شوارعنا وفي مقاهينا نفس النغمة الجمالية التي يجب على المخرج أن يضعها في مشهد سينمائي أو مسرحي"<sup>1</sup>. ولا تكتسب هذه الطريقة دلالتها الفعلية إلا عندما تصهر المكان المدني بتبادلاته الفردية والجماعية في وجهة محددة، توحد اليد (طريقة العمل) والعقل (طريقة التفكير) والقلب (طريقة الإحساس) في توليفة كلية. وبعد تفكيكه لنسق الثقافة الريعية الغارقة في التبجيل والاجترار واليقين باسم الوفاء للذاكرة، والمؤهلة للانشقاق أمام أي اختبار تاريخي، يُركز على كيفية إعادة بنية (restructuration) صارمة لشرط التاريخ الجديد لتحرير الإنسان من سجن الأشكال القديمة وفق المعارف والمناهج الحديثة. فثقافة المدينة الحديثة تفصل وتصل بجرأة، تنفي العناصر الميتة وتدمج الهوامش، لا تعود إلى أي ماضٍ وإن كان ذهبياً ولا تنصّب بدليلاً عن الحاضر والمستقبل. لا مكان للقيح في لغتها لأن القبح "لا يمكنه أن يوحى لنا بأفكار كبيرة وجميلة"<sup>2</sup>، والتخلف قبحٌ من الناحية الجمالية، وأبشع أنواعه قبول التبعية.

1- Bennabi, 2005, p101.

2- Bennabi, 2005, p99.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

8- فيما يُشبهه بياضا قلقا، يؤكد مالك بن نبي في أكثر من مناسبة على أن الأفق الحضاري الذي كان يعيش فيه ابن خلدون، لم يُتَح له أن يصوغ قانون الدورة التاريخية فاقصر على ناتج معين من منتوجات الحضارة وهو الدولة<sup>1</sup>.

لا أن موقفه من الدين ودوره في الحضارة يتماهى مع موقف ابن خلدون من الدين ودوره في الدولة. في مقدمته، يُعمّم ابن خلدون دور الدين تارة، فيقرّر أن "الدين أصل الدول العامة الاستيلاء"، ويؤكد تارة أخرى، على خصوصية دوره بالنسبة للإنسان العربي لتجاوز عوائقه الذاتية (الغلظة، الأنفة، الأهواء، الزعامة) التي تجعل الاجتماع على هدف محدد أمرا بالغ الصعوبة<sup>2</sup>. غير أن هذه الصفات الذي ذكرها في مقدمته تكاد تكون سمة تشمل كل المجتمعات في مرحلة البداوة ولا تقتصر فقط على المجتمعات العربية. يتكئ مالك بن نبي على هذه المسلمة التاريخية ليبني فكرته عن الدورة الحضارية، حيث يربط بدايتها بدخول فكرة خلافة مسرح التاريخ.

وهي بمثابة الشرارة الأولى أو "الوثبة الروحية" التي تربط المجتمع بوجهة حضارية محددة، وتتنكب عنها عندما يحين أجلها بانطفاء وهج الروح نهائيا<sup>3</sup>. أما دخولها إلى معتبرك التاريخ فإنه يُرغم المنتمين إليها على تحويلها إلى "حقيقة شغالة" وإلا أضحت شعارات بلا مضمون<sup>4</sup>: يقوم الدين، حسب مالك بن نبي، بأدوار تلخصها المعادلة الدائرية التالية:

### الدافعية ⇌ التركيب ⇌ الرجاء

فالدافعية تحفز الإرادة، تتركب رساميل المجتمع المبعثرة وتجمع أفراده حول رجاء يجمع بين الأمل البشري والغائية الروحية التي تعطي للحياة معنى متعاليا. ولتحقيق هذا الامتحان التأهيلي، يتبنى مالك بن نبي موقفا جذريا من التاريخ الإسلامي فيقول: "ولا يكفي أن نعلن عن

<sup>1</sup> - بن نبي، مالك. (1987). شروط النهضة، دار الفكر، الجزائر، ص 69.

<sup>2</sup> - عبد الرحمن ابن خلدون، ص 166.

<sup>3</sup> - مالك بن نبي، 1987، ص 78.

<sup>4</sup> - Bennabi, 2015, p84.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

قدسية القيم الإسلامية، بل علينا أن نزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح العصر، وليس المقصود ان نقدم تنازلات إلى الدنيوي على حساب المقدس، ولكن أن نحرر هذا الأخير من بعض الغرور الإكتفائي والذي قد يقضي عليه. بكلمة واحدة، ينبغي العودة ببساطة إلى روح الإسلام نفسها<sup>1</sup>.

ولا يمكننا الحديث عن تجربة جديدة دون إعادة تفكير في هذا الانتماء الخامد الذي يسمى "المسلم": "لأنه لا يوجد عموماً، المسلم الذي جسد أو أعاد تجسيد الفكرة الأصيلة للإسلام، وإنما هناك المسلم التقليدي (الاصطناعي كما يقول صديقي الدكتور خالد) الذي هو نتاج قرون من التاريخ الإسلامي والمعروفة بقرون الانحطاط"<sup>2</sup>.

أما في دفاثره فإنه يخطو خطوة داخلية (intrinsèque) في منطق الوقائع ويرفض مصادرتها بأي ذريعة كانت، يقول: "الفعل الصالح هو الذي يكون منسجماً مع شكل معين من أشكال حياة الإنسان في المجتمع، منسجماً مع ضروراته. تنبع المشكلة الأخلاقية إذا من التفكير السوسيولوجي الذي يمكنه أن يحكم على الفعل الإنساني خارج أي معيار ديني"<sup>3</sup>. تصادف هذه الخطوة قلقه في مقدمة كتابه "شروط النهضة" التي خصصها لاستدراك ذي دلالة بالنسبة للقارئ الضمني. يتعلق القلق بما لم يقله صراحة، أي بإمكانية قيام حضارة دون تدخل الدين، كالحضارة الغربية الحديثة التي ما كانت لتتري النور، دون انفصالها التاريخي عن الرؤية اللاهوتية للوجود بغض النظر عن صحة مقدماتها. يبدو أن مالك بن نبي يميل إلى اعتبار كل فكرة ذات بنية دينية (دعوة حق أو أثر عظيم عند ابن خلدون) مرجعاً في إشعال فتيل الحضارة مُطلقاً، غير أن الرجاء الإيماني النهائي جعله يصهر أشواق الأرض بوعود الآخرة. من زاوية أخرى، قدمت الجماعات "الإسلامية" التي أوغلت في التطرف والعنف عن طريق المزايدة المحاكاتية (surenchère mimétique) لنموذج أعلى مُتخيل، دليلاً دامغاً ينقض بدهاة الدور

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، 1992، ص 112.

<sup>2</sup> - Bennabi, 2015, p50.

<sup>3</sup> - Bennabi, 2005, p490.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

التاريخي الذي يقوم به الدين في توحيد الإرادة الاجتماعية. وبدل أن يكون خميرة إيديولوجية للتماسك، تحول تلقائيا إلى مُفجّر غريزي للكيان الاجتماعي برمته.

يقاوم مالك بن نبي هذه الإمكانية المضمرة بالإلحاح على ضرورة الخروج من التفكير الديني البحت الذي يحجب رهانات الواقع، والالتزام بالصرامة المنهجية التي يجب أن تُؤطر الفعل وتمنعه من تدنيس التاريخ. وعند محاولته الإجابة على التحدي الذي يطرحه أفق الحضارة الغربية على فكرة "الدورة"، لا يتأخر عن الاعتراف بصعوبة التوفيق بين فكرة الدورة وظاهرة حضارية حديثة يغطي مداها مساحة الأرض بأكملها، يقول: "فلا يمكننا تصور الدورة إلا عندما يكون هناك حقل متاح لتجربة جديدة، نهضة جديدة، أي لإعادة بعث حضارة معينة، لأن المستوى العالمي للحضارة الحالية ينفي أو يقيد هذه الإمكانية... ونتيجة لذلك دخلت الإنسانية حقبة جديدة، يبدو فيها الزمن التاريخي متوقفا، والوضعيات النسبية للمجتمعات ثابتة. فالشعوب لا تنتظر ولا يجب أن تنتظر حظها"<sup>1</sup>.

لسبب مؤلم حقا هو أن علاقات القوة الحالية فرضت عليهم، وإلى الأبد، البقاء في المكان الذي حُدّد لهم. وهكذا تصبح فرضية التعويض الأخلاقي الذي يفتح المجال أمام الأمة الرسالية القادرة على تجديد العالم روحيا مشكوكا فيها<sup>2</sup>.

وكانه في سنة 1964 توقع ظهور خطاب النهاية سنة 1989 بصور مقالة «فرنسيس فوكوياما» عن نهاية التاريخ والإنسان الأخير. والآن، نشهد تعدد خطابات النهايات في جميع المجالات المعرفية: نهاية التاريخ، نهاية المؤلف، نهاية الأقاليم، نهاية المجتمع، نهاية القراءة، نهاية اليوتوبيا، نهاية الإيديولوجيات، نهاية الإنسان، وغيرها من النهايات المتصلة بما يحدث من تحولات في النسق الغربي.

وهي في غزارتها جاءت لتشير إلى نشوة الاكتمال والانتصار وأنه لم يعد بالإمكان التفكير خارج المنطلقات الثقافية الغربية وأن أي فكرة مغايرة لن يكتب -أو يسمح- لها التداول إذا لم تكن مشاركة طوعية في نخب الانتصار. فليس بإمكان التابعين أن يتكلموا كما قالت "غياتري

<sup>1</sup>-Bennabi, 2005, p501.

<sup>2</sup>- Bennabi, 2005, p502.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

سبيفاك" في مقالها المشهور. وحده الغرب من يتكلم ويسدل ستار النهاية في أي مشهد شاء. ولئن كان مسلكها إجباريا - كما هو الوضع القائم - وخاتمة سعيدة لمسيرتها فإنها تشيع اليأس في خطوات الذين لم يبدأوا بعد مسيرتهم من بقية العالم، وتضمرببيان النهاية أحكاما دونية في حقهم باعتبارهم ضواحي يقعون على هامش المدنية الغربية. إنه إقرار بأن الديمقراطية الليبرالية الغربية هي خاتمة النضال والتراكم الفكري الإنساني، واستبعاد لأي فرضية أخرى تأتي من بقية العالم، بإمكانها منازعة هذه الأحقية التاريخية. ماذا سيكون موقف النهاية التي يقترحها «فوكوياما» من كل محاولة لفك الارتباط بهذا النسق الأوحده؟ من المؤكد أن السيادة الإمبراطورية الجديدة تطمح إلى إدخال كافة "الجموع" تحت لوائها، وتقرأ المحاولة على أنها تهديد لهيمنتها المطلقة وتُراهن على استخدام "حق التدخل" بكل الوسائل السياسية والتقنية والعسكرية لإعادتها إلى بيت الطاعة.

وبالتالي لا تُقدّم الإمبراطورية حكمها "كمرحلة انتقالية عابرة من مراحل حركة التاريخ، بل تقدمه بوصفه نظاما ليست له حدود زمنية أبدا، بما يبقى خارج التاريخ، أو يضعه عند نهاية التاريخ"<sup>1</sup>. وعلى الرغم من هذا الختم التاريخي (نهاية الزمان)، يعود مالك بن نبي في سنة 1972 ليستأنف حديثه عن رسالة المسلم في الثلث الأخير من القرن ودوره في الشهادة الروحية على العالم. لقد اقتنع بأن الإنسانية أنجزت مشروعا هائلا: حضارة واحدة تتدافع على مركزها ثقافات طموحة.

خاتمة:

أظهرت الدراسة أن تشكيلة الشهادة عند مالك بن نبي نابعة من تكوينه الفكري الذي يبرز إلى النمذجة للتحكم في الوقائع المركبة. وتقوم على انزياح خطابي حيوي نظرا لطبيعة الأسئلة التي طرحها، ومواضيع القيمة التي ربط بها أفق القارئ. كما أن البنينة الخطابية المقترحة تعمدت النأي عن المنحى الخطي الذي يميز أفق الكتابة التقليدية والتجدر في كتابة نسقية

<sup>1</sup> - هارديت، مايكل ونيغري، أنطونيو. (2002). الامبراطورية، امبراطورية العولمة الجديدة، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض، ص 16.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

مُكثِّفة لم تفقدها الإكراهات نبرتها وقصديتها. اعتمدت على الاشتباك النقدي مع نصوص الفكر الغربي، فتأثرت بمنهجيتها الصارمة وجماليتها الفائقة وقدرتها على بناء مواضعها المعرفية. فكانت عملية تفاوضية شاقة لانتزاع المستقبل من كوامن الذات وهوامش العالم. ولعله مشروع الحضور الممتنع عن إنسان "ما بعد الموحدين" إلى أن يُركَّب عينا تُؤمِّن له مسار سردية مفتوحة، لا "يعود إلى" وإنما "يذهب إلى ما لم يوجد بعد". لقد أنجز بشهادته الثمينة حكمة مُغامرة، مُتطلِّبة ومزعجة لطمأنينة الهوية المطابقة.

وكانت نصوصه تديرا لغربة أهله لأن يصير قربانا، النهاية الطقسية لكل من يحاول، في سياق التشيؤ النفسي والتكديس الاجتماعي والصنمية السياسية، تشريح الأزمة وتحديد العلة. ماذا تبقى من جسده الفكري في سياق الإمبراطورية؟ لعله حسه النقدي وشذراته الملهمة عن الفعل الخلاق الذي يستعجل الحدث العظيم، ليطلق شرارة الروح في المجتمعات، ويؤسس وسطها الحضاري.

\* قائمة المراجع:

- باللغة العربية:

1. ابن خلدون، عبد الرحمن. المقدمة، دار الجيل، بيروت.
2. الجابري، محمد عابد. (2008). المثقفون في الحضارة العربية، محنة ابن حنبل ونكبة ابن رشد، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
3. الربيعو، تركي علي. (1992). الإسلام وملحمة الأسطورة، المركز الثقافي العربي، بيروت.
4. الزين، شوقي محمد الزين. (2018). نقد العقل الثقافي، مدارج، الجزائر.
5. المسكي، فتحي. (1997). فلسفة النوبات، دار الطليعة، بيروت.
6. أومليل، علي. (2011). السلطة الثقافية والسلطة السياسية، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.
7. إيزر، فولفغانغ. (1992). في نظرية التلقي، التفاعل بين النص والقارئ، ترجمة الجيلالي الكدية، مجلة دراسات سيميائية أدبية لسانية، العدد 7، ص. 7-15، المغرب.
8. إيزر، فولفغانغ. (1995). فعل القراءة، نظرية جمالية التجاوب في الأدب، ترجمة حميد لحمداني والجلالي الكدية، مكتبة المناهل، فاس.



د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

9. إيزر، فولفغانغ (1995). آفاق نقد استجابة القارئ، ترجمة، أحمد بوحسن، ضمن كتاب: من قضايا التلقي والتأويل، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، رقم 36، ص. 211-227، الرباط.
10. إيكو، امبرتو (1996). القارئ في الحكاية، التعاضد التأويلي في النصوص الحكائية، ترجمة أنطوان أبو زيد، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
11. بارت، رولان (1986). درس السيمولوجيا، ترجمة عبد السلام بنعبدالعالي، دار توبقال للنشر، المغرب.
12. بنعبدالعالي، عبد السلام (2006). في الترجمة، توبقال، المغرب
13. بن نبي، مالك (1984). مذكرات شاهد القرن، الطفل والطالب، دار الفكر، دمشق.
14. بن نبي، مالك بن نبي (1986 أ). وجهة العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر
15. بن نبي، مالك (1986 ب). ميلاد مجتمع، شبكة العلاقات الاجتماعية، دار الفكر، الجزائر.
16. بن نبي، مالك (1987). شروط النهضة، دار الفكر، الجزائر.
17. بن نبي، مالك (1990). فكرة كومونولث إسلامي، دار الفكر، الجزائر.
18. بن نبي، مالك (1992). مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي، دار الفكر، الجزائر.
19. بن نبي، مالك (2006). مجالس دمشق، دار الفكر، دمشق
20. بن نبي، مالك (2007). العفن 1932-1940، ج 1، ترجمة نور الدين خندودي، دار الأمانة، الجزائر.
21. حاج حمد، أبو القاسم (2004). الأزمة الفكرية والحضارية في الواقع العربي الراهن، دار الهدى، بيروت.
22. حمودة، عبد العزيز (1998). المرايا المحدبة، من البنيوية إلى التفكيك، سلسلة عالم المعرفة، الكويت.
23. دو سارتو، ميشال (2011). ابتكار الحياة اليومية فنون الأداء العملي، ترجمة محمد شوقي الزين، منشورات الاختلاف، الجزائر.
24. ريكور، بول (1999). الوجود والزمان والسرد (فلسفة بول ريكور)، ترجمة سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء.
25. ريكور، بول (2016). الذاكرة والسرد، حوارات، ترجمة سمير مندي، دار كنوز المعرفة للنشر والتوزيع، عمان.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

26. شرفي، عبد الكريم. (2007). من فلسفات التأويل إلى نظريات القراءة، منشورات الاختلاف، الجزائر.
27. هارديت، مايكل ونيغري، أنطونيو. (2002). الامبراطورية، امبراطورية العولمة الجديدة، ترجمة فاضل جتكر، مكتبة العبيكان، الرياض.
28. هولب، روبرت سي. (2007). نظرية الاستقبال، مقدمة نقدية، ترجمة رعد عبد الجليل جواد، دار الحوار للنشر والتوزيع، سوريا.
29. يقطين، سعيد. (2005). الرواية والتراث السردي، رؤية للنشر والتوزيع القاهر

- باللغة الفرنسية -

30. Allain, Sophie. (2009). Penser la négociation aujourd'hui. *Négociations*, vol. 12, N° 2, pp.9-14.  
URL : <https://www.cairn.info/revue-negociations-2009-2.htm-page-9.htm>.
31. Bauman, Zygmunt. (2005). Les usages de la peur dans la mondialisation: Entretien avec Zygmunt Bauman, *Esprit*, vol.7, N° 316, pp. 71-98.  
URL: <http://www.jstor.org/stable/24470065>
32. Bennabi, Malek. (2006). Mémoires d'un témoin du siècle, enfant, étudiant, écrivain, carnets. Samar, Alger.
33. Bennabi, Malek. (2015). Mondialisme. éditions benmerabet, Alger.
34. Bennabi, Malek. (2005). les conditions de la renaissance. éditions ANEP, Alger.
35. Bennabi, Malek. (2010). témoignages sur la guerre de libération. éditions alem el afkar, Alger.
36. Chiss, Jean-Louis. (1985). Raconter et témoigner : le vécu à la croisée du théorique et du politique. *Pratiques*, N°45. pp. 13-31  
URL: [https://www.persee.fr/doc/prati\\_0338-2389\\_1985\\_num\\_45\\_1\\_1331](https://www.persee.fr/doc/prati_0338-2389_1985_num_45_1_1331).
37. Deleuze, Gilles. (2013, 28 octobre). qu'est- ce-que l'acte de création?  
Url: <https://www.youtube.com/watch?v=2OyuMjMrCRw>
38. Dubar, Claude. (1992). Formes identitaires et socialisation professionnelle, revue française de sociologie, vol.4, N° 33, pp. 505-529.

د. يوسف بوذن ..... مالك بن نبي: اختبار الشهادة والقربان

Url:[http://www.persee.fr/doc/rfsoc\\_0035-2969\\_1992\\_num\\_33\\_4\\_5622](http://www.persee.fr/doc/rfsoc_0035-2969_1992_num_33_4_5622)

39. Groupe d'entrevernes. (1985). Analyse sémiotique des textes, presses universitaire de Lyon, Lyon.

40. Habermas, Jürgen. (1988). le discours philosophique de la modernité, Gallimard, France.

41. Jullien, François. (2007). L'art de la Guerre expliqué à l'Occident. URL: <https://www.youtube.com/watch?v=QNiydsgnn-Y>.

42. Jullien, François. (2012). L'écart et l'entre. Ou comment penser l'altérité, FMSH-WP, N°03.

URL:<https://halshs.archives-ouvertes.fr/halshs-00677232/> document.

43. Merleau-ponty, Maurice. (1964). l'œil et l'éprit. Gallimard, Paris.

44. Sicard, Monique. (1999). Qu'est-ce qu'un témoin ?, Les cahiers de médiologie, vol.2, N°8, pp.73-80.

45. Piégny-gros, Nathalie. (1996). introduction à l'intertextualité, Dunod, Paris.

46. Rémy, Jean. (2005). négociation et transaction sociale. Négociations, vol.1, N°3, pp.81-95.

Url:<https://www.cairn.info/revue-negociations-2005-1-page-81.htm>.

47. Ricœur, Paul. (1990). soi-même comme un autre, éditions du seuil, Paris.

48. Ricœur, Paul. (s.d). herméneutique du témoignage

URL:[http://commonweb.unifr.ch/artsdean/pub/gestens/f/as/files/3630/43694\\_115352.pdf](http://commonweb.unifr.ch/artsdean/pub/gestens/f/as/files/3630/43694_115352.pdf).

49. Rocher, Guy. (1968). introduction à la sociologie générale, le changement social, tome3, éditions HMH, Paris.

Zaki Laïdi, (1996), Espace, vitesse et sens à l'heure de la mondialisation, Politique étrangère, Vol. 61, N°.1, pp. 179-190 URL: <http://www.jstor.org/stable/42673663>.

## النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

بقلم: د. أحمد عماد الدين خواني

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

### ملخص:

إن أزمة التناقضات التي تعيشها النظرية السوسيولوجية الوضعية اليوم، بمستوياتها المتعددة، لم تجد سبيلا للقضية رغم الجهود الحثيثة التي قدمت في هذا الإطار، هل النظرية السوسيولوجية تلفظ أنفاسها الأخير مستسلمة لعبء التناقضات (حسية/لاحسية) التي تعيشها؟، ولم تستطع تجاوزها، هل النهاية التعيسة لمشروع الفهم والتحكم الوضعي للمجتمع الإنساني اقترب؟.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

#### تمهيد:

يمكن مقارنة النظرية السوسيولوجية (إبستميا) من خلال مستويين؛ خارجي: شيئي/حسي، وداخلي: تجزيئي، وسنحاول تحليل هذه المؤشرات/المستويات الإبستمية للسوسيولوجية الوضعية الغربية، الكشف عن بؤرة التناقض، والتي يمدنا البرهان بالتراجع مستويات التحليل الضرورية للوصول، حيث يمكننا " لنلاحظ التمايز والتجزئة في علم اجتماع في أوروبا، حيث كنا نتساءل أيضا حول مستقبل التعددية التي ما تزال تطبع علم اجتماع اليوم في أوروبا"<sup>1</sup>، فالتحدي والرهان "جسيم بالنسبة لعلم اجتماع المعاصر، لأن هذا العلم يخاطر في أن يصبح بائعا لأفكار بالية مستعملة أو مجرد كتاب مدرسي ضخمة عن تكنولوجيا الاجتماع [...]، إن علم اجتماع منذ بداياته ممزق بين الميول الوضعانية والميول الجدلية"<sup>2</sup>، وفي كتابات هوسرل يمكن ملاحظة أن "الوضعية بشكل عام وعلم اجتماع الوضعي بشكل خاص عاجزان عن القيام بـ"التماس المعني" وبالتالي فإن علم اجتماع الوضعاني لا يستطيع أن يكون متفهما، إن علم اجتماع نابع من أزمة العلوم الأوروبية ذات النزعة الوضعية"<sup>3</sup>، إن التعامل مع النظرية السوسيولوجية بمبدأ التجزيء كحل وشرط وضعي، تجاوزا لإشكالية الحتمية والاختيار بين الظواهر، يشكل مسألة جوهرية في التفكير العلمي الوضعي ومنهجيته، فمحاولة الذات المركزية بلوغ درجة الذات الإبستمية من خلال تجزئة الظاهرة المدروسة ومحاولة إخراج تلك الذات من الموضوع مخاطرة بالغة الخطورة، تظهر نتائجها المستحيلة في مستوى النظرية؛ أي في نهاية عملية التفكير العلمي عندما تحاول تلك الذات الرجوع لتركيب وتجمع العناصر المجزئة (المحسوسة واللامحسوسة) لتحقيق شروط التركيب والتعميم والاشتقاق الذين تتصف بهم النظرية (السوسيولوجية مثلا)، تكون في حالة استحالة كاملة لتعذر اجتماع النقيضين في منظومة معرفية واحدة.

<sup>1</sup> - يان سبورك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي، ت: حسن منصور الحاج، بيروت: مجد، 2009، ص 22.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، صص 91-123.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، 126.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

إن التحليل الإبستمولوجي لأزمة النظرية سوسولوجية الغربية، يؤكد بلا شك التناقض والصراع والاختزال الذي تعيشه الذات المفكرة الغربية (السوسولوجية)، وتكشف المقاربة الإبستمولوجية أوهام العلمية والموضوعية التي ادعتها هذه الذات منذ عقود طويلة، "إن العقل الغربي هزته أزمة عميقة، ليس من السهل تحديد طبيعتها بدقة، وتقويم مداها، وسبر أعماقها، وتوقع نتائجها. إلا أنه يمكن تأكيد أن هذه الأزمة تكشف، في آن واحد، عن عجزنا عن فهم انبثاق الجديد وتفسيره، وتحليل الآخر والمختلف بطريقة بليغة، وتخليصنا من معارفنا "المنتجة" والمتقهرة"<sup>1</sup>.

أولاً- شرط الحسية واستحالة رؤية الموضوع الإيديولوجي اللاحسي:

يقول "ديليتي" (DiiLthy) إن "الفلاسفة كما علماء الاجتماع يعملون أولاً على قاعدة رؤيتهم الخاصة للعالم، إن الحي يعرف الموت لكن لا يستطيع أن يفهمه"<sup>2</sup>، وتأكيداً للتأثيرات الإيديولوجية يمكن أن نقدم رأي "ميردال" الذي يقول: "لا يوجد شكل آخر لدراسة الواقع الاجتماعي، غير دراسته من وجهة نظر المثل الإنسانية، فالعلم- الاجتماعي الغيري "الخالي من المصلحة" لم يوجد أبداً، ولا يمكن أن يوجد منطقياً، ويمثل مجال القيمة لمفاهيمنا الرئيسية، مصلحتنا في هذه القضية ويعطى الاتجاه لأفكارنا والمغزى لاستنتاجاتنا، فهو "أي مجال القيمة" يطرح القضايا ويقدم لها الأجوبة بآن واحد"<sup>3</sup>، ويؤكد "ألكس إنكلز" "أن أغلب علماء الاجتماع يصدر عن دراستهم نماذج تحولت لديهم إلى توجيهات إيديولوجية ملزمة"<sup>4</sup>. إن النظرية السوسولوجية "في فرنسا وألمانيا تظهر نشوء اتجاهات وطنية حقيقية مرتبطة بخصوصيات مجتمعاتهم الوطنية[...]. لقد كان علم اجتماع الفرنسي منذ بدايته خاضعاً ولا

<sup>1</sup> - جيوفاني بوسينو، نقد المعرفة في علم الاجتماع، ت: محمد عرب صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1995. ص 18.

<sup>2</sup> - يان سيورك، 2009، ص 193.

<sup>3</sup> - مراد زعيبي، النظرية العلم اجتماعية رؤية إسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة: معهد علم الاجتماع، 1997. غ. م. ص 125.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص 126.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

يزال حتى اليوم للمؤثر التوجيهي النظري المتعلقة بالتكامل الاجتماعي والسياسي<sup>1</sup>، فسيطرة الفلسفة الوضعية في " علم الاجتماع الفرنسي، نجد تفسيرها ببساطة من خلال تاريخ العلاقة بين علم الاجتماع والدولة الجمهورية في فرنسا، والتزام علماء الاجتماع بالدولة [...]، إن الجمهورية الثالثة [...] هي مرحلة إعداد واكتمال علم اجتماع الوضعاني الذي أصبح أحد الأعمدة النظرية والإيديولوجية للجمهورية الثالثة [...]، إن علم اجتماع ملتزم في عملية بناء هذه الجمهورية [...]، إن علم اجتماع أصبح علما قائما في النظام الجمهوري الجديد وعلما للجمهورية<sup>2</sup>، من جهة أخرى فإن " النظريات الفرنسية والوضع الاجتماع في فرنسا أثروا بعمق على النظريات الاجتماع في ألمانيا [...] إن الأعمال التي تندرج في إطار هذه المقاربة [ النظرية] غالبا ما تكون إيديولوجيا"<sup>3</sup>.

فالمنظرون في علم الاجتماع "يعالجون المجتمع الذي ينتمون إليه، فإن رؤاهم للعالم تحضر في تحليلاتهم كما في نظرياتهم [...]، إن عالم الاجتماع حر لو كان مشاهدا عن بعد، إلا أنه يبقى متورطا عن وعي في المجتمع [...]، إن النظرية كما رؤية العالم موجّهتان نحو المستقبل وتساؤلات حول معنى الأعمال، وكذلك حول معنى الموجودات في إطار التاريخ"<sup>4</sup>، فالمشكل الذي يعيق "علم اجتماع عن بلوغه المصادقية العلمية المتحررة القائمة بذاتها لم يعد المنهج والأدوات ولا حتى المفاهيم، إنما الذي يعوق هو عدم تخلص من النزعة الذاتية العقائدية"<sup>5</sup>، وبالتالي كما يقول ألن تورين: "لا يمكن للنظرية السوسيولوجية أن تفرض نفسها إلا عندما يضمحل صوت الإيديولوجية السائدة، وفيما عدا ذلك يظل مضايقاً ومنفياً، وحتى تحليل المجتمع لا يسعه إلا أن يكون مجرد تعليق على التفسير الرسمي"<sup>6</sup>.

<sup>1</sup> - يان سبورك، 2009، ص 103.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 106.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 109.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص-ص 203-204.

<sup>5</sup> - السعيد بولمزود، محاولة في إعادة التأسيس للتفكير العلمي في الموضوع الاجتماع، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة: قسم علم الاجتماع، 2002، غ م. ص 57.

<sup>6</sup> Alain Touraine, *Pour la Sociologie*, paris : édition du Seuil, 1974: 89.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

إن تأثر الذات المنظرة السوسيولوجية بالبعد الإيديولوجي وإعادة إنتاجه، يتجلى في عدة أمثلة تاريخية؛ "فالساسة الخارجية للولايات المتحدة مسيرة من قبل أحد المتخصصين في العلوم الاجتماعية وهو الأستاذ كسنجر المتخرج من جامعة هارفرد، وإن الإيديولوجية المهيمنة للعلوم الاجتماعية والمنتشرة بشكل واسع في الولايات المتحدة، وعلى مساحات واسعة من العالم، تستند إلى دراسة موضوعية للواقعة الاجتماعية، وقائمة باسم علم يزعم الحياد، وعلى نتائج ستكون رهن إشارة الجميع بشكل ديمقراطي"<sup>1</sup>، فالذات المنظرة السوسيولوجية تعاملت مع العوائق التي حملتها المنظومة الفلسفية الغربية عند النشأة، ويوضح ذلك السوسيولوجي "نسبت" في قوله: "إن المفاهيم الأساسية لعلم الاجتماع خلال مرحلة نشأته الأولى، صدرت كرد للإيديولوجيات التي تضمنتها فلسفة عصر الاستنارة، والتي كانت تعلي من قدر الإنسان والفردية والعلمانية والعقل"<sup>2</sup>، وبذلك وبحكم "أن معظم واضعي حجر أساس علم الإجماع الغربي (كونت، سان سيمون...) والذين عملوا على تطوير "منهجه أو مناهجه العلمية" (دور كايم، بارييتو، فيير، بارسونز، لازارسفيلد...) ينتمون إلى نفس الإطار المعرفي والفكر الفلسفي"<sup>3</sup>

لقد اجتمعت المنظومة الفلسفية الغربية ومن بعدها -وتطبيقا لمسلماتها، النظرية السوسيولوجية الغربية على "اختزال المنهج العلمي في عناصره التجريبية الحسية وهدفت إلى مقاومة كل تفكير يخرج عن دائرة الحس سواء كان تفكيراً دينياً، أو ميتافيزيقياً أو عقلياً، فهي لا

<sup>1</sup> - بوبوف س.ي، نقد علم الاجتماع البورجوازي المعاصر، ت: نزار عيون السود، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط2، 1984، ص 130.

<sup>2</sup> - عبد الباسط عبد الباسط عبد المعطي، " في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي: بيان التمرد والالتزام"، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986، ص 120.

<sup>3</sup> - فضيل دليو، علم الاجتماع المعاصر ثنائياته النظرية والمنهجية، قسنطينة: مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، 2004، ص96.



د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

ترى المنطق السليم سوى في المعرفة الواقعية المنتزعة من الحس [...] إنها تستهل التجربة كأداة إيديولوجية لسد الطريق أمام التفكير الديني الذي قامت على أنقاضه<sup>1</sup>.

تبياناً لبرهان تناقض المنظومة الفلسفية الغربية في مستواها الحسي المتعلق أساساً بالأيديولوجيا، نحاول إظهار ذلك من خلال الأعمال الكبرى للمنظرين السوسيولوجيين؛ كونت، دوركايم، فيبر وماركس.

كان لاحتكاك "أوغست كونت" مع الفيلسوف "سان سيمون" تأثير عميق في تشكل خياراته الفلسفية والإيديولوجية، حيث اتجه "كونت" نحو الإيديولوجيا المحافظة، والتي ظهرت من خلال كتاباته؛ "نظام السياسة الوضعية" (Système de la politique positive)، "دروس في الفلسفة الوضعية"،..، "فلسفة "أوجست كونت" غير الراضية للدين كانت أساساً للمذهبية الوضعية، وفلسفة "كارل ماركس" الراضية للدين كانت في الحقيقة مستلهمة من كثير من المعاني الواردة في الديانة اليهودية، وكانت أساساً للمذهبية المادية<sup>2</sup>، ففرنسا المتحررة حديثاً من اللاهوت الكنسي لم تستطع تحقيق الاستقرار السياسي والاجتماعي والاقتصادي الذي وعدت به ثورتها، فكان الوضع يشبه السوق الكبير حيث الكل يتكلم ولا أحد يشتري أو يسمع، أنه صراع بين عدة إيديولوجيات حاولت قطف ثمار الثورة؛ المحافظة والثورية والقومية والراديكالية وحتى الدينية، فحالة الفوضى استدعت ظهور تفكير وخطاب مجتمعي يفهم الوضعية ويقدم تصورات للخروج منها؛ " فعلم الاجتماع لم يكن ضرورة معرفية فحسب، بل كان مطلباً أيديولوجياً أيضاً، فكونت يرى أنه هو الحل الوسط القادر على تجاوز تناقضات القوى المحافظة والقوى الثورية أي التأليف بصورة إيجابية"<sup>3</sup>.

إن الفلسفة الوضعية التي أسسها "كونت" كانت دوافعها إيديولوجية بحتة؛ إنها تعني الإيجابية (Positive)، و"الإيجابي" يؤيد ويساند الأوضاع الاجتماعية والسياسية القائمة، حيث

<sup>1</sup> - محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، 2008، ص 103.

<sup>2</sup> - مراد زعبي، مرجع سابق، ص 246.

<sup>3</sup> - محمد وقيدى، ماهي الإستيمولوجيا، الرباط: مكتبة المعارف، ط 2، 1987، ص 269.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

يعتبر "التغيير" تفكير شاذ ومرفوض؛ فالتغيير "الشامل للنسق الاجتماعي قضية غير مطروحة، والتقدم لا يتم عن طريق النقد والصراع الطبقي والنشاط الثوري، بل عن طريق التوفيق بين الاتجاهات والطبقات المتصارعة"<sup>1</sup>، فالإصلاح حسب الفلسفة الوضعية سيتم وفق الخطة التي يحددها الساسة، فالوضعية الكونتية تستمد مسلماتها وقضايا تفكيرها "مباشرة من فلسفة التنوير، وجذورها تمتد من موقفها العدائي من الأيديولوجيات الثلاثة الرئيسية، التي كانت سائدة في عصرها، وهي: الليبرالية، الاشتراكية والشيوعية، محاولة الحد من انتشارها، فكانت فلسفة "كونت" الوضعية في كثير من الأسس التي قامت عليها محاولة للرد على تلك الأيديولوجيات التي لا تؤدي حسب وجهة نظره إلا إلى الصراع والتفكك والانقسام"<sup>2</sup>.

ويؤكد كونت تمسكه بالأيديولوجيا الرأسمالية والتي هي افرز طبيعي للفلسفة الوضعية، لأن "المجتمع الإنساني يعيش على التنظيم أكثر مم يعيش على الأيديولوجية، وإن أفضل صورة للحياة الاقتصادية والسياسية هي الرأسمالية وبالذات الرأسمالية الأوروبية، وبالتالي هي بنظره تنويع لتاريخ التطور الإنساني"<sup>3</sup>، ولمواجهة مشكلة "الصراع الطبقي والصراع بين الأحزاب المحافظة، والتقدمية، حاول "كونت" أن يثبت إمكانية التوفيق وتحقيق التكامل بين الجوانب الثابتة والحركية للمجتمع، كما سبق وذكرنا بين النظام والتقدم [التغيير]؛ وفي مقابل [المنهج الماركسي] الجدي قدم "كونت" الوضعية والمنهج الوضعي"<sup>4</sup>.

إن النظرية السوسيولوجية التي بدأت تتشكل صورتها مع وضعية "كونت"، ليست "سوى تعبير عن الأيديولوجية الوضعية المنبثقة عن واقع المجتمع الفرنسي بعد الثورة، لابد من الرجوع إلى المناخ الاجتماعي والثقافي الذي عايشه وإلى تاريخه والفروض الخلفية الموجهة لفكره"<sup>5</sup>، فالسوسيولوجيا الوضعية هدفها التحكم والسيطرة انطلاقاً من النظريات العقلانية

<sup>1</sup> - محمد عاطف غيث، 1975، ص 231.

<sup>2</sup> سمير أمين، التمركز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة، الجزائر، موفم للنشر، 1992: 163.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 164.

<sup>4</sup> - نبيل السمالوطي، الإيديولوجية وأزمة علم الاجتماع المعاصر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975،

ص-ص 134-136.

<sup>5</sup> - نفس المرجع، ص 141.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

التي تكتشفها حول المجتمع، وهذه المعرفة السوسيولوجية الوضعية هي محرك وموجه الإصلاح الاجتماعي.

إن النظرية السوسيولوجية الوضعية "ليست سوى تعبير عن الإيديولوجية الوضعية المنبثقة من واقع المجتمع الفرنسي بعد الثورة التي استهدفت الوقوف أمام فلسفات عصر التنوير والفلسفات الثورية"<sup>1</sup>، حيث يؤكد "كونت" هذا الاختيار الإيديولوجي والحتمي للنظرية الوضعية: فلولاها "لما أمكن أن توجد نظرية التقدم ولما أمكن تبعاً لذلك أن يوجد العلم الاجتماعي، ولما أمكن بالتالي أن توجد الفلسفة الوضعية"<sup>2</sup>، فالفلسفة الوضعية حسب "ماركيوز"<sup>3</sup> تلزم المفكر الاجتماعي بموقف غير نقدي في مواجهة الوضع القائم وبالتالي موقف سياسي محافظ لا يمكن اعتباره بأي حال حيادي"<sup>3</sup>، وبذلك تحول المنهج الوضعي العقلاني إلى معول إيديولوجي، حاول "كونت" من خلاله "إقصاء الجماهير عن إدارة المجتمع وتنظيمه، وعن رسم السياسة العليا له، على أساس أن هذه الوظيفة هي وظيفة علماء الاجتماع وخبراء التنظيم، فهذه الصفوة العلمية هي السلطة النهائية القادرة على رسم الطريق الصحيح لتحسين حالة أبناء الطبقات الدنيا، وذهب حتى إلى أنه ليس من حق الجماهير التساؤل عن أشياء تعلق قدراتهم ومؤهلاتهم"<sup>4</sup>.

إن السوسيولوجيا الوضعية الكونتية اعتمدت "بشكل جلي على مقدمات إيديولوجية، وهذا بالطبع لا يمثل تناقضاً مع إبيستمولوجيته ومنهجيته فحسب بل جاء حتمية لها"<sup>5</sup>، فالمنهج الوضعي التجريبي يستعمل "بوضوح وصرامة كأداة إيديولوجية لتهديم أغاليط التفكير غير العلمي جميعها، وكان [كونت] يهدف كفيلاسوف إلى غرس عقلية لا تفكر باصطلاحات غير

<sup>1</sup> - نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص 122.

<sup>2</sup> - ليفي بريل، فلسفة أوجست كونت. ت: محمود قاسم وسيد بدوي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1952، ص 02.

<sup>3</sup> - عنصر العياشي، "الإبيستمولوجيا وخصوصية العلوم الإنسانية -عناصر أولية للتفكير"- ملتقى نادي فلسفة العلوم، قسنطينة: معهد العلوم الاجتماعية، ديسمبر 1981، ص 67.

<sup>4</sup> - سمير أمين، مرجع سابق، ص-ص 134-136.

<sup>5</sup> - عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 68.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

علمية، وترفض قضايا اللاهوت التقليدي والميتافيزيقي بكل بساطة على أساس أنها غير علمية<sup>1</sup>، تلك هي حقيقة "التجربة فقي النزعة الوضعية، إنها ليست أداة معرفية بقدر ما هي أداة إيديولوجية"<sup>2</sup>، فالذات المنظرة السوسيولوجية الوضعية اختارت الإيديولوجيا كموضوع ترى من خلاله بقية المواضيع والظواهر الاجتماعية الأخرى حتى وإن لم تكن حسية (أخلاقية، تبريرية، مصلحة..).

جاءت النظرية السوسيولوجية الوظيفية مع "إميل دوركايم" تطبيقاً لفلسفة الأستاذ الوضعية، لكن "دوركايم" استطاع أن ينقل النظرية السوسيولوجية من مجرد فلسفات اجتماعية حول المجتمع، إلى نظرية لها موضوعها المتمثل في الظواهر الشئئية ومنهجها الخاص التفسيري ومفاهيمها المبتكرة (تقسيم العمل، الانتحار والدين..)، فدوركايم استطاع أن يضع الإيديولوجيا المحافظة الضد ثورية في سياق تنظيري، مستخدماً المنهجية العقلانية للبرهنة على صحة أهدافه الإيديولوجية، فمشاكل "المجتمع الفرنسي في عصره، جعلته يهتم بمشكلة النظام العام، وطبعت نظريته بطابع محافظ، فمن خلال مناخ فكري اجتماعي خاص، وظروف مجتمعية شهدتها فرنسا آنذاك، دفعت بعض الدارسين للقول بأن فهم علم الاجتماع عند دوركايم شأنه شأن غيره ممن عاصروه، يجب أن يبدأ من تحليل علاقته بالفكر الاشتراكي وبالحركة الاشتراكية التي سادت في عصره"<sup>3</sup>.

فرفض دوركايم للإيديولوجيا الماركسية يعبر عن "الموقف الناشئة أصلاً عن عدائه لمبدأ حتمية الصراع الطبقي في المجتمع"<sup>4</sup>، وقدما "بدلاً من أن يتقبل فكرة المجتمع والتغير الاجتماعي، الذي تسلم بوجود الطبقات والصراع بينه، وضع نظريته المشهورة عن التماسك العضوي الذي يميز المجتمع الحديث، فكان دائماً يحاول إقامة نموذج للمجتمع والتغير يختلف

<sup>1</sup> هنري أيكن، عصر الإيديولوجية، ت: معي الدين صبيحي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1971،

ص 143

<sup>2</sup> محمد أمزيان، مرجع سابق، ص 42.

<sup>3</sup> سمير أمين، مرجع سابق، ص-ص 150-151.

<sup>4</sup> نبيل السمالوطي، 1975، ص 156.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

كلية عن النموذج الماركسي بل ويناقضه تماما، كما عمل جاهدا لإنشاء فلسفة وضعية (إيجابية) بنائية تعارض الفلسفة السلبية النقدية"<sup>1</sup>.

إن النظرية السوسولوجية الوظيفية كانت الغطاء العلمي للإيديولوجيا المحافظة التي حاول "دوركايم" تبريرها، فكان "يقوم بصياغة مشكلات العصر الذي عاش فيه على هيئة فروض يحاول التحقق منها"<sup>2</sup>، إن دوركايم "يتبع هذا المسار على المستوى النظري وعلى المستوى السياسي وذلك من خلال الالتزام في السياسة التربوية التعليمية والأخلاقية في الجمهورية"<sup>3</sup>، وبذلك ومن خلال النظرية الوظيفية خان دوركايم "مبادئه التي روج لها، فقد أكد على استحالة الوصول إلى الحقيقة الموضوعية، أو إقامة علم اجتماع ما لم يستطع هذا الأخير الوقوف فوق كل انتماء سياسي، لكنه فشل في التعرف على حقيقة بسيطة مفادها أن علم الاجتماع الذي أقامه حسب قواعد منهجية صارمة، كان علما منحازا وملتزمًا بقيم أخلاقية وسياسية ولو أنه طبق على علمه الاجتماعي نفس المعايير التي طالب الآخرين بمراعاتها، لما كان لديه حق الصراع العالي الذي أسكت به تحيز الآخرين"<sup>4</sup>.

إن التحرر من كل "فكرة سابقة هي المقولة التي تلخص الموقف الإيديولوجي أو الدعائي للوضعية [والوظيفية]، والمقولة ليست خاطئة في أساسها، فهي واحدة من مقومات الأسلوب العلمي، ولكنها مع الوضعية تفقد دلالتها المعرفية لتأخذ بعداً إيديولوجياً؛ فمعنى أن نتحرر من كل فكرة سابقة، وأن نعتبر الظواهر الاجتماعية أشياء ندرسها كأشياء، معناه أن نسد الطريق أمام كل تفكير خارجي مهما كان مصدره ذاتياً أو دينياً في فهم الظواهر الاجتماعية، وإقصاء كل معرفة اجتماعية لا تقوم على الحس وحده، وكل تفكير ديني- بما في ذلك الوحي نفسه- يعتبر تفكيراً داخلياً استبطانياً وخارجاً عن دائرة العلم، وليس إلا ضرباً من الخيال"<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - سمير أمين، مرجع سابق، ص-ص 167-168.

<sup>2</sup> - محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 144.

<sup>3</sup> - يان سبورك، مرجع سابق، ص 107.

<sup>4</sup> - عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 71.

<sup>5</sup> - محمد أمزيان، مرجع سابق، ص 44.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

إن النظرية السوسولوجية للفعل الاجتماعي والتي حاول "ماكس فيبر" من خلالها "فهم المشكلات الاجتماعية المعاصرة له بألمانيا، قد تكونت من خلال حوار مع طيف "ماركس"، حاله حال "كونت" و"دوركايم"، إذ عاش ظروفًا تاريخية مشابهة، هي ظروف نمو الحضارة الغربية، وما صاحب هذا النمو من مشكلات انعكست آثارها واضحة على نظم ومكونات المجتمع<sup>1</sup>، فالمنطلقات الإيديولوجية واضحة عند "فيبر"، حيث أنه "يلقب من طرف "زيتلن" "بماركس البرجوازي"<sup>2</sup>، ويتجسد ذلك أكثر من خلال ملاحظة حياته الاجتماعية والعلمية، فلقد "كان من كبار النقاد خلال الحرب العالمية الأولى في المسائل السياسية والاقتصادية، لقد تميزت أفكاره السياسية بنزعة تحريرية تعكس الجو السائد في حياته الأسرية، لكل هذه الأسباب نقول أن حياة "فيبر" انقسمت قسمة عادلة بين العلم والسياسة"<sup>3</sup>.

إن نظرية الفعل الاجتماعي نهبت لأهمية فهم المعنى الداخلي للأفعال الاجتماعية، ويستعمل "فيبر" للوصول للمعنى الحقيقية لتلك الأفعال مفهوم "القيم"، والتي لها دور حاسم للوصول للحقيقة العلمية، "فالواقع كما يراه على غرار المذهب الكانطي المحدث: لا نهائي، مجهول، وتستحيل معرفته في كليته، وحل هذه المعضلة يتمثل في انتقاء أجزاء من الواقع حسب اهتماماتنا التي تتحدد استناداً إلى القيم التي نحملها أو تنتهي إليها، في الواقع هذا هو الدور الوحيد الذي يمكن أن تقوم به القيم، فبإنتهاء هذه الخطوة يجب علينا أن نضعها جانباً ونباشر التفسير السببي العلمي الذي ليس فيه للقيم دور إطلاقاً، وطبعاً لا بد علينا من التزام قيمة وحيدة علمية هي البحث عن الحقيقة، ليس هذا فقط بل إن النتيجة النهائية يجب أن تكون متعلقة بأحكام الوقائع بينما يتم كبت الأحكام القيمية، إن هذا في رأينا مجرد تمويه لحكم قيمي في شكل مطلب منهجي"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 72.

<sup>2</sup> - محمد علي محمد، مرجع سابق، ص 71.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 311.

<sup>4</sup> - عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 72.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

ويوضح "جولدنر" سبب تركيز "فيبر" على العوامل "الدينية والقيمية كمنطلق لفهم بناء المجتمع ونظمه، وعلاقاته وتغييره، كان يستهدف في المجال الأول، دحض الماركسية التي تحاول إرجاع حركة المحتجين أو المذهب البروتستنتي إلى طبيعة التغيرات الاقتصادية داخل المجتمع الأوروبي<sup>1</sup>، فأهمية النظام الديني عند "فيبر" يظهر من خلال ما يتمخض عنه من توجهات قيمية كعامل فعال في تحديد طبيعة النظام الاقتصادي داخل المجتمع، على العكس تماما من النظرية الماركسية، التي ترى الدين والقيم والأفكار والفلسفات والإيديولوجيات، ليست سوى عناصر البناء العلوي للمجتمع، ذلك الذي يتشكل من خلال البناء الأساسي للمجتمع أو علاقات الإنتاج"<sup>2</sup>.

إن الإيديولوجيا القومية واضحة في أعمال "فيبر" والتي كان لها أثر سلبي على رؤيته للحقيقة، "وشوهت تصوره للكثير من القضايا، مثل قضية الأخلاق البروتستانتية، وقد وصل به الجنون القومي إلى الترحيب بالحرب العالمية الأولى، واعتبر أن هذه الحرب عمل عظيم ورائع، بل إنه دافع عن حق ألمانيا في احتلال بعض المناطق"<sup>3</sup>، وحتى دعوته إلى نظرية سوسيولوجية متحررة من القيم "لا يبرز حرص هذا الأخير على استقلالية الجامعة والعلم من الأهواء وحسب، بل إنه يؤكد على سبب آخر هام يتمثل في الدفاع عن الدولة ومؤازرتها من خلال منع العلماء من التدخل في السياسة، من التطاحن الفئوي وتصادم القيم"<sup>4</sup>.

إن النظرية السوسيولوجية الماركسية لا تخفي أهدافها الإيديولوجية التي واجهت بها الآلة البرجوازية الجشعة والمتسلطة، فلقد "ظهرت الماركسية كنتيجة حتمية لرفع الظلم، وحل صراعات الفكر الطبقي، وتصفية أسباب الاضطراب السياسي، بانتقادها للأسس الكلاسيكية

<sup>1</sup> - غاستون بوتول، تاريخ السوسيولوجيا، ت: محمد حقي، بيروت: منشورات عويدات، 1977، ص 53.

<sup>2</sup> - نبيل السمالوطي، مرجع سابق، ص 161.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص.ص 165-166.

<sup>4</sup> - عنصر العياشي، مرجع سابق، ص 74.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

للاقتصاد السياسي، لتحقيق العدل الاجتماعي باستنادها لحتمية الحل الديمقراطية في توزيع الثروة<sup>1</sup>.

من خلال المادية الجدلية كأرضية فلسفية للبرهنة على "ميكانيزمات التغيير الذي ينبغي أن يفهم في ضوء المراحل الثلاث الأزلية: الإثبات، الموضوع، نقيض الموضوع أو النفي، ثم تصالح الأضداد أو مركب الموضوع، وتستمر العملية الجدلية عند هذا المستوى بصراعات جديدة وتوافقات جديدة تتسم بها العملية التاريخية دائماً"<sup>2</sup>، برر "ماركس" انتقال المجتمعات في نظريته المادية التاريخية؛ "فهي تنتمي إلى النزعة الحتمية الاقتصادية التي تذهب إلى أن العامل الاقتصادي هو المحدد الأساسي لبناء المجتمع وتطوره، وهذا العامل الذي يتكون من وسائل الإنتاج يحدد التنظيم الاجتماعي للإنتاج، هذا يعني العلاقات التي ينبغي على الناس أن يدخلوا فيها [...]، وأن هذا التنظيم الاقتصادي يشكل التنظيم السياسي والقانوني والديني والفلسفي والأدبي والعلمي والأخلاقي ذاتها"<sup>3</sup>.

فالمجتمع الأوروبي المتحرر يتكون وفق التقسيم الماركسي من طبقتين؛ "تمثل إحداهما نظام الإنتاج البائد، بينما الثانية هي النظام الآخذ في التكوين، والصراع الطبقي هو الوسيلة التي تنقل المجتمع من مرحلة إلى أخرى، واتباع هذا المنطق الجدلي في تحليله للمجتمع الغربي المعاصر الذي دعاه بالمجتمع الرأسمالي، والمنقسم إلى طبقتين: الطبقة البرجوازية أو المالكة لوسائل الإنتاج وطبقة البرولتاريا "العمال" والصراع بينهما حتمي لا مفر منه، وسوف يؤدي من خلال الوعي الطبقي والعمل العسكري إلى تدمير النظام الموجود ليرثه النظام الاشتراكي الذي يتميز بالملكية الجماعية لوسائل الإنتاج"<sup>4</sup>.

إن تحليل النظرية الماركسية يبين أنها تبحث عن الحقيقة السوسيولوجية "في باطن الطبقة، فكيف تتحقق الموضوعية؟ موضوعية الفكر [...] ولذلك يبدو جلياً أن النظرية

<sup>1</sup> - نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها تطورها، ت: محمود عودة وآخرون، القاهرة، دار المعارف، ط6، 1982، ص 86.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 86.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 85.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص 86.



د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

الماركسية هي نظرية ثورية، تمثل مصالح البروليتاريا، ثم أنها تقف إلى جانب الفكر البروليتاري وحده، ومن هنا كانت الماركسية متحيزة، ثم إنها متحيزة<sup>1</sup>، فالماركسية "إيديولوجيا بالمعنى الشمولي للكلمة، فهي في الوقت الذي تستخدم المنهج المادي الديالكتيكي للكشف عن وقائع محددة تمثل جوهر النظام الرأسمالي؛ فائض القيمة، الربح، البضاعة، التناقض الأساسي والتناقضات الثانوية...، فإنها تسعى وراء مشروع سياسي كبير: بناء عالم شيوعي خال من القهر الطبقي والسياسي والاجتماعي، بناء علاقات إنسانية حرة، جديدة، وبعيدة عن الاستغلال"<sup>2</sup>، والذي يؤكد هذا، مبدأ "حزبية (التزام) الإيديولوجية اللينينية الذي تسترشد به الأحزاب الماركسية-اللينينية هو سلاح حاد لا بديل له في الصراع ضد التحريفية المعاصرة"<sup>3</sup>.

إن "الموضوع الإنساني والاجتماعي على عكس الموضوع الطبيعي موضوع مزدوج: موضوع ذاتي داخلي/ وموضوع خارجي عن العقل"<sup>4</sup>، يتهم المفكرون " منذ نشأة علم الاجتماع وانتشار الإيديولوجية الماركسية سابقهم بجهل القوانين الوضعية التي تسير عليها المجتمع [...].، إلا أن هذه النظرية تتغير جذريا عندما نلاحظ أن المقاربة السوسيولوجية تغيب مسألة إضفاء المعنى وتسقط في فخ "وهم الواقعية" (l'illusion réaliste) الذي يحصر الواقع في مجموعة من الممارسات الخالية من المرجعية التي تؤسسها"<sup>5</sup>، ويسترسل "Akoun" قائلا: "يفكر أعضاء أي مجتمع كان حول ذاته انطلاقا من أسطورة [إيديولوجية] نشأته، إن الأسطورة ليست تاريخا ميتا وضع قصد تلبية رغبة السماع إلى القصة الخيالية أو على الكيان الاجتماعي الحالي [...].، إن الحرص على وصف ظروف نشأة المجتمع يدل على الأهمية الكامنة للسؤال، ذلك ما حدث بالنسبة لنظرية العقد الاجتماعي؛ إذ اللجوء إلى أسطورة [إيديولوجية] نابعة من العقل

<sup>1</sup> - قباري محمد إسماعيل، مرجع سابق، ص 210.

<sup>2</sup> - يوبوف س.ي، نقد علم الاجتماع البورجوازي المعاصر، ت: نزار عيون السود، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط2، 1984، ص 53.

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 198.

<sup>4</sup> - السعيد بولزاود، مرجع سابق، ص 61.

<sup>5</sup> - رشيد ميموني، مرجع سابق، ص 165.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

الإنساني يدل على العجز الذي وصل إليه التنظير [...]، إنها المعضلة المعرفية التي يتخبط فيها علم الاجتماع الوضعي إثر توهمه بإمكانية التوصل إلى حقائق نشأة المجتمع<sup>1</sup>.  
 إن المستوى الخارجي من التحليل الإبستمولوجي والذي يتتبع الحوار الحادث بين الذات والموضوع؛ أي كيف تدرك الذات الموضوع؟، يظهر أن النظرية السوسيولوجية متورط من خلال روادها حتى النخاع في التوظيفات والتبريرات الإيديولوجية، بل إنه من غير الممكن فهم تكون تلك النظريات تاريخيا ومعرفيا إلا بالانتباه للبعد الإيديولوجي الذي كان المنطلق والمنتهى في النظرية السوسيولوجية الوضعية، فاعتبار ظواهر المجتمع كموضوع لتلك النظرية يدرك من خلال الرؤية الإيديولوجية المسبقة للذات المنظرة، وبالتالي فهي تبحث عن عناصر غير قابلة للملاحظة الحسية التي تفترضها المنظومة الفلسفية الغربية ومن خلالها المنهج الوضعي، وكتحصيل منطقي تقع النظرية في تناقض عندما تصل في نهاياته إلى العناصر غير المحسوسة وغير القابلة للتجميع.

ثانيا- النظرية السوسيولوجية واستحالة تجميع الجزأ:

بعد عرضنا للمستوى الخارجي الإيديولوجي والذي يؤثر بشكل مباشر على حسية الظاهرة المدروسة، نحاول هنا تحليل المستوى الداخلي عند تجزئة الظاهرة الاجتماعية، إن علم الاجتماع "الذي يحاول فهم المجتمع غير المكتمل هو أيضا، مثل موضوعه، غير مكتمل، ومع ذلك فإن هذا العلم تنازل عبر تاريخه عن الكثير من طموحه، هذا إلى أن بدأ يصبح أكثر فأكثر "طوبولوجيا" (هندسة لا كمية) (أدورنو) [...].، إن الحالة الراهنة تشجع انزلاق علم الاجتماع إلى فكر باطني أو خبرة اجتماعية [...].، لكي يستطيع علم الاجتماع فهم المجتمع أي امتلاك المجتمع نظريا أو ذهنيا مع الآخرين هو بحاجة إلى فضاءات عامة جديدة عليه أن يبتكرها لنفسه<sup>2</sup>.

شكل "الموضوع" منذ نشأة السوسيولوجيا تحديا كبيرا للذات المنظرة. فكل "علماء الاجتماع أو تقريبا بحثوا عن تحديد موضوع علم الاجتماع، هذا يعني بصفة أخرى، أنه لا أحد

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 166.

<sup>2</sup> - يان سبورك، 2009، ص 19.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

استطاع فعلا أن يصل إلى ذلك"<sup>1</sup>، فالاختلاف في تحديد "الموضوع" يرجع بشكل أساسي إلى البعد الإيديولوجي الذي بيناه سابقا، لأنه " بسبب العيوب الإيديولوجية والتحليلية، يكون من الصعب استخراج من البديهية الأساسية لهذا النموذج نظريات [...]، فالتوجهات التحليلية والعيوب الإيديولوجية لهذا النموذج أثرت هي الأخرى بصفة حاسمة في اختيار مواضيع البحث"<sup>2</sup>، حيث تعد "المفاهيم" الحجر الأساس في بناء الموضوع السوسولوجي، وعليه يكون الاختلاف بين الذوات المنظرة راجع إلى التصورات والتمثلات الذهنية التي تجرد العناصر المادية في لحظة مقاربتها، هذه الذوات لها أطرها المعرفية والثقافية واللغوية التي تستمد منها أدوات التفكير والتعبير، والتي إذا اختلفت اختلف تحديد موضوع المعرفة، فالقيم والقواعد والرموز التي تحملها هذه الذات المتفاعلة، تشكل المسارات الطبيعية لتطور التفكير، ف"كل حركة فكرية أو اجتماعية في تاريخ البشر قامت على أساس هذه المبادئ الثلاثة حيث تقوم لتدافع وتطالب بتحقيق قواعد وقيم معينة عن طريق رفض قواعد وقيم أخرى، وذلك عن طريق استعمال جملة من الرموز والإشارات للدلالة على غرضها"<sup>3</sup>، وعليه تكون "الخطابات السوسولوجية كما خطابات العلوم الاجتماعية الأخرى تشكل جزءا من عملية التأمل الذاتي التي يقوم بها المجتمع على ذاته"<sup>4</sup>.

إن "اليوم حتى مصطلح المجتمع أصبح ضبابيا"<sup>5</sup>، فأزمة الموضوع السوسولوجي إستيميا يرجع لإدراك الذات المنظرة والتي تنتج وتعيد إنتاج أزمة النظرية، وعليه نفهم بسهولة لماذا " أصبح علم اجتماع حزينا، ذلك لأنه أهمل بشكل واسع النقاشات المؤسسة على الكائن الحي وعلى تجارب الذوات المعيشة وعلى مخاوفهم وشكوكهم وقلقهم [...]، إن علماء الاجتماع [الذوات المنظرة] ينقطعون عن التجربة الملموسة لحياة المجتمع وعن العلاقة الحسية

<sup>1</sup> - Raymond Boudon, la crise de sociologie, Paris : Ed. Dalloz, 1971.p 37.

<sup>2</sup> - R. Raymond Aron, les étapes de la pensée sociologique, Paris : Ed. Gallimard, 1960.1967.p112.

<sup>3</sup> - رشيد دحدوح، الإيستمولوجيا التكوينية عند جون بياحي (1896 – 1980)، جامعة قسنطينة: معهد الفلسفة، رسالة ماجستير، 1998، غ.م. ص 346.

<sup>4</sup> - يان سبورك، مرجع سابق، ص 36.

<sup>5</sup> - نفس المرجع، ص 55.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

والحميمة [...]، إن عالم الاجتماع لكي يتجاوز هذه المقاربة عليه أن يتموضع بوعي في المجتمع، ذلك لأن الوقائع الاجتماعي قابلة للفهم من الداخل لأن المجتمع هو عالمنا<sup>1</sup>، إن تغيير المصير المأزوم للنظرية السوسولوجية يمكن أن تبدأ في الفكر من خلال العمل على المفاهيم<sup>2</sup>.

إن التركيز على المفاهيم لبناء الموضوع السوسولوجي يفهم في سياق الاستحالة التي توصلت إليها النظرية السوسولوجية الوضعية؛ فعندما يتم تحديد المفاهيم ثم تجزئتها منهجياً، تنتهي الذات المنظرة إلى آخر عملية التفكير الوضعي محاولة جمع المجزأ وإعادة تركيبه في صياغة تنظيرية، فيستحيل عليها ذلك لحضور عناصر غير محسوسة كنتيجة للتجزئة، إن العلم الاجتماعي "الغربي بإهماله للعناصر الأخلاقية والروحية يكون قدم لنا تفسيرات مشوهة، وقاصرة، لا تعكس حقيقة الإنسان"<sup>3</sup>، ومثل ذلك ما قام به أوغست كونت ضمن "فلسفته الوضعية التي أراد بها تخطي الهوة التي تفصل بين التخصصات العلمية وتجنب التقوقع الثقافي الذي يحدد التطور العالمي وذلك من خلال عمل الفيلسوف الوضعي على التنسيق بين مختلف نتائج العلوم الجزئية داخل نظرة توحيدية وشمولية ترتقي فوق طور التجزيء والتشظي الذي يتميز به العلم"<sup>4</sup>، فعند معالجته لمفهوم الإنسانية "كفكرة مجردة لا توجد إلا في عقل الفيلسوف الميتافيزيقي البعيد عن الواقع، ولقد حمل كونت على الميتافيزيقيا، ولكن ذلك لم يمنعه من استخدام الميتافيزيقية التي تغلب على فلسفته إلى حد كبير"<sup>5</sup>، وهي نفس التهمة التي "وجهها إليه أتباعه أمثال دوركايم وليفي بريل وعالم الاجتماع الفرنسي ليتري، وقد اتهموه بالاضطراب في التفكير والتناقض وخيانة المبادئ الوضعية"<sup>6</sup>.

إن البناءات النظرية "يتمثل طموحها المعلن في ممارسة تحليل الموضوعية الاجتماعي [من جهة] وفي تحليل السلوكيات الذاتية التي كونها [العلماء من جهة أخرى]، إن كل هذه الأمور

<sup>1</sup> - نفس المرجع ، ص 88.

<sup>2</sup> - نفس المرجع ، ص 91

<sup>3</sup> - عبد العزيز بالشعير، مرجع سابق، ص 56.

<sup>4</sup> - محمد جديدي، مرجع سابق، ص 113.

<sup>5</sup> - مصطفى الخشاب، أوجست كونت، القاهرة: لجنة البيان العربي، 1950، ص 85.

<sup>6</sup> - ليفي بريل، مرجع سابق، ص 350.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

تذهب في اتجاه قوننة واختزال علم الاجتماع في النهاية إلى مجرد نسق من التقنيات ومن الأفكار الفارغة من المعنى الاجتماعي والحساسية الاجتماعية [...]، من سنوات 1960 إلى 1990، يسود نشاط كبير، يبدو أنه ينتج نظريات سوسولوجية ساكنة امتثالية، وضعية وأداتيه<sup>1</sup>. أشار "كارل بوبر" إلى "استحالة تجربة النظرية أو التأكد منها، لأن النظرية بكل بساطة لا يمكن إلا نفيها، وذهب "إمر لاكاتوس" إلى أبعد من ذلك مؤكدا ليس فقط استحالة تجريب النظريات، بل استحالة نفيها أيضا؛ إنها برامج البحث ومنظوراتها النظرية هي التي تقارن ثم يختار بعضها دون غيره على المدى البعيد لصلاحيتهما. أما "توماس س. كوهن" فيؤكد بكل بساطة استحالة قياس الباراديجمات (النماذج النظرية): لا يمكن تجربة باراديجمات مختلفة إميريا، لأنها هي التي تحدد نوع المعطيات الملاحظة، ودون الدخول في مناقشة معمقة لهذه المواقف، فإن الملاحظ تشكك في إمكانية اختبار النظريات<sup>2</sup>، فبالرغم من "الانهار الذي تحدثه الكثير من هذه النظريات، فنحن لن نجد فيها نظريات لمجتمع اليوم، وذلك لأن هذه النظريات تنتهي إلى عصورها فهي مهما كان فيها من تعليم إلا أنها لا تتمتع بالعلم الكلي"<sup>3</sup>، في التحليل النقدي " لنظريات علم اجتماع لا يتم الاكتفاء بتبيان حدود وعيوب أو الطابع الوضعي لهذه النظريات، إن الأهم من ذلك يكمن في أن هذه النظريات تتحاشى أيضا الكائن الحي، الذاتية بالمعنى والتجاوز"<sup>4</sup>.

فالنظريات السوسولوجية بالنسبة لماركس " ترتبط بشكل حميمي بتاريخ البشر الذي تتغير خلاله علاقاتهم الاجتماعية وشروطهم المادية [...]، إن النظريات الاجتماعية يجب أن تأخذ بالحسبان مرساها أو أساسها الاجتماعي وان لا تقدم الأفكار على أنها مستقلة لا اجتماعية ولا

<sup>1</sup> - يان سبورك، مرجع سابق، ص-ص 17-21.

<sup>2</sup> - فضيل دليو، مرجع سابق، ص 135.

<sup>3</sup> - يان سبورك، مرجع سابق، ص 25.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص 33.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

تاريخية (ماركس)<sup>1</sup>، وهذا ما يرشح "ذاتية عالم الاجتماع المنضوي بعمق في تحليل العلاقات الاجتماعية هي السبب في إمكان أن يكون علم الاجتماع نظرية نقدية للمجتمع"<sup>2</sup>.  
 إن النظريات السوسيولوجية الكلاسيكية وحتى المعاصرة "تنتمي إلى عصر غير عصرنا، إنها تنتمي إلى الماضي، إن الأمر لا يتعلق بإقامة البرهان على صلاحيتها الأبدية [...] إن نظريات علم اجتماع القائمة لم تعد تتناسب مع عصورها [...] إنها تتناسب مع أوضاع يعتبر فيها الناس أنفسهم بمثابة جمع من الذرات.. إنها ليست طرق استعمال أو مجرد وصفات للمطبوع"<sup>3</sup>، فعلى علم الاجتماع "من أجل الدفاع عن موقعه ومن أجل تشريع نفسه وإعطاء معنى لأعماله ولوجوده، يجب أن يتدع لنفسه نظرية تستند بطريقة ما على طبيعة ثابتة قائمة بذاتها [...] إن النظريات التقليدية "هوركايمر" تحدد بشكل جيد "الجذع المشترك" بين التيارات المسيطرة في علم اجتماع [...] ويتسرب إلى هذه السوسيولوجيا نوع من الميتافيزيقا الضامرة: انه القدر المحتوم"<sup>4</sup>.

أما عن الكم الهائل مما "يطلق عليه اسم النظريات في علم الاجتماع، فلا سبيل لإلزامنا بإحداها، فهي علوم ضمنية وليست من الحقائق العلمية التي لا يختلف فيها بل إن مثل هذه البحوث يمكن اعتبارها من قبيل ميتافيزيقا علم الاجتماع. وهو يقابل مثيله من البحوث التي تدخل فيما يسمى بفلسفة العلوم في العلوم الطبيعية. ففي مثل بحوث هذه العلوم الاجتماعية تدنس العناصر الشخصية بفعل الأفكار السابقة التي يلبسها صاحب النظرية حلثا علمية ظاهرة بتطبيقها على بضع حوادث من غير استقرار، أو بفعل قصدي تدفع إليه هيئة عامة أو خاصة ذات سياسة خاصة وتحدد له النتيجة التي ينبغي أن يصل إليها بحثه "العلمي"،

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 83

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 89

<sup>3</sup> - نفس المرجع، ص 119.

<sup>4</sup> - نفس المرجع، ص-ص 214-216.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

أو بفعل تفكير خاطئ كعدم التمييز بين السحر والدين أو عدم التمييز بين وجود الله في ذاته وفكرة الإنسان عن الله وعقيدته به"<sup>1</sup>.

يؤكد "ب.كوهن" بأن "بعض هذه النظريات الاجتماعية غالباً ما يشبه النظريات التحليلية أو الغائية التي لا يمكن اختبارها أمبريقياً، الكثير منها لا يمثل تقارير عامة كلية، ولا تقارير عن الحقيقة، الكثير منها يتنبأ ببعض الأشياء التي تتسم بالغموض"<sup>2</sup>، ثم إن هذه النظريات "الظنية" قد تلعب "دور العائق الإبستمولوجي، وذلك حين تضع مجموعة من المفاهيم المتناسكة المنغلقة، وحينما يتجه سعي العالم إلى أن يحافظ دائماً في عمله وهو يعمل بهدي من النظرية على تحقيق تماسكها أكثر مما يسعى إلى امتحان فاعليتها"<sup>3</sup>، فأزمة النظرية السوسولوجية أصبحت واضحة وتتوسع كل يوم والتي تظهر في "تجريب الفرضيات النظرية أو النظريات التي دخلت في أزمة نتيجة انتقادات "بوبر، لاكاتوس، كوهن" (Popper, Lakatos, Kuhn مجموعة فيينا (Kaufman Ayer, Neurath)، التي تركز على أطروحات قابلة للتجريب وتعتبر أن الاستقراء هو أساس المعرفة العلمية"<sup>4</sup>.

إن العوائق أكبر من أمل التجاوز "وقد أشار "جولدنر" إلى تلك الصعوبات عندما قال: مما لا شك فيه أننا سوف نشعر بمدى الصعوبة التي تواجهنا عند الحديث عن النظرية في علم الاجتماع لما نجده من حشد هائل لآراء واتجاهات فكرية كثيرة ومختلفة أغلبها حول تفسير الظواهر الاجتماعية وترددتها، وحينئذ وجب علينا البحث عن نقاط الاتفاق بينها، والتي يتعدى بسهولة التعرف عليها حتى بين أكثرها عمومية، وهذا الأمر إلى جانب الخلاف القائم من قبل حول تلك المسائل الميتودولوجية سوف يزيد من صعوبة مهمتنا"<sup>5</sup>، ويشير "أكون" (Akoun) إلى

<sup>1</sup> - فضيل دليو، مرجع سابق، ص 119.

<sup>2</sup> - مراد زعيبي، مرجع سابق، ص 98.

<sup>3</sup> - محمد وقيدي، مرجع سابق، ص 139.

<sup>4</sup> - فضيل دليو، مرجع سابق، ص 135.

<sup>5</sup> - مراد زعيبي، مرجع سابق، ص 116.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

أن "التركيبات النظرية التي توصل إليها علم الاجتماع لم تجعله يصل إلى سر اللحمية الاجتماعية"<sup>1</sup>.

إن أسباب الأزمة مستحيلة التجاوز، لغياب "منطلقات فكرية مرجعية موحدة قادرة على التضييق من دائرة الخلاف، وهذا يبرهن على مدى خضوع هذه النظريات للنزعات الذاتية والآراء الشخصية والتوجهات المذهبية، مما يحول دون بلوغ الأهداف العلمية ويجعل من علم الاجتماع مجالاً للصراع المذهبي"<sup>2</sup>، ثم إن هذه النظريات "الظنية" قد تلعب "دور العائق الإبيستمولوجي، وذلك حين تضع مجموعة من المفاهيم المتناسكة المنغلقة، وحينما يتجه سعي العالم إلى أن يحافظ دائماً في عمله وهو يعمل بهدي من النظرية على تحقيق تماسكها أكثر مما يسعى إلى امتحان فاعليتها"<sup>3</sup>، ويعتبر رايت ميلز "أن أصحاب النظريات الكبرى يقدمون أطراً فكرية تصويرية بالغة التجريد حتى لتبدو في صورتها النهائية "تدريباً ذهنياً" على استخدام المقولات النظرية، وبذلك تفقد "النظرية الكبرى" قوتها التوجيهية وتبتعد بالتالي عن محاولة فهم المشكلات الواقعية"<sup>4</sup>.

خاتمة:

إن النظرية السوسولوجية الغربية منظومة جزئية قائمة بذاتها، تنتمي إلى منظومة أوسع وأشمل وهي المنظومة الفلسفية الغربية (المتراصة والمتناسكة)، والتي تستمد منها مسلماتها وبيدهياتها لتشكيل مفاهيمها ومناهجها، وبالتالي كمحصلة؛ فالنظرية السوسولوجية تحتوي كل ذلك الإرث المعرفي الفلسفي الغربي، فالأزمة التي تعيشها النظرية السوسولوجية، ما هي إلا امتداد لأزمة المنظومة الفلسفية الغربية المتناقضة، والتي بين البرهان المنهجي الإبيستمولوجي عدم التوافق إلى حد التعارض بين مقدماتها ونتائجها.

<sup>1</sup> - رشيد ميموني، مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup> - محمد أمزيان، مرجع سابق، ص 101.

<sup>3</sup> - محمد وقيدي، مرجع سابق، ص 139.

<sup>4</sup> - السيد الحسيني، مرجع سابق، ص 203-204.



د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

أي عندما وصلت أزمة النظرية السوسولوجية إلى النتيجة الداخلية (تجميع الأجزاء الحسية واللاحسية) التي تناقض فيها المسلمات المعرفية الفلسفية الخارجية التي سلمت ببدايتها (الحسية)، استحالة على النظرية إيجاد الحل لتجاوز أزمته وإعادة التوازن لمنظومتها المعرفية، فالاستحالة تشير إلى الحالة النهائية للعائق المستمر، غير قابل للقطيعة المعرفية (التناقض بين الحسي ولاحسي)، فالتراكم غير المحتمل للعوائق، والتي لا تجد حلاً أو تفسيراً داخلياً في المنظومة الفلسفية الوضعية، نتيجة للتناقضات التي تحدثها عملية التفكير المستمرة وبشكل خاص بين المقدمات والنتائج، نتيجة لتراكم لانهائي لغرائز وأهواء الذات المفكرة، والتي لا تقبل العلاج النفسي المعرفي، إنها الحالة الميئوس منها إبستمولوجياً، وبالتالي تدل الاستحالة عن الأزمة المزمنة لمنظومة النظرية السوسولوجية الوضعية.

\* قائمة المراجع:

1- باللغة العربية:

1. بوبوف س.ي، نقد علم الاجتماع البورجوازي المعاصر، ت: نزار عيون السود، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط2، 1984.
2. جيوفاني بوسينو، نقد المعرفة في علم الاجتماع، ت: محمد عرب صاصيلا، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، ط1، 1995.
3. رشيد دحدوح، الإبستمولوجيا التكوينية عند جون بياجي (1896-1980)، جامعة قسنطينة: معهد الفلسفة، رسالة ماجستير، 1998، غ.م.
4. السعيد بولمزود، محاولة في إعادة التأسيس للتفكير العلمي في الموضوع الاجتماع، رسالة دكتوراه في علم الاجتماع، جامعة قسنطينة: قسم علم الاجتماع، 2002، غ.م.
5. سمير أمين، التمرکز الأوروبي: نحو نظرية للثقافة، الجزائر، موفم للنشر، 1992: 163.
6. عبد الباسط عبد الباسط المعطي، " في استشراف مستقبل علم الاجتماع في الوطن العربي: بيان التمرد والالتزام"، مجلة المستقبل العربي، بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 1986.

د. أحمد عماد الدين خواني ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

7. عبد العزيز بوالشعير، النظام المعرفي في الفكر الإسلامي المعاصر: إسماعيل الفاروقي نموذجاً دراسة تحليلية مقارنة، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة: قسم الفلسفة، 2008.
8. عنصر العياشي، "الإبستمولوجيا وخصوصية العلوم الإنسانية -عناصر أولية للتفكير-" ملتقى نادي فلسفة العلوم، قسنطينة: معهد العلوم الاجتماعية، ديسمبر 1981، ص 67.
9. غ بوتول، تاريخ السوسيولوجيا، ت: محمد حقي، بيروت: منشورات عويدات، 1977.
10. فضيل دليو، علم الاجتماع المعاصر ثنائياته النظرية والمنهجية، قسنطينة: مؤسسة الزهراء للفنون المطبعية، 2004.
11. ليفي بريل، فلسفة أوجست كونت. ت: محمود قاسم وسيد بدوي، القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1952.
12. محمد محمد أمزيان، منهج البحث الاجتماعي بين الوضعية والمعيارية، فرجينيا: المعهد العالمي للفكر الإسلامي، ط4، 2008.
13. محمد وقيدي، ماهي الإبستمولوجيا، الرباط: مكتبة المعارف، ط2، 1987.
14. مراد زعيبي، النظرية العلم اجتماعية رؤية إسلامية، رسالة دكتوراه، جامعة قسنطينة: معهد علم الاجتماع، 1997، غ م.
15. مصطفى الخشاب، أوجست كونت، القاهرة: لجنة البيان العربي، 1950.
16. نبيل السمالوطي، الإيديولوجية وأزمة علم الاجتماع المعاصر، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1975.
17. نيقولا تيماشيف، نظرية علم الاجتماع طبيعتها تطورها، ت: محمود عودة وآخرون، القاهرة: دار المعارف، ط6، 1982.
18. هنري أيكن، عصر الإيديولوجية، ت: محي الدين صبحي، دمشق: منشورات وزارة الثقافة السورية، 1971.
19. يان سبورك، أي مستقبل لعلم الاجتماع؟ في سبيل البحث عن معنى وفهم العالم الاجتماعي، ت: حسن منصور الحاج، بيروت: مجد، 2009.

د. أحمد عماد الدين خوانسي ..... النظرية السوسيولوجية الوضعية وسؤال التجاوز

20. يوبوف س.ي، نقد علم الاجتماع البورجوازي المعاصر، ت: نزار عيون السود، دمشق: دار دمشق للطباعة والنشر، ط2، 1984.

2- باللغة الأجنبية:

21. Alain Touraine, Pour la Sociologie, paris : édition du Seuil, 1974.
22. R. Raymond Aron, les étapes de la pensée sociologique, Paris : Ed. Gallimard, 1960., 1967.
23. Raymond Boudon, la crise de sociologie, Paris : Ed. Dalloz, 1971.



## ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسيولوجية) الجامعة الجزائرية أنموذجا

بقلم: د. إسمهان بلو

جامعة محمد بوضياف المسيلة

### ملخص:

قولبة نمطية، جمود وعزلة فكرية، تفكير مشخصن، هي منطلقات صارخة قولبة البنية الجامعية بمنطلقات ترمتية كابحة للرصانة والوثاقة المعرفية، سقفت فكر الفئات الفاعلة (الأساتذة) وحتى مستوي الفهم والإدراك إلى تأسيس منطقية بل ثقافية منحرفة عن المعايير العقلانية تأسس الذات وتأنثها "المثلثة" بل تثمن آليات إقصاء وتهميش فكر الآخر، فهناك تواشج بين الميل إلى السيطرة على الأخر وبين تأنيثه رمزيا، فالأستاذ المتصلب يميل إلى المغالاة والقطيعة كترسيمة عاطفية صارمة ضد الأستاذ البناء (المنفتح فكريا) بحيث يهيكلها التزمت، الغلو والتمسك الضيق الأفق بأفكاره الكابحة لإرهاصات التسامح الفكري إن موضوع الورقة البحثية الموسوم بـ: ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسيولوجية) الجامعة الجزائرية أنموذجا، يعد محاولة رائجة في الفكر السوسيولوجي المضمن للطرح والتناول النسقي لثقافية البيئة الجامعية الصانعة للدوغمائية والفكر المنغلق لتغدوا الجامعة الجزائرية القاتل الصامت للتنمية المجتمعية.

د. إسمهان بلق ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

### أولا. التعصب الفكري: تأويل الدوغمائية في منطلقات انساق المعتقدات\*

تكشف المنطلقات الدوغمائية في سياقها الدلالي عن ترسيمات معرفية تحيد فتنحرف عن الأصول المعيارية على مستوى الثلوث "المعياري، العدالي والإنساني" ليحدث التعصب في شكل أحكام متعجلة بل كحسية مسبقة وتعميمات مفرطية تهيكّل للقولبة النمطية. ليغدوا التعصب "حالة من التصلب الفكري ورؤية العالم في إطار جامد يعبر عن غلو في التعلق بفكره بحيث لا يدع مكانا للتسامح المعرفي"<sup>1</sup>.

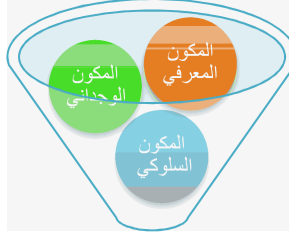
فجذر التعصب يكمن في وهم اعتقاد المتعصب فردا أو جماعة بامتلاكه وحده الحقيقة الكاملة وبشكل ثابت ونهائي ومطلق لتكون النتيجة المنطقية أن الآخر هو الجزء المناقض من عالم المقال أي أنه الآخر المختلف على باطل بشكل كامل وثابت ونهائي ومطلق<sup>2</sup>. قائم على أسس واهية يحكمها موقف عاطفي صارم، يبلور مظاهر معرفية وسلوكية تصب في خانة "التمييز وعدم التحمل" "فرفض فكر الآخر وعدم قبوله والاستماع إليه وترك التجرد والإنصاف في الحكم عليه والتشدد في التعامل معه ونقده بألذ صور وتكوين صورة وإطار معين لفكر المخالف مشوبة بكثير من الأخطاء والمغالطات، لها مواقف عاطفية وسلوكية إنحرافية عن المعايير العقلانية وهذا ما توضحه الترسيم التالية:

\* - تضمن الدلالات اللغوية ان التعصب مصدر من الجذر (ع ص ب) منه الأعصاب التي تعصب جسم الكائن الحي وتشد بعضه الى بعض ليتمكن من اداء وظائفه فهو مصدر يدل على الربط والارتباط او الشد والانشداد والضم والانضمام ينطوي على فعل وانفعال او مطاوعة.

<sup>1</sup> علي اسعد وطفة : مظاهر التعصب وتحدياته في العالم العربي : اين معادلة التسامح في التربية العربية، ورقة مقدمة لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، الندوة الثقافية للدراسات الاستشرافية في الوطن العربي حول صناعة ثقافة وهندسة الحوار مع الآخر، يومي 24 . 26 نوفمبر 2013، ص 05.

<sup>2</sup> الجباعي جاد الكريم، الزعتري علاء الدين، أبو حلاوة كريم: التعصب و علاقته بالتطرف و العنف، مجلة مداد، مركز دمشق للأبحاث و الدراسات، 2017، ص 3.

د. إسمهان بلوم ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا



ترسيمة رقم (01) توضح المكونات الدلالية للتعصب الفكري

المصدر: الباحث اسمهان بلوم

تعكس الترسيم في سياقاتها المعرفية الثلوث " الصور النمطية، مشاعر الكراهية والمسافة الاجتماعية نحو الآخر"المختلف فالمكونات المعرفية والوجدانية والسلوكية هي الارهاصات الكافية التي تجعل من التعصب كتجريد شمولي باعث على التحايز الاجتماعي والانتقامية والكيد "فهو شيم من شيم الضعف وخلل من خلل الجهل، يتلى بها الانسان فتعى بصره وتغشى على عقله فلا يرى حسنا إلا ما حسن في رأيه ولا صوابا إلا ما ذهب إليه"<sup>1</sup>. فلاتسوغ الإشاحة عن هذه الحقيقة والانصراف عن فهمها ومفهمتها وتحليلها ونقدها بحسبانها شكلا من أشكال الوعي الذاتي وشكلا من أشكال التفكير والإدراك والتمثل، بل تعتريه جذوره الثاوية في اغتراب الفاعل عن إنسانيته الى مستوى الرغبة التي تأججه وإرادة السلطة والسيطرة التي تستثمره "فلعلنا لانجد هذا التحول الخطير من حقل الحاجة إلى حقل الرغبة والهوى وإرادة القوة إلا مشغوبا بالسلطة فلا ينفك التعصب عن آليات تولد السلطة والمبادئ التي تؤسسها ابتداء من جيناتها الأولية فإذا حذفنا عنصر السلطة من التعصب لا يبقى سوى الاقتناع والحماسة\*؛ ليغدوا التعصب الفكري متأني عن انحراف معايير العقلنة والرشد التي

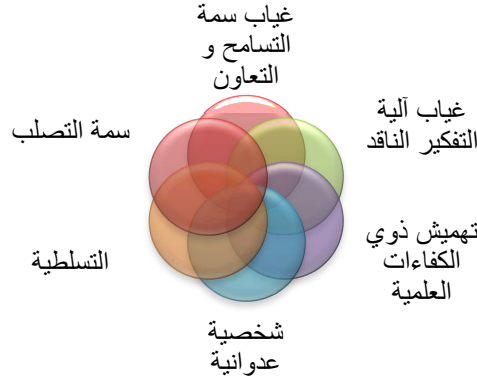
<sup>1</sup> - فؤاد عبده الحاج البعداني: التعصب الفكري والمنهجي والحزبي آفة الجماعات الإسلامية، مجلة القلم، العدد 02، 2014، ص102.

\* - كشفت التحليلات الدلالية لجاد الكريم الجبائي مرجع سابق، ص 5، " عن مواطن حضور التعصب واماكن انبعاثه فهو الميل الى فكرة والجد في مناصرتها والدفاع عنها لأن من صفات المتعصب ان يسخر عقله لهواه وان يجد في نصره رأيه بالعنف وان يضيف عن المناظرة بالحق فهو إذن نقيض للحرية والتسامح".

د. إسمهان بلوم ..... ثقافية التعصب المجنس وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

تعتبر المحدد الأساسي للفكر الوسطي السليم، المتفتح، الاستيعابي، الذي يقبل فكرة الآخر مهما كانت مخالفة له.

ثانيا : سيكولوجية التعصب : نحو مزيد من التجريد والشمولية:



ترسيمة رقم (02) توضح سيكولوجية المتعصب

المصدر: الباحث بلوم اسمهان

1. الجمود الفكري: ولوج الفكر الروكيشي\*

تكاشف المنطلقات النظرية لـ " روكيش rokeach " حول انساق المعتقدات عن بداية الانبثاق الفكري لمفهوم الجمود الفكري ولوجه حيز الفكر السوسولوجي، حيث وضعت القضايا المنطقية الخصبة لانساق المعتقدات عبر متصل ثنائي القطب يقع على أحد طرفيه منفتحو العقل لتغدوا الموقعية المكانية لمنغلقى الذهن في طرفه الآخر.

يعد تأويل الجمود عند روكيش تمثيلا حقيقيا لفهم التعصب الفكري فهو يشكل المظاهر السلوكية والمعرفية المتعلقة بالأفكار والمعتقدات المنتظمة في نسق ذهني مغلق جمودي " فأصل التعصب هو نزع وتآلب وتجمع ومعادات للآخرين دونما ترو او وازع من عقل"<sup>1</sup>.

\*- تناول روكيش ظاهرة الجمود الفكري بدراسات عديدة اثمرت عن نظرية متكاملة أطلق عليها الدوغمائية وتناول فيها العقل المنفتح والعقل المنغلق وبناء على هذه النظرية يمكن القول ان منفتحي العقول غير دوجماتيين هم الذين يقبلون التخلي عن بعض معتقداتهم ويقبلون الافكار الجديدة عكس الشخص المتزمت (فؤاد عبده الحاج البعداني مرجع سابق، ص 104)).

د. إسمهان بلو] ..... ثقافية التعصب المجنس وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

## 2. القولية النمطية: التفكير المشخص وأنا التسلطية الراضة:

إن معظم الصياغات النظرية حول القولية النمطية ارتبطت بالمقولات النظرية: "تاجفل" حول التصنيف الاجتماعي والذي يعد الترسيمية المعرفية الإدراكية التي يتم من خلالها ترتيب فتنظيم البنى المجتمعية وبالتالي تؤدي القولية النمطية كعملية معرفية خالصة إلى تجسيد وإبراز الفروق الفعلية بين الفئات الاجتماعية، بل تقتضي أشكال تعيين وتأسيس لعملية المثلثة.\*

المضخمة للذات المركزية "فالذات العصبوية والمركزية إنما تتشكلان بالسلب أو بالليس، سلب خصائص الأخر عن الذات ولا يتم ذلك إلا بالسيطرة عليه أو استبعاده ولما كانت الذات المركزية والهوية المركزية ذكورتين فمن البديهي ان يكون ثمة تواشج بين الميل إلى السيطرة على الأخر أو استبعاده وبين تأنيثه رمزياً<sup>2</sup>.

ويبلغ التعصب الذكوري مداه في تأنيث الأخر المختلف بغية إذلاله وهنا نفترض إن الأخر المختلف الذي يشكل اللامكان هو ما يشكل الذات المركزية ويؤسس الهوية المركزية بصفته كل ما تأنف الذات ان تتصف به وكل ما تعدده نقصاً مع انه مقيم في ثناياها وفجواتها وفي اعماق خفيتها وان السيطرة عليه أو استبعاده شرط لتمكن الذات.\*\*

<sup>1</sup> - فؤاد عبده الحاج البعداني نفس المرجع، ص 104.

\* "أي رفع الذات إلى مرتبة الأنا المثالي أو النحن المثالي الذي يعزف في الإعجاب بذاته وتقدير ذاته بنوع من التضخم النرجسي"، جاد الكريم الجباعي مرجع سابق، ص 13.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 24.

-\*\* ان الشخص المتعصب في تفكيره التنميطي القالبي سشوه العمليات السوية العادية للفكر الى تنميط فيه تعصب ضد أشخاص : فقصة إبليس مع ادم توضح صعود الانا بدافع التعصب والتي تمثلت بالانتصار للعنصر ويجسد إبليس اول اشارة الى العنصرية التي صارت داء نفسيا ومجتمعيا قال تعالى: "يا إبليس ما منعك ان تسجد إذ امرتك قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين".

وفي نفس الالسياق يقول "امبري embee" في كتابه امريكا السمراء "ان التعصب نوع من انواع النرجسية او عشق الذات فمغالات الافراد في حيم لانفسهم ويكل ما يماثلها امريلوذ بها تجنح بهم الى ضروب مختلفة من كره ومقت الافراد الاخرين المختلفين".



د. إسمهان بلق ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

لعل جذر المسألة يكمن في النظر إلى الآخر المختلف على انه موضوع للذات، "فالتعصب تنكرواع وهو الاساس المطموس الذي تتشكل الذات بدلالته فالأنوثة هي الأساس المطموس للذكورة والمرأة هي الأساس المطموس للرجل والفحولة تعويضه الهش"<sup>1</sup>.

### 3- منطق تسقيف العقول: العناصر المعرفية التكميلية:

يتحقق ذلك بسبب الاقتصار على رأيه دون غيره والذي يرى الصواب المطلق في رأيه وفكره أما الكفاءات والعقول المستنيرة ذات التفكير الوسطي، الاستيعابي، الاحتوائي العقلاني والرشيد فهي مهمشة، فيعمل المتعصب فكريا على تهميشها وإحداث المضايقات الدائمة لها وحجر نشاطاتها العلمية المعرفية فمنطق تسقيف العقول بل تسقيف الفهم والادراك هي ترسيمات كافية وكابحة للمنطلقات الإبداعية والتدافع الفكري بل التراكمية المعرفية الانفتاحية على الأنساق الفكرية والثقافية الجديدة.

يكاشف نسق تسقيف العقول عن ثقافية سلوكية تعويضية يستكمل من خلالها الشخص المتعصب عقد نقص كميكانيزم دفاعي يخفي آليات الكفاءة الفكرية ومحكات التفكير الناقد\* ليغدوا تهميش فكر الآخر ورفض الآخرين من زيارة عقولنا كتثمين عمدي لتهميش ثقافية التجديد والإبداع الفكري.

- انظر: عماد خليل محمد ابو هاشم : خبرات الطفولة وعلاقتها بالتسامح مقابل التعصب لدى طلبة المرحلة الثانوية العامة بمحافظات قطاع غزة رسالة ماجستير في علم النفس جامعة الأزهر، غزة، 2014، ص 42.

<sup>1</sup> - جاد الكريم الجباعي مرجع سابق، ص 08.

\* إن سمات الشخصية الناقدة تتمحور في ست أبعاد رئيسية وهي:

- أ. بعد التقويم: ويتضمن القدرة على إصدار الحكم وتقويم الحجج والقدرة على الإستدلال.
- ب. بعد المعرفة: يتضمن القدرة على التحدي، التخيل النقدي والمخاطرة المدروسة، المرونة المعرفية وتحمل الغموض.
- ج. بعد فهم قواعد المنطق: يشمل معرفة قواعد المنطق، الربط، التنظيم العقلاني وكشف المغالطات أثناء النقاش.
- د. بعد القدرة على التفسير: يتضمن القدرة على الإكتشاف والنقاش والجدل والميل إلى التفسير المنطقي للظواهر الحياتية وتطبيق المعارف.

د. إسهمان بلق ..... ثقافية التعصب المجنس وتأثير المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

فالشخص المتعصب فكريا ينعدم لديه غياب آلية التفكير الناقد لأن "آلية التفكير الناقد تكمن في لب العملية التعليمية أو ما أسماها ديوي بالتفكير المرتد أو المنعكس، فالفعل المنعكس أو المرتد أو التألمي تسبقه مرحلتان في الآلية للوصول إلى الحلول المناسبة وهما التردد والمحاولات العشوائية ثم الفعل المنعكس ثم التوصل إلى حلول للمسألة أو السؤال الموجه أو المشكلة المستعصية<sup>1</sup>.

ثالثا. نسق التواء التعامل الفكري: إفرازات التعصب الفكري:

ينبثق هذا النسق عن تفاعلات النسق الانتمائي فالتمائل مع المعايير غير المعقلنة والمعبرة عن شرعية غير مؤسسة على التبادل والتفاعل مع الآخر والبنية المنظمية ليغدوا هذا النسق الموجه السلوكي لانساق تجعل من الالتزام الاغترابي، التقاعس العمدي والعداء التهكمي كخاصية من خصائص الفاعل "الأستاذ الجامعي" الكاشفة عن فقدان الحس التنظيمي الجامعي، والمنبئة عن الاختلالات التي أضحت ميزة لسوك الأستاذ الجامعي، كاستجابة للمشقة الانفعالية المزمنة "القولبة النمطية" والذي ترسخ كمدارج عينية داخل البنية الجامعية في سياق صيرورة التهكم التنظيمي، الذي رسم مكانه ضمن خارطة الباثولوجيا التنظيمية الجامعية، نتيجة لسياق تناسقي متساند وظيفيا وكفئا امبريقيا يجعل من ثقافة التعصب الفكري من قبل بعض الأساتذة والفئات الإدارية المعالم التفكيرية والتوضيحية الكاشفة عن غياب جودة الحياة الوظيفية داخل النسق الجامعي ليعمل التهكم على بناء هيكل جديد في

هـ. البعد الوجداني: ينطوي على القدرة على التكيف مع المواقف الجديدة والثقة بالنفس، الدرجة العالية من الإتزان، تقبل آراء الآخرين، الإتصاف بالنشاط والفاعلية.

و. بعد الحساسية تجاه المشكلات: يتضمن الحساسية اتجاه المشكلات و القدرة على وضع الافتراضات الصحيحة وتحديد المشكلة بطريقة منطقية. "العتيبي خالد بن ناهس: أثر استخدام بعض أجزاء برنامج الكورت في تنمية مهارات التفكير الناقد وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2007، ص22.

<sup>1</sup> - العنزي سلطان منصور: الصعوبات التي يواجهها معلمو اللغة العربية في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت في تطبيق مهارات التفكير الناقد من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، كلية العلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط، 2011، ص05.

د. إسمهان بلو].....ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف(قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

السلوك التنظيمي "سلوك الأستاذ الجامعي" المثلثن لكل آليات الإخفاق، اليأس وفقدان الثقة "في الأساتذة والإداريين" لتتدرج حتى مستوى فقدان معنى العمل.

هيكلت المنطلقات النظرية للتبادل الاجتماعي إن المحكات المبلورة للتهكم المنظمي هي الارهاصات الكافية لجعل فئة الاساتذة تجد موقعا لها ضمن خارطة السلوكيات السلبية.\*\*  
العاكسة للسلوكيات التي تنتهك القواعد التنظيمية للعمل وتكون موجبة بقصد او بدون قصد نحو المنظمة او الافراد او كلاهما في خضم هذا الطرح تعد ظاهرة التراخي المنظمي من "الظاهر السلوكية السلبية الكاشفة عن الانحرافات التي تصدر عن الموظف اثناء تاديته لمهام وظيفته والتي تتعلق أساسا بالعمل ومن أهمها الكسل والرغبة في الحصول على اكبر اجر مقابل اقل جهد وتنفيذ احد الأدنى من العمل وعدم الجدية في العمل والقبول بمستويات متدنية من الاداء"<sup>1</sup>.

#### 1. سرقة الوقت:<sup>2\*</sup>

المنطلقات العينية للقولبة النمطية تكشف عن ادواره الفاعلة المضمنة لمعالم هوية منظمية سلبية والكابحة للوجدانية والاندماج مع الواقع الجامعي، لهذا يقول appelbaum p. 588. 2007 إن ضحايا الانحراف في مكان العمل هم أكثر عرضة للمعانات من المشاكل المرتبطة بالتوتر والتي تظهر من خلال التعمد في ضياع وقت العمل وانخفاض الأداء البيداغوجي وارتفاع معدل الدوران "فإنعدام الرضى الوظيفي هو الموقف الذي يعكس كيف يشعر الموظف

\*\*ان الكبت عن طريق استخدام السلطة القاسية او الحكم بقسوة، يجعل المجموعات في مكانة اعلى او مجموعات اكثر قوة لديها القدرة على السيطرة او استغلال الجماعات المضطهدة ونتيجة لذلك يمكن للجماعات المضطهدة تشكل مواقف وسلوكيات سلبية لاتعجب الاخرين.

<sup>1</sup> عائشة ابو حمدة، راتب السعود: التراخي التنظيمي لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية في الاردن وعلاقته بالرضا الوظيفي لدى المعلمين، جامعة عمان الاردنية، 2011، ص (399).

\* تشير التقديرات أن الموظفين في كثير من الأحيان يقضون وقتهم للاطلاع على الفيسبوك او إرسال رسائل البريد الالكتروني وهكذا ولأن الوقت غير مرئي فغن المدراء رؤساء الأقسام هم غير قادرين على ملاحظة سلوك سرقة الوقت

د. إسمهان بلق ..... ثقافية التعصب المجنس وتأنيث المختلف (قراءة سوسيولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

تجاه وظائفهم، لذا يظل الموظفون غير راضين وقد ينخرطون في سلوكيات عمل سلبية مثل إضاعة الوقت والتغيب عن العمل"<sup>1</sup>.

## 2. التقاعس العمدي:

إن سلوك التأخر يمكن وصفه بالوصول إلى العمل بعد المواعيد المقررة وعادة ما يتم الإشارة للتأخر في البحوث والدراسات البحثية بوصفه سلوك انسحابي يكشف عن منطلقات المضايقة والتنمر الفكري وهذا ما تضمنه الترسيم الجدولية التالية:

السوابق للتأخر	العلاقة مع السلوكيات الأخرى	النمط والتكرار والمدة	الفئة
. انخفاض الرضى الوظيفي . مشاركة وظيفية منخفضة . انخفاض الالتزام التنظيمي	. غياب ايجابي طوعي . الدوران الطوعي . ترك العمل في وقت مبكر	لاعشوائي، متزايد	الالتزام
. الصراع بين اعمل والعائلة	. الاستقلالية في الغياب الطوعي . الدوران الطوعي . ترك العمل في وقت مبكر	لاعشوائي	الدوري المستقر
. وسائل النقل . سوء الأحوال الجوية . المرض أو الحوادث	. الايجابي في التأخر عن الاغراض التي تتعلق بالعمل	عشوائي	لامفر منه

ترسيمه جدولية رقم 1: توضح دينامية سلوك التأخر عن العمل

المصدر: على عبد الحسن عباس الفتلاوي: مرجع سابق، ص 137.

<sup>1</sup> علي عبد الحسن عباس الفتلاوي: سلوكيات العمل السلبية الناشئة عن التهمك التنظيمي وانعكاساتها على مرونة ممارسات الموارد البشرية، دراسة استطلاعية تحليلية في عينة من جامعات الفرات الأوسط، دكتوراه فلسفة في علوم إدارة الأعمال، 2014، ص 137.

د. إسمهان بلق ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

### 3. الالتزام الاغترابي للأستاذ الجامعي:

أما فيما يخص انسحاب الأستاذ من العمل بل من السياق المنظهي الجامعي فقد اشار (hapira. even zohur.2011) إلى متلازمة سلوكيا الانسحاب (التاخر، الغياب، النية في ترك العمل) فسلوكيات الانسحاب تشير الى مجموعة من المواقف والسلوكيات المستخدمة من قبل الأساتذة عندما يقفون في الوظيفة ولكن لسبب ما يكونون اقل تشاركا.\*

### رابعا. ثقافية الذكاء الأخلاقي: كسر الحلقة المفرغة للعزلة الفكرية:

تهيكل المرجعيات التنظيرية والامبريقية المعالم المنهجية التي استلهمتها الأدبيات السوسولوجية كضرورة لخلق ممارسات تنظيمية فعالة عن الواقع الجامعي الجزائري، تتخذ من حقله العينية وتجلياته التطبيقية كآلية لتضمين الانسجام والتكامل لنمو حسي قاعدته الأساسية الواقع العيني للعمل الجامعي.

إن الذي نصبوا إليه من خلال هذه السطور هو تكريس محكات تنظيمية ترصد الواقع الجامعي بمنطلقات الخصوصية الثقافية الاجتماعية المتجذرة في ذهنيات ممارسي السلطة "رؤساء الأقسام والعمداء" والفئات الفاعلة (الأساتذة) كمقاربات ثقافية قيمية لبلورة الاقتراحات كنموذج لبناء ثقافية التسامح المعرفي

### 1. تضمين ثقافية صحية:

تثمين الدين كدستور أخلاقي لإحياء الرموز المعيارية ونشر الوعي بقيمة الممارسات الأخلاقية لذلك فمن الضروري تحديد ماهر أخلاقي وماهر غير معياري في عرف المؤسسة لكي تلتزم بها الوحدات الاجتماعية الفاعلة.

\* أشادت الكثير من الدراسات ان سلوكيات الانسحاب ليست لديها آثار ضارة حصرا بالنسبة للمنظمة بل أن سلوكيات الانسحاب قد تعطي للأساتذة استراحة من الإجهاد ويمكن أن يتوقع استجابة واسعة من الجوانب الضارة لدور العمل.

د. إسمهان بلو].....ثقافية التعصب المجنس وتأنيث المختلف(قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

## 2. الدعم السلطوي (تعزيز ثقافية الدعم التنظيمي المدرك):

. إعادة النظر في عملية اختيار القيادات الجامعية بحيث يتم اختيارهم طبقا لمعايير فنية وموضوعية ومهنية قوامها الجدارة والاستحقاق  
. إعادة هيكلة النظم الجامعية بحيث يتم تحقيق المستويات التنظيمية بما يسمح لسهولة الاتصال وتدفق المعلومات  
. استخدام الأساليب الإدارية الحديثة في الجامعة مثل الإدارة الإستراتيجية، الإدارة بالمكشوف  
. دعم العملية التشاركية بمفهومها الواسع  
. قدرة الفئات المسيسة على تمثيل أخلاقيات العمل

## 3. بناء ثقافة الثقة المنظمية:

لتعزيز منطلقات الثقة المنظمية، بلور بعض رواد الدراسات البحثية السياقات العلائقية بين الثنائية (هرم ماسلوا، مكونات الثقة)، كترسيمة معرفية تقترح هرم لاحتياجات الثقة أسوة بأسوة بهم ماسلوا للاحتياجات وهذا ما توضحه المنطلقات الجدولية التالية:

مكونات الثقة	هرم ماسلوا
/	الاحتياجات الفسيولوجية
العدالة، الترقيات والمكافئات، عدم المبالغة في عرض الحقائق، الشعور بوجود فرص للترقي، وجود سياسات غدارية واضحة، تطبيق النظام على الجميع، توافر المعلومات ومصداقيتها	الامن والحاجة الى بيئة مستقرة
الشعور بأن الرئيس متدين، حرص الرئيس على اداء الشعائر الدينية	الانتماء والمشاركة في القيم والاهداف
التعامل الجيد من قبل الادارة، الادارة تثق في قدراتي، ثناء الرءساء على مجهودات العاملين، الشعور بالاحترام	التقدير والاحترام
المشاركة في صنع القرار، توافر الفرص التدريبية، تشجيع الابتكار	تحقيق الذات

## ترسيمة جدولية رقم (2) توضح مكونات الثقة في خضم منطلقات هرم ماسلو

المصدر: محمد الصيرفي: السلوك الاداري: العلاقات الانسانية، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، 2007، ص

د. إسمهان بلق □ ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

تماشيا مع معطيات الترسيمة نبلور بعض المحكات الكفيلة ببناء ثقافية الثقة المنظمية داخل السياقات الجامعية:

. يجب ان توفر الجامعة بيئة آمنة ومستقرة للأساتذة وذلك من خلال سياسات إدارية واضحة ومحدودة تتمثل في العدالة في الترقية الوظيفية وتوزيع المقاييس والإشراف.  
. الاهتمام بالقيم السائدة كقاعدة للثقة لإشباع حاجات الانتماء لدى الأساتذة حيث أن ذلك يؤدي إلى تخفيف عملية الرقابة اللصيقة "أوقات دخوله وخروجه، مدى ممارسته للإشراف".  
. دعم التنمية الذاتية للأساتذة.

#### 4. بناء ثقافية التماثل المنظمي:

. وضع استراتيجية مناسبة لإدارة وترسيخ مفاهيم الاحترام الداخلي والتماثل التنظيمي وإبراز أهميتها وبرامجها وتطبيقاتها من خلال برامج التدريب وحلقات النقاش والتظاهرات العلمية.  
. اعتماد هيكل تنظيمي يسمح بإبراز الهوية الشخصية والعلاقات الإيجابية والابتعاد عن البيروقراطية والإجراءات الروتينية الجامدة وفسح المجال أمام الأفكار الخلاقة<sup>1</sup>.  
. إن الأساتذة سيشكلون بيئتهم وينجذبون إلى الأبنية الجامعية التي تناسب قيمهم ومن الضروري دراسة معايير مجموعة العمل فيما يتعلق بالنزاهة في مكان العمل وذلك للحد من سلوكيات العمل السلبية لبعض الأساتذة في مجموعة العمل.\*

<sup>1</sup> - ميثاق هاتف الفتلاوي، علاء حسين فاضل، عادل مجيد عبد اليممة، مرجع سابق: ص 67.

\* يرى (meccaniel and jones 1988) أنه بإستخدام اداة واحدة في الاعداد قبل التوظيف للتنبؤ من سرقة الفاعل حيث يتم اختيار الاستاذ وفق نموذج يتكون من ثلاثة جداول تتضمن الصدق، الهدف، عدم الاستقرار العاطفي، ومن خلال استخدام الورقة والقلم يتم قياس خيانة الامانة والتنبؤ بالسرقة وذلك كوسيلة لتحديد طالبي العمل غير الشرفاء وقياس نسبة العدائية تجاه زملائه في العمل والاستقرار العاطفي (على عبد الحسن عباس الفتلاوي : مرجع سابق)

د. إسمهان بلق ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

### خلاصة:

لا يمكن للمتعصب فكريا أن يرى الواقع على حقيقته لأنه يرى ما يمليه إليه ولا يرى ما يرى غيره، وإن كان ظاهرا للعيان لا يمكن جحوده، وبالتالي فأحكامه لا يمكن أن تكون وفق مقتضى الحكمة والصواب، يقطع التعصب النسيج الاجتماعي ويوسع هوة الخلاف ويقلل فرص التوصل إلى حلول ناجعة، ويحرض على لوي أعناق الحقائق، ويزيف الواقع وبالتالي يحرمانا من التوصل إلى القرار السليم، وأن نخطئ في تقييم الأفراد وأطراف المجتمع، ويفسد الوصول إلى الحق وإلى نتائج البحث العلمي الرصين، ويجعلنا نصل إلى نتائج غير دقيقة، ويحرم الأفراد والمجتمع من التقدم والرفق، ويزكي نار النزاعات ويطيل أمد الخلاف والشقاق، مما يسهم في زيادة حدة التوتر والقلق.

فالتعصب الفكري يؤدي إلى التشتت والصراعات والأحقاد والعداوات وتشتت الجهد الفكري والفيزيولوجي لأنه بمثابة هدر للطاقة البشرية، لكن تنمية الذكاء الأخلاقي لدى الأفراد يسهم المساهمة البالغة في دحض هذا النوع من التفكير السلبي بالإضافة إلى تنمية قدرات ومهارات وقيم وأخلاق تساهم المساهمة الفعالة في التنمية المجتمعية وتظهر نتائجها على السطح مباشرة ويتم الحكم عليها من خلال سلوكيات الأفراد الإيجابية.

### \* قائمة المراجع:

1. أستاذ الدعوة المشارك: التعصب الفكري وأثره في العمل الإسلامي المعاصر، فعاليات المؤتمر الدولي آفاق العمل الإسلامي المعاصر وضوابطه، كلية أصول الدين الجامعة الإسلامية، غزة، 2012.
2. الجباعي جاد الكريم، الزعتري علاء الدين، أبو حلاوة كريم: التعصب وعلاقته بالتطرف والعنف، مجلة مداد، مركز دمشق للأبحاث والدراسات، 2017.
3. حريم حسن: السلوك التنظيمي، سلوك الأفراد والجماعات في منظمات الأعمال، دار حامد، عمان، الأردن، 2009.
4. عائشة ابو حمدة، راتب السعود: التراخي التنظيمي لدى مديري المدارس الثانوية الحكومية في الاردن وعلاقته بالرضا الوظيفي لدى المعلمين، جامعة عمان الاردنية، 2011.



د. إسهمان بلق ..... ثقافية التعصب المجنسن وتأنيث المختلف (قراءة سوسولوجية) - الجامعة الجزائرية أنموذجا

5. العتيبي خالد بن ناهس: أثر استخدام بعض أجزاء برنامج الكورت في تنمية مهارات التفكير الناقد وتحسين مستوى التحصيل الدراسي لدى عينة من طلاب المرحلة الثانوية بمدينة الرياض، أطروحة دكتوراه، قسم علم النفس، كلية التربية، جامعة أم القرى، 2007.
6. علي اسعد وطفة: مظاهر التعصب وتحدياته في العالم العربي: اين معادلة التسامح في التربية العربية، ورقة مقدمة لدى المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم والمجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب بدولة الكويت، الندوة الثقافية للدراسات الاستشرافية في الوطن العربي حول صناعة ثقافة وهندسة الحوار مع الآخر، يومي 24 . 26 نوفمبر 2013.
7. علي عبد الحسن عباس الفتلاوي: سلوكيات العمل السلبية الناشئة عن التهمك التنظيمي وانعكاساتها على مرونة ممارسات الموارد البشرية، دراسة استطلاعية تحليلية في عينة من جامعات الفرات الأوسط، دكتوراه فلسفة في علوم إدارة الاعمال، 2014 .
8. عماد خليل محمد ابو هاشم: خبرات الطفولة وعلاقتها بالتسامح مقابل التعصب لدى طلبة المرحلة الثانوية العامة بمحافظات قطاع غزة، رسالة ماجستير في علم النفس جامعة الأزهر، غزة، 2014.
9. العنزى سلطان منصور: الصعوبات التي يواجهها معلمو اللغة العربية في المرحلة المتوسطة بدولة الكويت في تطبيق مهارات التفكير الناقد من وجهة نظرهم، رسالة ماجستير، كلية العلوم التربوية، جامعة الشرق الأوسط، 2011.
10. الغامدي صالح يحي جار الله: دور الذكاء الأخلاقي في الحد من التعصب الرياضي لدى طلاب جامعة الملك عبد العزيز، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، المجلد 06، العدد 06، 2017.
11. فؤاد عبده الحاج البعداني: التعصب الفكري والمنهجي والحزبي آفة الجماعات الاسلامية، مجلة القلم، العدد 02 ، 2014.
12. محمد الصيرفي: السلوك الاداري: العلاقات الانسانية، ط1، دار الوفاء، الاسكندرية، 2007.
13. وطفة على أسعد، الشريع سعد رغيان: تحديات التعصب وخلفياته الثقافية في المجتمع الكويتي - آراء عينة من طلاب جامعة الكويت، مجلة العلوم الإنسانية والإدارية، جامعة المجمعة، العدد 01، 2012.

## التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

بقلم: د. فروق يعلى

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى التعرف على سيرورة التحضر في إحدى المدن الجزائرية ألا وهي مدينة سطيف، من خلال مختلف المحطات التاريخية التي مرت بها شمال إفريقيا ابتداء من الحضارة النوميدية إلى يومنا هذا، ونظرا للموقع الجغرافي الهام الذي تتمتع به هذه المدينة جعلها محطة جذب للسكان من مختلف المناطق، خاصة خلال العشرة الأخيرة من القرن الماضي وما صاحبها من توتر الوضعية الأمنية في المناطق الريفية المنعزلة، والعشرة الأولى من القرن الحالي وما صاحبها من امتيازات استفادة منها المدينة في إطار مشروع دعم الهضاب العليا، فكل هذه العوامل جعلت من التحضر بمدينة سطيف ينمو بوتيرة متسارعة جدا أدى إلى استنفاد المدينة لاحتياطها العقاري مما جعلها تتوسع على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### تمهيد:

عرفت مدينة سطيف ابتداءً من العشرية الأخيرة من القرن الماضي نمواً حضرياً متسارعاً ناتجاً أساساً عن الموجات المتتالية من النزوح الريفي نتيجة الأزمة الأمنية داخل حدود الولاية وأولئك النازحين من خارج حدود الولاية قصد الاستقرار بها لموقعها الاستراتيجي كونها مركز عبور بين عدة مدن من الوطن، والوزن الإقليمي الهام الذي تتمتع به، الناتج عن تمركز تجهيزات ومرافق ذات أهمية يتعدى مجال نفوذها حدود الولاية وكذا المكانة الاقتصادية التي تتميز بها هذه المدينة من منطقة صناعية.

فكل هذا أدى إلى توسع حجم المدينة واستنفاد احتياطها العقاري الذي أدى إلى البحث عن إمكانيات أخرى للتوسع المجالي نتج عنه ظهور تجمعات سكانية ثانوية بلغت سنة 1998م سبعة تجمعات غير مخططة نمت وتطورت على حساب المدينة.

ونظراً لارتباط التحضر بمدينة سطيف بالنزوح الريفي للسكان مقارنة بنموه الطبيعي فإنه من المتوقع استمرار زيادة عدد سكان المدينة خاصة وأنها تتوفر على عدة مرافق وخدمات استفادت منها من المخطط الوطني لتدعيم الهضاب العليا، وهو ما يطرح عدة تساؤلات حول علاقة هذه الزيادة السريعة بموقع المدينة؟ ومراحل وخصائص التحضر بهذه المدينة؟ والإمكانيات المجالية التي تتوفر عليها؟.

### أولاً: مميزات الموقع الجغرافي لمدينة سطيف:

لتحديد مميزات الموقع الجغرافي لأي مدينة لا بد من التعرف على موقعها الجغرافي من حيث المركزية والتقاطع والإتصال بينها وبين باقي المدن، وموضعها وكذا خصائصها الجيولوجيا لما لهما من أهمية في تحديد مدى قدرة المدينة على التوسع واستيعاب النمو العمراني المتزايد.

1- الموقع: هو "مجموعة من المتغيرات التي تحدد الوضع العام للمدينة مقارنة مع المجموعات الجغرافية والفيزيائية والاقتصادية الكبرى، أي هو مفهوم جهوي"<sup>1</sup>، وانطلاقاً من المعطيات

<sup>1</sup> -Pelletier (J), Delfante (CH) : *Ville et Urbanisme dans le monde*, Masson, Paris, 1989, p, 13-14.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

المتوفرة حول مدينة سطيف يتبين لنا أنّ هذه الأخيرة تحتل موقعا ذو أهمية إقليمية ووطنية يتضح من خلال ما يلي:

أ- المركزية: وهي "أول عنصر من عناصر الموقع كما تبينه نظرية الأماكن المركزية للعالم W.Cristaler"<sup>1</sup>، حيث تحتل مدينة سطيف موقعا جغرافيا هاما يتوسط إقليمين مختلفين، إقليم الشمال الشرقي الجزائري وإقليم الوسط، إذ تقع في منطقة الهضاب العليا الشرقية - حيث تعرف بعاصمة الهضاب العليا - على ارتفاع يتراوح ما بين 800م و1300م، وتعد عاصمة الولاية ومركز القرار الإداري، تحدها شمالا بلدية أوريسيا، وشرقا بلدية أولاد صابر، وجنوبا بلدية قجال، وغربا بلديتي مزلق وعين أرناث أما فلكيا فتقع بين خطي طول 5° و6° شرق خط غرينتش وبين خطي عرض 35° و36.5° شمال خط الاستواء، وتربع البلدية على مساحة تقدر بـ 127.30 كم<sup>2</sup> ( أنظر الخريطة رقم 01) في الملاحق).

ب- التقاطع والالتقاء: أي تقاطع وتلاقي محاور الاتصال سواء كانت وديانا، طرقا، أو سككا حديدية"<sup>2</sup>.

ومدينة سطيف تقع على محاور اتصال هامة حيث تعتبر منطقة عبور بين عدّة مدن جزائرية بواسطة شبكة الطرق التي تمر بها والمتمثلة في كل من الطريق الوطني رقم 05 الرابط بين العاصمة غربا ومدينة قسنطينة شرقا ويعد من أهم محاور الاتصال الذي يمر على المدينة باعتباره يربط بين إقليم الشمال الشرقي وإقليم الوسط، بالإضافة إلى الطريق الوطني رقم 09 الرابط بينها وبين مدينة بجاية من الناحية الشمالية، والطريق الوطني رقم 28 الرابط بينها وبين مدينة بسكرة نحو الجنوب الغربي للمدينة والطريق رقم 75 الرابط بينها وبين مدينة باتنة من الناحية الجنوبية الشرقية.

وترتبط الولاية غربا بمدينة برج بوعريج ، وشرقا بمدينة قسنطينة بشبكة السكة الحديدية، كما تمر على المنطقة شبكة من الأودية أهمها واد بوسلام، وواد بن دباب، كلّ هذا

<sup>1</sup> -Ibid.

<sup>2</sup> -Ibid.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

جعل منها منطقة التقاطع والالتقاء، يمكن القول بأنّ مدينة سطيف تعد مفترق طرق حقيقي للمبادلات ومركز عبور إجباري للتجارة ما بين منطقة الهضاب العليا والمنطقة الوسطى من جهة، والمنطقة الشمالية الشرقية والشمالية الغربية من جهة أخرى، "هذه الوضعية الممتازة تدعمت فعلا بعد إنجاز مطار 8 ماي 1945م بعين أرناط (على بعد 9 كلم من مدينة سطيف)، وإنجاز الطريق السريع شرق غرب"<sup>1</sup>.

ج- الاتصال: "موقع تلاقي وتكامل التبادلات بين جهتين أو وسطين، أو مجالات اقتصادية مختلفة"<sup>2</sup>.

وتعتبر مدينة سطيف نقطة اتصال بين عاصمة البلاد وعاصمة الشمال الشرقي قسنطينة، فهي بذلك تعد موقع تلاقي وتكامل التبادلات بين هذين المجالين المختلفين اقتصاديا وفي المجالات الأخرى، بالإضافة إلى التبادلات التي تحدث مع الإقليم الجنوبي.

2- الموضوع: عكس مفهوم الموقع، الموضوع ذو مقياس محلي حيث يأخذ بعين الاعتبار خاصية أو مجموعة خصائص المنطقة التي توجد فيها المدينة فهو نظريا مفهوم بسيط ومحدد، لكن يجب معرفة المفهوم القديم والأفكار الحديثة حول المواضيع المنشأة واستعمالها. "فالمفهوم القديم للموضوع هو مفهوم جغرافي يخص الوسط الفيزيائي للمدينة (مجموعة من العناصر الفيزيائية)، جيولوجيا، تضاريس، مناخ، شبكة مائية، تربة، الغطاء النباتي الذي يشكل الإطار الفيزيائي للمدينة.

أما المفهوم الحديث فيتلخص في عنصرين أساسيين: المواضيع المنشأة وسعة أو طاقة الموضوع"<sup>3</sup>، وتقع مدينة سطيف على أراضي منبسطة سهلة التعمير مقارنة بمدن أخرى كمدينة قسنطينة مثلا، وتميز بما يلي:

\* تدرج في الارتفاع من الشمال إلى الجنوب بانحدار لا يتعدى 15%.

<sup>1</sup> -Ministère de L'équipement et de la Ménagement Territoire: **Les Villes dans La Revitalisation des Espaces Plateaux**, P. 184.

<sup>2</sup> -Pelletier (J) , Delfante (CH) : op.cit, P, P. 15-24.

<sup>3</sup> -Ibid.

د. فروق يعلی ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

\* المنطقة الشمالية تعرف نوع من التضرس زيادة على تشعبات تشغل مساحة 6504 كم، أي 0.27% من المجال الوطني مقابل 127 كم (12700 هكتار)<sup>1</sup>.

3- الخصائص الجيولوجية: تمتاز مدينة سطيف بتنوع كبير في تكويناتها الجيولوجية سواء من حيث العمر، الطبيعة، أو من حيث الانتماء إلى الوحدات البنائية، ونمیز ثلاث مجموعات رئيسية هي:

أ- تكوينات الزمن الرابع "Quaternaire": وتنقسم إلى ثلاثة أنواع هي :

\* تكوينات حالية وحديثة. \* تكوينات غير محددة.  
\* تكوينات قديمة.

ب- تكوينات الميوليوسان القاري "Moi-Pliocène".

ج- تكوينات تلية: وتتمثل في تكوينات غطاء جميلة، وتنقسم إلى قسمين:

\* تكوينات اليبريسيان (lypresion) واللوتيسيان السفلي (lutétien inférieur).  
\* تكوينات الكامبينييات العلوي (componien supérieur) والماستريشيان السفلي (Mastrichtien inférieur).

ثانيا: التطور التاريخي لمدينة سطيف:

إنّ نشأة مدينة سطيف تعود بجذورها الأولى إلى ما قبل العصر الروماني، والمتفحص لتاريخ هذه المدينة يمكن له التمييز بين أربعة عهود تركت بصمات واضحة على الأقل من الناحية العمرانية وهي:

1- عهد ما قبل الرومان:

كان يقطن مدينة سطيف منذ آلاف السنين مجموعة من السكان منحدرين من رجل يدعى "كرومانيو" الذي انحدر من ذريته الأمازيغ والذين تنظموا على شكل قبائل<sup>1</sup>. ولم تظهر

<sup>1</sup>-Said Atoui: Problematique de L'urbanisation Spontane en Algerie (Cas de Setif), Thèse de Magistere L'architecture 2001-2002, P. 67.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

الدولة الجزائرية إلا بعد القرن الثالث والثاني قبل الميلاد، إذ برزت مملكتين هما كل من مملكة الميساسيلية التي تحدها من الشرق واد بومرزوق الذي يصب في واد الرمال ومن الغرب المولاية، وكان يحكمها "سيفاكس"، ووراءه توجد مملكة ماسيليا بقيادة "ماسينيسا"؛ وكانت منطقة سطيف تابعة إلى مملكة ميساسيلية أثناء الحروب الفينيقية التي دامت من 264 إلى 146 قبل الميلاد<sup>2</sup>.

في هذه المرحلة تحالف "سيفاكس" مع قرطاجة، بينما بقي "ماسينيسا" حليفا لروما وبعد انهزام قرطاجنة تحصل "ماسينيسا" على نوميديا جزاء تحالفه مع روما وبقي بذلك تحت وصايتها، وإلى أن مات ابنه "ماسيسا" أين اشتد التنافس بين أحفاده ومنهم "يوغرطا" الذي كان ينوي منح الاستقلال لنوميديا غير أنه لم يستطع تحقيق حلمه بعد وصوله إلى السلطة وسمح ذلك الإخفاق للرومان بالتدخل وغزوه.

## 2- عهد الرومان<sup>3</sup>

بعد دخول الرومان قاوم الأهالي هذا الغزو تحت قيادة "يوغرطا" الذي قاتل "ماريوس" قرب مدينة سطيف وانهزم في سنة 105 ق.م، أما خلال تولي "يوبيا" للحكم المتوفي سنة 46 ق.م و"يوبيا الثاني" الذي حكم من سنة 25 ق.م إلى غاية سنة 23 م و"يوطومي" الذي تولى الحكم بعد "يوبيا الثاني" مباشرة إلى غاية سنة 42 م فقد كانت مدينة سطيف جزءا لا يتجزأ من موريطانيا القيصرية، وازداد خلال هذه الفترة تدخل الرومان في شؤونهم الداخلية مما أدى إلى نشوب ثورات أشهرها ثورة "تاكفاريناس" الذي كان عضوا في الجيش الروماني، حيث نظم جيشا ما بين سنة 17 م و24 م من الأهالي من بينهم سكان مدينة سطيف الذين ساهموا مساهمة فعالة في تلك الثورة، وتعددت هذه الثورات والانتفاضات تمّ سنة 42 م ضمّ كل شمال إفريقيا إلى إمبراطوريتهم.

<sup>1</sup> مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: مصلحة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ولاية سطيف بالأرقام 1995، ط.11، ص.02.

<sup>2</sup> (A.P.C de Sétif), Sétif et sa Region Commune de Sétif, Septembre 1986, P. 02.

<sup>3</sup> مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: نفس المرجع، ص.03.  
مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية 86 دراسات

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

وما يميز هذه المرحلة هو اهتمام الرومان بمدينة سطيف نظرا لموقعها الاستراتيجي الذي يسيطر على الأراضي ذات الجودة العالية لزراعة القمح ، ويساعد على التنقل وبذلك تحولت المدينة إلى مخزن للقمح.

ولهذا قرر الإمبراطور "نيرفا" في سنة 97م إنشاء مستعمرة لقدماء الجيش في موقع سيتيفيس والذي أطلق عليه عدّة تسميات منها (كولونيا، نيرفانيا، أوغيسطا، مارطالس، سيتيفاسيوم): وستيفيس تسمية رومانية مشتقة من كلمة أمازيغية "أزديف AZDIF" وتعني التربة السوداء.

وفي سنة 235م تزعزعت الدولة الرومانية حيث عرفت خطر الأزمات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية التي أدت إلى انتفاضات وثورات عبر إفريقيا الشمالية وأشهرها ثورة فيرميس المتوفى سنة 375م وابنه جليدون المتوفى سنة 398م، وبذلك قسمت موريطانيا القيصرية بأمر من الإمبراطور "ديوكرتيان" سنة 297م إلى ناحيتين: مريطانيا القيصرية بقيادة "ديوكرتيان" وموريطانيا سيتيفانيس بقيادة "قسطنطين" التي عاصمتها سطيف وباستمرار هذه الثورات انهارت الإمبراطورية الرومانية.

هذا الانحطاط الذي مس مدينة سطيف وضواحيها تضاعف بالزلازل العنيف الذي هدم المدينة عن آخرها سنة 419م حيث يصف القديس "أوغسطين" هذه الكارثة قائلا: «لقد كانت الهزات عنيفة إذ أنّ السكان أرغموا على البقاء خارج بيوتهم طيلة 05 أيام». وتفاقمت الأوضاع بغزو الوندال ونهبهم لشمال إفريقيا واحتلالهم للمدينة سنة 429 الذي دام إلى غاية 539م حيث احتل العميد البيزنطي "سالومون" المدينة وقام بترميمها وجعلها عاصمة لإقليم موريطانيا الأولى، غير أنّ مجيء البيزنطيين إلى شمال إفريقيا كانت محاولة فاشلة لإحياء مجد الإمبراطورية الرومانية لأنّ هيمنتها لم تستمر طويلا نظرا لعدم سيطرتها على زمام الحكم نتيجة الثورات المتتالية من قبل الأهالي من جهة وظهور الإسلام من جهة أخرى، ولم يبق منها إلاّ القلعة البيزنطية التي تمثل حاليا حديقة التسلية بالمدينة.



د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### 3- العهد الإسلامي:

ففي سنة 647م وقعت أول حملة لنشر الإسلام في شمال إفريقيا وفي سنة 705م ثم فتحها، وهذا بفضل الرسالة الدينية والسياسية والاجتماعية التي حملها المسلمون إلى الأهالي والتي لاقت ترحابا وافيا بعدما فهموا محتواها وأهدافها السامية<sup>1</sup>.

وخلال الثلاثة القرون الموالية كانت شمال إفريقيا ومدينة سطيف بالخصوص تابعة للخلافة الأموي ثم العباسية، وبعد ضعف هذه الأخيرة ظهرت إلى الوجود دويلات منها الدولة الفاطمية التي أسسها عبيد الله المهدي "بمعونة الداعية" أبو عبد الله الذي استطاع خلال موسم الحج أن يتصل بأهالي كتامة ويقنعهم لكي ينشأ الدولة الفاطمية وكان له ذلك سنة 904م، غير أنّ وجود الفاطميين في ناحية سطيف لم يدوم طويلا حيث انتقلوا إلى مصر أين أسسوا مدينة القاهرة سنة 969م، وبذلك بقيت مدينة سطيف خاضعة للدول التي تتابعت حتى وصول العثمانيين وهي الزيرون الذين خلفوا الفاطميين في شمال إفريقيا، الحماديين، المرابطين، الموحديين ثم الزيانيين، وظلت مدينة سطيف خلال هذه الفترة مجهولة.

### 4- عهد الاستعمار الفرنسي:

بعد احتلال الفرنسيين لمنطقة سطيف في 15 ديسمبر 1938م بقيادة العميد «غالبو» Galbois، لم تسلم مدينة سطيف من السياسة الاستعمارية المنتهجة من طرفهم والتي تخدم الأوروبيين فقط أمّا الأهالي فقد انتزعت منهم الأراضي وطبقت عليهم سياسة التفجير والتجهيل والحرمان على غرار المدن الأخرى، بسبب سلسلة من القوانين التعسفية التي انتهجتها الحكومة الفرنسية مثل قانون فاريني، وهذه العملية تمت بمساعدة البنوك الكبرى والشركات العقارية والرأسمالية، وبذلك تحصلت شركة جنيف على الجزء الأكبر من الأراضي الفلاحية بمنطقة سطيف، وبعدها تم إنشاء الدولة الأوروبية على أثر القرار الملكي الصادر سنة 1847م، باستغلال الكثير من الآثار الرومانية كتكتلات عسكرية، وبذلك تحددت لأول مرة مدينة النواة بأربعة جدران مفتوحة على أربعة جهات وتتميز بقسمين واضحين المعالم هما القسم الروماني

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص، 04.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

الذي يحتوي على ثكنات عسكرية والقسم الجنوبي مخصص للفواكه والخضر عالية الجودة، وبالضبط في يوم 17 حزيران (جوان) 1854م أصبحت كبلدية ذات صلاحيات كاملة "Commune de pleine exercice"<sup>1</sup>.

وبفضل موقعها الذي يتوسط عاصمتين ثوريتين كبيرتين (الجزائر وقسنطينة) جعلها نقطة الالتقاء والاحتكاك الإيجابي لمختلف الأفكار والتيارات السياسية والثقافية والثورية، ولا شك أنّ أحداث 08 ماي 1945م هي نتيجة لذلك.

وما يميز هذه المرحلة هو نشأة نواة المدينة وتبعثها ظهور الأحياء المحيطة بها، وذلك بفضل المخطط الحضري الذي وضعته الحكومة الفرنسية لمدينة سطيف، في إطار مخطط أو مشروع قسنطينة.

### ثالثا: التوسع العمراني لمدينة سطيف:

إنّ الهدف من دراسة مراحل التوسع العمراني لمدينة سطيف من شأنها إبراز مدى تأثير الزيادة السكانية - الطبيعية وغير الطبيعية - على استعمال المجال، وهذا لا يتأتى إلا بعد معرفة تاريخ المدينة لما له من أهمية في تفسير وتيرة نموها واتساعها، وعليه يمكن تقسيم مراحل التوسع العمراني للمدينة إلى ثلاث مراحل متباينة وهي: (أنظر الخريطة رقم 01)

#### 1- مرحلة ما قبل الاحتلال الفرنسي:

يعود تاريخ نشأة مدينة سطيف إلى عصر ما قبل الرومان، غير أنّ أول من حدد لها مجالها الجغرافي وأحاط بها أسوارهم الرومان حيث تربعت على مساحة تقدر بـ 40 هكتار<sup>2</sup>، وشهدت حركة تنمية وتنظيما إداريا واجتماعيا خاصا، حيث أعطوا للمدينة صبغة جمالية وفنية و"مازالت الآثار التي خلفتها شاهدة إلى يومنا هذا من حدائق ونافورات وحمامات أرضية مثل الذي عثر عليه أثناء الاستعمار الفرنسي في حديقة رفاوي ساعد، وصبغة دينية كالمعابد المسيحية التي تمثل اليوم جامع ابن باديس، بالإضافة إلى حديقة الأمير عبد القادر التي تحتوي

<sup>1</sup> - نفس المرجع، ص 06.

<sup>2</sup> - Said Atoui: op.cit, p. 58.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

على 200 قطعة منقوشة وأعمدة بها كتابات لاتينية تشهد كلها على حضارة مدينة سطيف ثم بعدها أصبحت عاصمة لموريتانيا سيتيفانيس<sup>1</sup>.

أما في الفترة الإسلامية فلم تحضى مدينة سطيف بالأهمية التي حظيت بها بعض المدن الجزائرية على غرار مدينة بجاية وتلمسان مثلا، فالأتراك لم يقوموا بأي خطوة لتطوير وتوسيع المدينة بل بقيت كما تركها الرومان، إذ أنّ الأتراك بعد دخولهم للجزائر خلال القرن 16 للميلاد، عملوا فقط على تطوير المدن الساحلية لأغراض تجارية بعد نمو المبادلات مع الخارج وبذلك بقيت مدينة سطيف حتى دخول الاستعمار الفرنسي واجهة لقلعة قوية، تتصل مع الخارج عن طريق أربعة أبواب رئيسية وأصبحت مركز مهم للمبادلات التجارية يحتل مركزها أي (الموقع القديم) مساحة تقارب 40 هكتار.

## 2- مرحلة الاحتلال الفرنسي:

ويمكن تقسيم هذه المرحلة بدورها إلى مرحلتين متباينتين تتميز المرحلة الأولى بظهور المدينة الأم ونموها، في حين تتميز المرحلة الثانية بانتقال النمو العمراني نحو الأطراف والضواحي التي أصبحت اليوم تمثل مذكر المدينة، وهي:

### أ- المرحلة الأولى: 1839-1954: نشأة النواة:

منذ دخول المستعمر الفرنسي منطقة سطيف عرفت المدينة عدّة تغيرات هامة في التوسع المجالي ونمط البناء، "فبعد أن كانت أنقاضا لبنايات يرجع تاريخها إلى العهد الروماني، حولها إلى مدينة استعمارية سنة 1847م"<sup>2</sup>، وتمثل سنة 1843م تاريخ وضع أول مخطط حضري لمدينة سطيف «le premier plan urbain de sétif»<sup>3</sup>، "حيث تمّ إنشاء مركز للبريد ومسجد العتيق هذا الأخير الذي نشأ بأمر صدر سنة 1845م، ثمّ صدر قرار عام 1847م يتضمن إنشاء النواة الأوربية حيث تمّ إنشاء من خلاله البنك سنة 1855م، ثمّ فندق المدينة

<sup>1</sup> - سطيف عبر العصور الإسلامية: مجلة الشهاب الشهرية، العدد الثاني، محرم 1426، ص، 07.

<sup>2</sup> -M. Cote: **Guide d'Algerie** (Paysage Et Patrimoine): P.P. 144 - 945.

<sup>3</sup> -[www.Google.Com.Http/Sétif,19.Com](http://www.Google.Com.Http/Sétif,19.Com). 21/01/2006, 21:23.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

وقاعة الحفلات سنة 1856م، وتمّ أيضا استغلال الأراضي الخصبة، ومنحت امتيازات لشركات أجنبية بمرسوم 26 أفريل 1863م<sup>1</sup> منها امتياز استغلال 20 ألف هكتار من الأراضي الزراعية شركة سويسرية "compagne genevoise" التي عملت على تشكيل عدّة قرى محيطة بالمدينة منها: عين السفينة، عين الطريق، فرماتو، الحاسي، الباز، عين الموس... الخ، كما تمّ خلال هذه المرحلة إنشاء عدّة تجهيزات داخل المدينة مثل: محكمة من الدرجة الأولى عام 1866م، وكنيسة saint Monique، ثانوية ابن باديس حاليا سنة 1867م، وإنشاء مدرسة collège coloniale، ثانوية فيرواني حاليا سنة 1873م، ومراكز إدارية أخرى سنة 1874م، وعليه أخذت المدينة تتوسع خارج حدود الأسوار إذ نميّز فيها شارعين أساسيين هما:<sup>2</sup>

\* الشارع العسكري في الشمال: مكان القلعة ومحاط بكنكات عسكرية.

\* الشارع المدني في الجنوب: يتميز باستغلال كبير للمجال، يعكس مظاهر الحياة للمعمرين آنذاك حيث الطرق واسعة مع أرصفة مزينة بأشجار؛ محلات ودكاكين؛ مساكن وعمارات؛ تجهيزات متنوعة. وينقسم هذا الأخير إلى ثلاث شوارع أخرى - نهج - وهي:<sup>3</sup>

• Avenue Jean Jaurès أول نوفمبر 1954 حاليا.

• Avenue Clemenceau 8 ماي 1945 حاليا.

• Avenue Paul Doumer السعيد بوخرصة حاليا.

بالإضافة إلى تجمع قديم على أرضية البلدية تمّ كراءه 1881م لبعض السود أصبح فيما بعد يدعى village nègres أو ما يعرف بالزمالة.

وبعد 1881م ظهر تموضع سكاني آخر يتميز ببنائيات فخمة من نوع فيلا بحدائق منزلية تسكنها الطبقة الأوروبية المتوسطة وهي حي Bon marché بالجنوب الشرقي - حي تليجان حاليا -

<sup>1</sup> - المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: ص. 119.

<sup>2</sup> - [www.Google.com.http/Setif.19.com.opcit](http://www.Google.com.http/Setif.19.com.opcit).

<sup>3</sup> - Said Atoui: op.cit, p. 58.

د. فروق بعلی ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

، كما استفادت مجموعة من العائلات بقطع أرضية صغيرة لاستغلالها في نشاطاتها الحرفية، ويتموقع هذا الحي بالشمال ويسمى بحي الهواء الجميل Bel air. أما عام 1896 فقد تم إنشاء مسرح بالمدينة ووضع تمثال عين الفوارة سنة 1898م من طرف Franceis de saint vidal، بالإضافة إلى إنشاء الحدائق العامة مقابل عين الفوارة place Joffer، وسوق وكنيسة.

وبعد الحرب العالمية الأولى استمرت السلطات في استغلال المجال بحيث خصصت أحياء خاصة بقدماى الحرب (1914-1918) تدعى حي قدماى الحرب في الجنوب الغربي للمدينة، وحي آخر يعتبر الثاني من نوعه بحي ثليجان يدعى Cite levy سنة 1925م.

وخلال هذه المرحلة أوصلت المدينة بخط سكة حديدية باتجاه مدينة قسنطينة بالجنوب الشرقي للمدينة وهدمت الأسوار التي كانت تحيط بها وعضت بشوارع امتدت في كل الاتجاهات<sup>1</sup>، وهنا يمكننا القول أنه تأكد أول تعامل خارج القلعة وبالتالي ظهور أول وحي حضري خارج أسوار المدينة وتميزت بظهور<sup>2</sup> \* باب بجاية القلعة الشمالية: ترك المجال فارغا لأغراض عسكرية.

\* باب الجزائر في الغرب: تشكل حدائق والذي يتميز بكثرة منابع المياه بالإضافة إلى حديقة للتزهر الأمير عبد القادر حاليا، والتي تعتبر كمتحف مفتوح على الهواء نظرا للأثار والتماثيل التي كانت تحويها، بالإضافة إلى مستشفى مدني 1939م.

\* باب بسكرة في الجنوب: وتشكل أحياء محيطة وراء قصر العدالة، والمركز الرئيسي للشرطة، تموضع عليه سوق عرب Marché arabe ونهج Leclerc وملعب Egirunt قصاب حاليا، وحديقة Erlacier وثنائيتين Alberlini – قيرواني - وثنائية جديدة للبنات – مليكة قائد - حاليا.

\* باب قسنطينة في الشرق: حي المحطة يحوي مساكن بالإضافة إلى مطاحن ومخازن للحبوب يتموضع هذا الحي أمام مسجد أبو ذر الغفار والذي أنشئ سنة 1928م، ومقبرة مسيحية، وحي

<sup>1</sup> -M.Cote: op.cit, p. 144.

<sup>2</sup> -Denise (M): **Sétif de ma Jeunesse, Septembre, 2001, (CD).**

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

عمال المحطة والذي يتميز بمساكن تضم حدائق خاصة تسكنها البرجوازية المتوسطة بحواف الطريق الوطني رقم (05).

هذا النمو على أساس نواة إيضاحية وفرت كل المرافق الضرورية من خدمات، تجارة، إدارة، نقل، صناعات صغيرة، حرف...الخ، والتي تعتبر كمؤشر للدور الذي كانت تمارسه التجمعات الحضرية الأوروبية في المدن الجزائرية ومدينة سطيف كمثال عنها.

ب- المرحلة الثانية: 1954-1962م: ظهور الأحياء المحيطة:

مع اندلاع الثورة التحريرية، أصبح القطاع الزراعي يضم أعدادا هائلة من العمال ممّا أدى إلى انخفاض الأجور وزيادة نسبة البطالة وأمّا السياسة العسكرية المتبعة من طرف المستعمر في هذه الفترة من إقامة للمحتشدات، وسياسة الاضطهاد والتقتيل والتعذيب...كل هذا أدى إلى زيادة نسبة النازحين من الريف إلى المدينة بحثا عن الأمن والاستقرار وبذلك نشأت عدّة أحياء وتجمعات سكانية بحواف المدينة النواة التي أسسها المستعمر الفرنسي ومنها:<sup>1</sup>

\* ظهور حي يحيواوي (طانجة) 1954م: بعدما اشترى المضطهدون النازحين من الريف قطع أرضية صغيرة، وقاموا ببناء منازل فوقها، وتزامن ظهور هذا الحي تموضع مراكز للمراقبة منها Ancien parc a fourrage الحماية المدنية حاليا في الغرب، مركز الدرك الوطني حاليا مع بناء مدرسة ابتدائية l'école maternelle سنة 1956م، مدرسة الشيخ عبدو حاليا في الجنوب مقابل المقبرة الإسلامية، مع تواجد مقبرة للمسلمين واليهود في الجنوب.

\* في هذه المرحلة تمّ بناء عمارات جماعية لديار النخلة وتمركز تجزئة pierre gaillet للمدنيين الجزائريين، وبعد عام 1956م سمي بشارع بيرقاي وتجدد الإشارة إلى أنّ هذا المجال كان عبارة عن حقول للقمح، وبنيت هذه المساكن حول شارع الإمام بونشادة في الجنوب الغربي بمحاذاة الطريق الوطني رقم 28 نحو مدينة بسكرة.

\* بناء منازل جماعية من نمط الحارة في الأحياء المحيطة بالمحطة. \* ظهور حي لندريولي سنة 1959م.

<sup>1</sup> - المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: تحليل الوضعية الحالية، ص، ص. 128، 130.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

وعليه أصبحت المدينة مقرا للمحافظة سنة 1956م، كما تمّ إنشاء عدّة مرافق أخرى كمركز التكوين المهني والتقني سنة 1957م بمحاذاة باب بسكرة «CENT» ومحكمة جديدة سنة 1959م، ومركز رئيسي للشرطة سنة 1960م.

كما لا ننسى أنّ مدينة سطيف استفادت من مخطط أو مشروع قسنطينة سنة 1958-1962م، الذي كان يهدف إلى إقامة عدّة مشاريع للتخفيف من حدّة الثورة والتي كانت في هذه المرحلة على أوجها ومن خلاله تمّ إنجاز ما يلي:<sup>1</sup>

\* جي المستقبل سنة 1960م.

\* جي السيلوك يحتوي على 180 مسكن سنة 1960م.

\* جي 130 مسكن في نفس السنة.

\* جي 66 مسكن، السور القديم سنة 1961م.

\* وحي بيلار "الهواء الجميل 103 مسكن" في نفس السنة مع جي الموظفين.

وفي عام 1958م تمّ بناء المستشفى العسكري الفرنسي في شمال حديقة الأمير عبد القادر وهو المستشفى الجامعي سعادنة عبد النور حاليا، وقد شهدت مدينة سطيف عموما في هذه الفترة توسعا عمرانيا فوضويا خاصة في الشمال الشرقي للمدينة.

وبهذا أصبحت مدينة سطيف تترجع على مساحة قدرها 285.15 هكتار، وفي سنة 1960م تمّ تعميم كامل للتشريع الحضري الفرنسي في الجزائر، ولأول مرّة أنجزت دراسات خاصة، وتمّ وضع المخطط الحضري الموجه (PUD) سطيف ومثل باقي مدن الشرق الجزائري استفادت المدينة بعدد من السكنات والمشاريع لإنجاز أحياء (PUD) الذي وضع ما بين 1959م و1960م، هذا المخطط جاء لتنظيم المجال الحضري وتصحيح نماذج التحضر الموجودة عامة والسكن خاصة، وتطرق لمشاكل التهيئة، ووضع سياسة عامة للحركة الحضرية وتهيئة المجال وتوجيه بذلك التحضر في المستقبل.

<sup>1</sup>- دليل الجامعة: مؤلف من طرف نيابة الرئاسة المكلف بالتخطيط والتوجيه والإعلام، جامعة فرحات عباس سطيف، أوت 1993، ص، 19.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### 3- مرحلة الاستقلال:

بعد حصول الجزائر على السيادة الوطنية إتخذ النمو الحضري أبعادا جديدة غير ما كان عليه إبان الإحتلال، تتحكم فيه السياسة التنموية للدولة المستقلة التي ركزت أساسا على القطاع الزراعي في البدايات الأولى للإستقلال ثم على القطاع الصناعي في خضم النظام الإشتراكي، ثم الإنفتاح على إقتصاد السوق بعد الإنفتاح السياسي على نظام التعددية، كل هذا أثر على سيرورة النمو العمراني مدينة سطيف على غرار مختلف المدن الجزائرية، وعليه يمكن التمييز بين ثلاث مراحل للنمو العمراني لمدينة سطيف وهي:

#### أ- المرحلة الأولى: 1962-1970م: المخططات التنموية:

عرفت ما بعد الاستقلال المخططات التنموية، وكان أول هذه المخططات المخطط الثلاثي 1967-1970م، والذي كان موجها بالدرجة الأولى للاستثمار في القطاع الصناعي، أما بالنسبة للعمران فهذه الفترة تميزت بإتمام إنشاء بعض المشاريع السكنية التي تركها المستعمر « في إطار مخطط قسنطينة »، وأهم هذه المشاريع نذكر:<sup>1</sup>

\* حي الهواء الجميل 130 مسكن سنة 1962م.

\* حي السور الجديد 121 مسكن سنة 1966م.

\* حي سنيستال 230 مسكن سنة 1968م.

\* حي بوعروة 120 مسكن سنة 1970م.

\* حي بيزار 120 مسكن سنة 1970م.

\* حي 80 مسكن سنة 1970م.

فأصبحت مساحة المدينة في آخر هذه المرحلة 490.20 هكتار أي بوتيرة نمو بـ 18.82

هكتار/سنة.<sup>2</sup>

<sup>1</sup> - [www.Google.com.http/Setif.19.com](http://www.Google.com.http/Setif.19.com). op.cit.

<sup>2</sup> - [www.Commune.Sétif.Org](http://www.Commune.Sétif.Org). 21/01/2006, 23 :40.



د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

#### ب- المرحلة الثانية: 1970-1985م: مرحلة التجمعات السكنية الكبرى:

وتميزت هذه الفترة بظهور نمط آخر من السكن وهو التجمعات السكنية الكبرى والتي جاءت لتلبية حاجات المواطنين من السكن باعتبار أنّ هذه الفترة عرفت أزمة سكنية حادة، ناجمة عن زيادة موجات النزوح الريفي نحو المدينة بحثا عن مناصب العمل، خاصة بعد إنشاء المنطقة الصناعية، هذا ما جعل قطاع السكن يفرض نفسه بحدّة في المخططات التنموية (الرباعي الأوّل، الرباعي الثاني، المخططات القطاعية، القطاعات الولائية) وتتميز هذه المرحلة بإنجاز المشاريع التالية:

\* حي 750 مسكن الهواء الجميل ( طريق بجاية).

\* حي 600 مسكن في شمال المدينة

\* حي 300 مسكن بالمعبودة ( طريق الجزائر).

\* حي 1000 مسكن في جنوب المدينة ( طريق المسيلة).

\* حي 400 مسكن في جنوب المدينة ( طريق المسيلة).

بالإضافة إلى مشاريع المنطقة الحضرية الجديدة (Z-H-U-N): 1014 مسكن و1006 مسكن، وظهور تخصيصات في كل من التجمعين الثانويين: - فرماتو 116 قطعة أرض. - عين الطريق 266 مسكن.

أمّا من حيث المرافق فقد تمّ إنجاز كل من ثانوية الخنساء، مدرسة التكوين شبه الطبي، مركز بلدي، بالإضافة إلى إنشاء في هذه المرحلة جامعة فرحات عباس في الشمال الغربي للمدينة وبذلك شهدت المدينة توسعا عمرانيا وصلت مساحته نحو 895 هكتار أي ما يعادل استهلاك 44.97 هكتار/سنة.

#### ج- المرحلة الثالثة: 1985- إلى يومنا هذا - الوكالات العقارية:

وما يميّز هذه المرحلة هو الاتجاه نحو اقتصاد السوق، وظهور الوكالات العقارية التي لعبت دورا هاما في المضاربة العقارية من جهة وإنجاز المشاريع السكنية من جهة أخرى، وبذلك سيطر نمط السكن الفردي في هذه السياسة الجديدة، حيث تمكنت الطبقات الاجتماعية

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

العليا من تحقيق مشاريع سكنية، فتوسعت المدينة من الشرق والشمال الشرقي، ففي هذه المرحلة<sup>1</sup>:

- تمّ تكملة البرنامج الاجتماعي لـ 1014 مسكن، برنامج الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط «CNEP» بالإضافة إلى 1006 مسكن الذي تمّ أيضا تكملته في هذه الفترة.

- تحويل السكان نحو القرية الضحوية "عين الطريق" واستمرار البرامج السكنية.

- إنجاز مشاريع سكنية وتخصيصات كتوسع حي حشمي (كل من تجزئة رقم 01، حي بوعروة دلاس، حي أول نوفمبر، تجزئة أولاد ابراهم، التعاونيات العقارية لتجزئة «شادلي»، مرواني، «IAP»).

- استغلال المجالات أو الجيوب الفارغة في كل من حي يحيواوي، تليجان، المعدومين الخمسة.

- إنجاز مشروع 200 مسكن.

- وضع مرافق عمومية وشركات بيجي بيزار: L'inspection ERIAD SNASAT.

- تجزئة الهضاب، وهي سكنات من نوع فردي.

- بالإضافة إلى توفر المدينة على تجهيزات أخرى كالفنادق، حديقة التسلية، الأرشيف، مؤسسة سونلغاز ببوعروة، السوق المغطاة لحي المستقبل، مدارس ابتدائية في كل من بن بقاق شمال حي يحيواوي، المعبودة، مركز يحيواوي، المنطقة الحضرية الجديدة، وإنجاز القطب الجامعي الثاني الباز، وعدة إقامات جامعية.

وبهذا تعتبر هذه المرحلة من أهم المراحل من حيث استهلاك التوسع المجال بالمدينة مساحة تقدر 2073 هكتار سنة 1990م أي بزيادة تقدر بـ 1178 هكتار وبمتوسط سنوي يعادل 107 هكتار/سنة، بالإضافة إلى 1008.88 هكتار تبرع عليها مشاريع الترقية العقارية أما باقي المساحة المقدر بـ 162.22 هكتار فتشغلها مشاريع صناعية واقتصادية، إذ تمّ إنشاء وحدة العتاد الفلاحي O.N.A.M.A بالمنطقة الشمالية الغربية للمدينة، كما شهدت توسعا في كل من المنطقة الصناعية ومنطقة النشاطات، أما في آخر هذه المرحلة فمساحة المدينة تتعدى 2210

<sup>1</sup> -Ibid.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

هكتار أي زيادة من عام 1990م تقدر بـ 137 هكتار وبمعدل استهلاك سنوي قدره: 11.32 هكتار/سنة.

وما يميّز هذه المرحلة أيضا هو توجيه السكان نحو التجمعات الثانوية المحيطة بالمدينة، "ببرمجة تخصيصات ترقيوية سنة 1985م، في كل من عين الطريق التي استفادت من 266 قطعة أرض وتجهيزاتها المرافقة على مساحة تقدر بـ 8.9 هكتار وتجمع فرماتو المستفاد من 116 قطعة أرض على مساحة 10.1 هكتارا، والحاسي بـ 107 قطعة أرض على مساحة 3.25 هكتارا"<sup>1</sup> بالإضافة إلى إنشاء وحدات التشغيل في كل من فرماتو، عين الطريق، عبيد علي، عين السفية، قصد تثبيت السكان بها.

وفي سنة 1995م استفادت التجمعات الثانوية أيضا من عدّة تخصيصات قصد توجيه السكان إليها لإزالة الضغط على المدينة وبذلك "استفاد تجمع شوف الكداد من تخصيص 140 و79 قطعة أرض وتخصيص عين الطريق بـ 853 قطعة أرض من النوع الترقوي على أربعة حصص، و317 قطعة أرض من النوع الاجتماعي، بالإضافة إلى تخصيصات الخواص في عين السفية، تخصيص بن جابلة، قتال ورجاح هذا بعد 1995م"<sup>2</sup>.  
ومن خلال مراحل التوسع المجالي التي شهدتها مدينة الهضاب العليا يتجلى لنا أنّها امتدت في جميع الاتجاهات، إلّا أنّ التوسع كان أكبر من الناحية الشمالية الشرقية والجنوبية الشرقية، متبعا بذلك خطة النمو المركزي (ZONAL-CONCENTRIC) للعالم (E.W. BERGESS) متخذة شكلها العام، لكن تركيب الحلقات متناوب، وهذا ما يمتاز به المدن ذات النشأة الاستعمارية الواقعة في السهول مثل: سيدي بالعباس، برج بوغريريج، باتنة، غليزان، العلمة ومدينة سطيف<sup>3</sup>، حيث نجد أنّ المركز الأوربي محاط بأحياء المعمرين، تليها حلقة من أحياء الضواحي الكلاسيكية، ثمّ الضاحية الجديدة (مبادرة من الدولة)، ثمّ تليها منطقة التجمعات الثانوية.

<sup>1</sup> - الوكالة العقارية لولاية سطيف: مخططات الكتلة للتخصيصات.

<sup>2</sup> - مديرية التعمير والبناء لولاية سطيف.

<sup>3</sup> - M.Cote: L'Espace Algérien. Les prémices d'un Aménagement, p. 224.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

#### رابعاً: مراحل التحضر بمدينة سطيف:

تعتمد الدراسة في تناول التحضر بمدينة سطيف على نتائج مختلف الإحصاءات الوطنية، ولاستيعابها أكثر يجب التمييز بين ما هو ناتج عن الزيادة الطبيعية للسكان وما هو ناتج عن النزوح الريفي خاصة بعد استرجاع السيادة الوطنية، حيث عرفت المدينة موجات متتالية من النزوح، وأيضاً خلال العشرية الأخيرة من القرن الماضي التي ارتفع خلالها معدل النزوح الريفي نحو المدينة بحثاً عن الأمن والاستقرار باعتبار مدينة سطيف لم تعرف توتراً أمنياً مثلما عرفتته بعض المدن الأخرى كجيجل والعاصمة مثلاً، ممّا جعلها نقطة جذب هامة، ومن خلال هذين المؤشرين - الزيادة الطبيعية والنزوح الريفي - يمكن لنا تمييز أربعة مراحل أساسية للتحضر بمدينة سطيف بعد 1954م، أمّا ما قبل هذا التاريخ فلا تتوفر معلومات وإحصائيات حولها ممّا جعلنا نستغني عنها، والجدول رقم (01) (في الملاحق) يلخص لنا مراحل النمو السكاني وتطور عدد المساكن بمدينة سطيف والتجمعات الثانوية المحيطة بها.

#### 1- المرحلة الأولى: 1954-1966م "ارتفاع معدل النمو الحضري":

تتميز هذه المرحلة بمعدل نمو سكاني عالي، حيث كان يقدر عدد سكان المدينة بـ 42000 نسمة منهم 35490 جزائري و6510 أجنبي سنة 1954م، ليصل إلى 88212 نسمة سنة 1966م، أي بمعدل نمو قدره 6.38%<sup>1</sup>، وهو معدل يفوق المعدل الوطني لنفس الفترة المقدر بـ 4.70%<sup>2</sup>. وهذا يدل على أنّ هذه الزيادة غير الطبيعية ناجمة عن النزوح الريفي الكثيف نحو المدينة خلال فترة الثورة التحريرية هروباً من قمع المستعمر وسياسة المحتشدين والتفجير والتعذيب التي كان يمارسها على سكان المناطق الريفية باعتبار الريف الجزائري هو من احتضن الثورة وساندها ودعمها، وما زاد من حدتها - الهجرة -، رحيل المعمرين وتركهم لأماكنهم شاغرة، ممّا دفع بالطبقة المحرومة وغير المالكة للأرض في المناطق الريفية للنزوح إلى المدينة والمناطق المحيطة بها والإقامة في البنايات الشاغرة التي تركها المعمرون، هذا بالإضافة إلى

<sup>1</sup> - التعدادات الوطنية: لسنة 1954 وسنة 1966.

<sup>2</sup> - نفس المرجع.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

سياسة الدولة التي انتهجتها بعد الاستقلال، حيث عمدت إلى جلب الفلاحين من المناطق الريفية نحو المزارع الحكومية القريبة من المدينة، وبذلك أصبحت مدينة سطيف على غرار المدن الجزائرية الأخرى نقطة جذب للسكان من المناطق الريفية بحثا عن مناصب العمل وعن السكن. وأنّ المدينة عرفت خلال السنوات الأولى من الاستقلال توفر عدد هائل من السكنات والعمارات التي هجرها المعمرون، ونذكر منها عمارات ديار النخلة الناتجة عن مخطط قسنطينة، حي سانسفال وحي الهواء الجميل، غير أنّ في آخر هذه المرحلة عرفت المدينة ضغطا كبيرا وعجزا ملحوظا في توفير السكنات للنازحين الذين يزداد عددهم يوم بعد يوم، حيث بلغ معدل شغل المسكن في مدينة سطيف نحو 12 فرد/مسكن.

إذا هذه المرحلة عرفت نموا حضريا سريعا ناتج أساسا عن التزوح الريفي للسكان نحو مدينة سطيف بحثا عن العمل والسكن وحياء أفضل.

## 2- المرحلة الثانية: 1966-1977 م "تراجع النمو الحضري":

عرفت مدينة سطيف تراجعا في معدل النمو الحضري، حيث انتقل معدل النمو السكاني من 6.38% إلى 3.30%، وهو معدل ضعيف جدًا رغم المؤهلات الاقتصادية الكبرى التي تتمتع بها المدينة ورغم ما شهدته الجزائر في هذه الفترة من نمط جديد من التنظيم الاقتصادي الموجه، فاستعملت فيه وسائل التخطيط المركزي استفادت منها عشر ولايات ومنها ولاية سطيف سنة 1970<sup>1</sup>، وهذا ما يبيّن اختلافا وتناقضا كبيرا بين مؤشرات النمو الحضري الذي عرف تراجعا كبيرا والامتيازات الاقتصادية التي منحت لمدينة سطيف.

غير أنّ هذا التناقض والاختلاف يمكن فهمه وتفسيره من خلال التجمعات الثانوية التي ظهرت حول مدينة سطيف – والتابعة إليها إداريا - حيث عمدت الدولة في سياستها الاقتصادية المتوجهة نحو الصناعة إلى تحويل أقطاب كانت معروفة بالتوجه الفلاحي إلى أقطاب صناعية، نتج عنها توفر مناصب الشغل في المؤسسات الاقتصادية والتجارية والوحدات الصناعية ومؤسسات البناء والأشغال العمومية، صاحب هذا التوجه حركة كبيرة لسكان

1- بشير التجاني: مرجع سابق، ص، 23.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

الأرياف نحو هذه التجمعات الثانوية المحيطة بالمدينة بسبب الأزمة السكنية التي ظهرت داخل المدينة بالرغم من توفير الدولة من خلال الصندوق الوطني للتوفير والاحتياط لمجموعة من السكنات الاجتماعية وظهور برنامج البناء الذاتي الذي ارتفع من خلالهما عدد المساكن إلى 17607 مسكن سنة 1977م وانخفض معدل شغل المسكن إلى 7 فرد/مسكن<sup>1</sup>.

إذا هذه الأزمة نتج عنها ظهور عدّة تجمعات ثانوية وعرفت نموًا سكانيًا سريعًا، فبعد ما كان تجمع فرماتو والوحيد الذي ظهر قبل 1966م يحتوي على 1090 نسمة ارتفع سنة 1977 إلى 1906 نسمة بمعدل نمو يقدر بـ 5.21%، أمّا تجمع الحاسي، شوف الكداد، عبيد علي، عين الطريق والتي ظهرت بعد 1966م فكانت تحتوي على 10230 نسمة سنة 1977م، وبهذا يكون عدد سكان التجمعات الثانوية يقدر بـ 4136 وهم سكان نازحون من المناطق الريفية نحو مدينة سطيف، وبسبب صعوبة الحصول على المسكن داخل المدينة استقروا في هذه التجمعات المحيطة بالمدينة، وهم بذلك يمثلون 7.14% من سكان بلدية سطيف<sup>2</sup>.

### 3- المرحلة الثالثة: 1977-1987م "انخفاض معدل النمو الحضري":

تميزت هذه المرحلة باستمرار انخفاض معدل النمو الحضري للمدينة حيث قدر بـ 2.88% وهو معدل ضعيف إذا ما قورن بمعدل النمو الوطني المقدر في نفس الفترة بـ 5.46%، ويرجع هذا الانخفاض الكبير في معدل النمو الحضري إلى انخفاض وتيرة التزوح الريفي نحو المدينة بسبب ظهور مراكز صغيرة بأطراف المدينة ساهمت في امتصاص تدفقات الهجرة نحوها وهي ناتجة عن التقسيم الإداري لسنة 1984م ومنها عين أرنات، الأوريسية، مزلق، أولاد صابر، وظهور أيضا مدن صغيرة يتجه إليها السكان حتى من داخل مدينة سطيف منها مدينة العلمة، عين الكبيرة، عين أولمان، بوقاعة، وظهور تجمعات سكنية ثانوية أخرى محيطة بالمدينة تنمو وتتطور بصورة غير طبيعية ومنها تجمع عين السفية وتجمع قاوة اللذان بلغ عدد ساكنهما 1229 نسمة، وبذلك يصبح عدد سكان التجمعات الثانوية السبعة قد ارتفع إلى

<sup>1</sup> - نفس المرجع.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص، 24.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

11883 نسمة، ويمثل 5.38% من إجمالي سكان البلدية بمعدلات نمو مختلفة حيث قدر في تجمع عين الطريق مثلاً بـ 22.20% وقدر بـ 7.43% بتجمع عبيد علي<sup>1</sup>. وكل هذه المعطيات تفيد بأنّ انخفاض معدل النمو الحضري للمدينة ليس وليد الصدفة، بل ناتج عن استقبال هذه التجمعات والمدن الصغيرة المحيطة بالمدينة للفائض السكاني بسبب

الأزمة السكنية التي عرفتها المدينة في بداية الثمانينات بعدما ظهرت سياسة جديدة للسكن أدخلته ضمن الصفقات العقارية بعد أن كان حقا للمواطن، وخير مثال عن ذلك السكن الاجتماعي الذي ظهر في بداية الثمانينات، الناتج عن القرار الوزاري الصادر سنة 1975م<sup>2</sup>، القاضي بإنشاء المنطقة السكنية الحضرية الجديدة والتي تحولت إلى البناء الذاتي وغلب عليها طابع الاحتكار لأحسن الأراضي من طرف الخواص.

#### 4- المرحلة الرابعة: بعد 1987 "استمرار في انخفاض معدل النمو الحضري":

شهدت المدينة في هذه الفترة انخفاضا مستمرا في معدل النمو الحضري حيث لم يتعد 2.16% سنة 1998م وهو معدل منخفض جداً إذا ما قورن بمعدل النمو الوطني المقدر بـ 03.57% لنفس الفترة<sup>3</sup>.

ويعود هذا الانخفاض إلى سياسة التخصيصات التي انتهجتها البلديات المجاورة والمحيطة بالمدينة وحتى التابعة للولاية حيث وضعت حدًا لحركة السكان نحو المدينة، بالإضافة إلى توجيه السكان نحو التجمعات الثانوية المحيطة بها قصد تخفيف الضغط على المدينة، هذه التجمعات التي شهدت تواصلا في ارتفاع عدد السكان فيها حيث بلغ عدد سكانها خلال تعداد 1998م حوالي 21133 نسمة يمثلون 8.52% بالنسبة لسكان البلدية، وذلك راجع إلى المشاريع السكنية التي استفادت منها بعض هذه التجمعات خاصة تجمع عين الطريق الذي حضى بعدة مشاريع سكنية ثمّ ترحيل بعض السكان من المدينة إلى هذا التجمع، أمّا الفترة ما

<sup>1</sup> - نفس المرجع.

<sup>2</sup> - وزارة الأشغال العمومية والبناء: قرار وزاري رقم 335 المؤرخ في 19 فيفري 1975.

<sup>3</sup> - نفس المرجع.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

بعد 1998 فإنه لا توجد معلومات دقيقة حول عدد السكان ونسبة النمو الحضري لمدينة إلا ما تمّ الحصول عليه من طرف مصالح البلدية وهي تمثل فقط الزيادة الطبيعية للسكان دون حساب الزيادة غير الطبيعية وقد قدر عدد سكان البلدية ككل بـ 259.145 سنة 2002م حوالي 303438 ساكن سنة<sup>1</sup> 2004.

وقدر عدد سكان البلدية سنة 2008 بـ 1.489.973 نسمة وبالضبط بتاريخ 2008/4/16 أي بزيادة 1.30% وهو مؤشر على استمرار إنخفاض معدل النمو ناتج عن تشبع مركز المدينة واتجاه النمو نحو الأطراف والضواحي التي عرفت نموا متزايدا في هذه الفترة فمثلا قدر معدل النمو في بلدية عين الرنات بـ 03.08%؛ أما مدينة سطيف فقدر عدد سكانها في هذه المرحلة بـ 252127 نسمة من 54 551 أسرة بمعدل نمو قدره 1,71%، من أصل 288461 نسمة بالبلدية، وهو مؤشر أيضا لاتجاه النمو نحو التجمعات الثانوية والمبعثة بالمدينة<sup>2</sup>.

وخلال سنة 2009 قدر عدد السكان بالبلدية بـ 299 379 نسمة ينتمون إلى 57 956 أسرة بكثافة سكانية قدرها 2351,76 نسمة/كلم<sup>2</sup>، وسنة 2010 قدر عدد السكان بـ 323211 نسمة، ومن المتوقع أن يصل إلى 331569 نسمة سنة 2013 وإلى 396453 نسمة سنة 2020م<sup>3</sup>.

وهذا يعني أن عدد سكان مدينة سطيف سوف يستمر في التزايد نظرا لما تتوفر عليه لمدينة من مرافق وخدمات استفادت منها من المخطط الوطني لتدعيم الهضاب العليا. وتجدر الإشارة أنه عند الحديث عن مراحل النمو الحضري لمدينة سطيف أنّ هذا النمو لا يتم بنفس الوتيرة عبر كلّ أحياء المدينة والتجمعات التابعة لها، بل بدرجات متفاوتة من حي إلى آخر وهو ما يفسر الاختلاف والتباين الموجود بين أحياء المدينة من حيث حجم الكثافة السكانية وهو ما يمثله الجدول رقم (02) ورقم (03) وما تبينه الخريطة رقم (02) (في الملحق).

<sup>1</sup> مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: ط12، مرجع سابق، ص، 11-12، بالتعاون مع مصالح البلدية.

<sup>2</sup> بلدية سطيف: المصالح التقنية (cd).

<sup>3</sup> نفس المرجع.



د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

#### خامسا: عوائق التوسع المجالي لمدينة سطيف:

كما سبقت الإشارة إليه في العناصر السابقة أنّ مدينة سطيف عرفت نموا سكانيا كبيرا ناتج أساسا عن الموجات المتتالية من الهجرات الريفية نحوها بسبب توفر مجموعة من العوامل المساعدة على ذلك بحسب كل مرحلة، ابتداء من سياسة المستعمر الفرنسي التي طبقها على السكان مرورا بفترة الاستقلال وما صاحبها من توفر سكنات شاغرة تركها المعمرون إلى السياسة التنموية التي انتهجتها الحكومة الجزائرية لدفع وتيرة التنمية وصولا إلى الأحداث الأليمة التي مرت بها الجزائر في العشرية الأخيرة وما صاحبها من توتر الوضعية الأمنية في المناطق الريفية المنعزلة بالخصوص.

ومعنى هذا أنّ المدينة عرفت ارتفاعا في الطلبات على السكن، الذي كان متوفرا بعد الاستقلال، غير أنّه وخلال الثمانينات من القرن الماضي عرفت المدينة أزمة سكنية حادة دفع بالسلطات المحلية التفكير في إيجاد حل لهذه الأزمة، وكان ذلك بإنشاء عدّة مشاريع سكنية أدى إلى الاستهلاك المتواصل للمجال، وصل إلى حد استنفاد الاحتياط العقاري للمدينة، بل وأكثر من ذلك التوسع على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود، رغم وجود قانون يحميها من زحف الإسمنت، وهو "قانون 90-25 المؤرخ في 18 نوفمبر 1990م المتضمن التوجيه العقاري"<sup>1</sup>، ويعود السبب في زحف العمران نحو الأراضي الزراعية إلى عدّة معوقات تقف أمام نمو المدينة إلا على حساب هذه الأراضي ويمكن تلخيصها في الجدول رقم (04) والخريطة رقم (03) (في الملاحق).

وانطلاقا منهما يتضح لنا أنّ مدينة سطيف قد استنفذت احتياطها العقاري المخصص للبناء والتعمير في كل النواحي بسبب وصول المباني إلى الأراضي الزراعية والمناطق الغابية المشجرة المخصصة للتسليّة، ويبقى المخرج الوحيد لتوسّعها هي الجهة الشمالية، حيث توجد هضبة قاوة بفضل تكييفها مع المنحدر لكي تصبح منطقة صالحة للبناء والتعمير، أو توجيه التعمير خارج حدود تراب البلدية.

<sup>1</sup> - الجريدة الرسمية: عدد 49-1990، فيه استرداك، ج.ر عدد 55-1990، المعدل والمكمل بالأمر رقم 95-26 المؤرخ في 26 سبتمبر 1995م.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### خلاصة:

مما سبق يتجلى أنّ ظاهرة التحضر في مدينة سطيف قديمة قدم حضارات شمال إفريقيا غير أنه تبقى مرحلة الاحتلال الفرنسي ومرحلة ما بعد الاستقلال هي أهم مراحل التحضر بالمدينة فتضاعفت عدد السكان فيها ليصل 331569 نسمة سنة 2013م بعدما كان يقدر فقط بـ 42000 نسمة منهم 35490 جزائري و6510 أوروبي سنة 1954م.

وكانت وراء هذه الزيادة عدة عوامل مرتبطة بكل مرحلة مرت بها هذه المدينة التي تتمتع بموقع استراتيجي هام، ابتداء من سياسة المستعمر الفرنسي التي طبقها على السكان مروراً بفترة الاستقلال وما صاحبها من توفر سكنات شاغرة تركها المعمرون إلى السياسة التنموية التي انتهجتها الحكومة الجزائرية لدفع وتيرة التنمية وصولاً إلى الأحداث الأليمة التي مرت بها الجزائر في العشرية الأخيرة وما صاحبها من توتر الوضع الأمني في المناطق الريفية المنعزلة بالخصوص، وأخيراً الامتيازات التي استفادة منها المدينة في إطار مشروع دعم الهضاب العليا.

هذه العوامل كلها جعلت من التحضر بمدينة سطيف (على غرار باقي المدن الجزائرية) عبارة عن تحضر كمي على حساب التحضر النوعي من جهة، ومن جهة أخرى استنفذت المدينة احتياطها العقاري بل أكثر من ذلك توسعت على حساب الأراضي الزراعية العالية المردود.

د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

## 1- قائمة المراجع:

### أ- باللغة العربية:

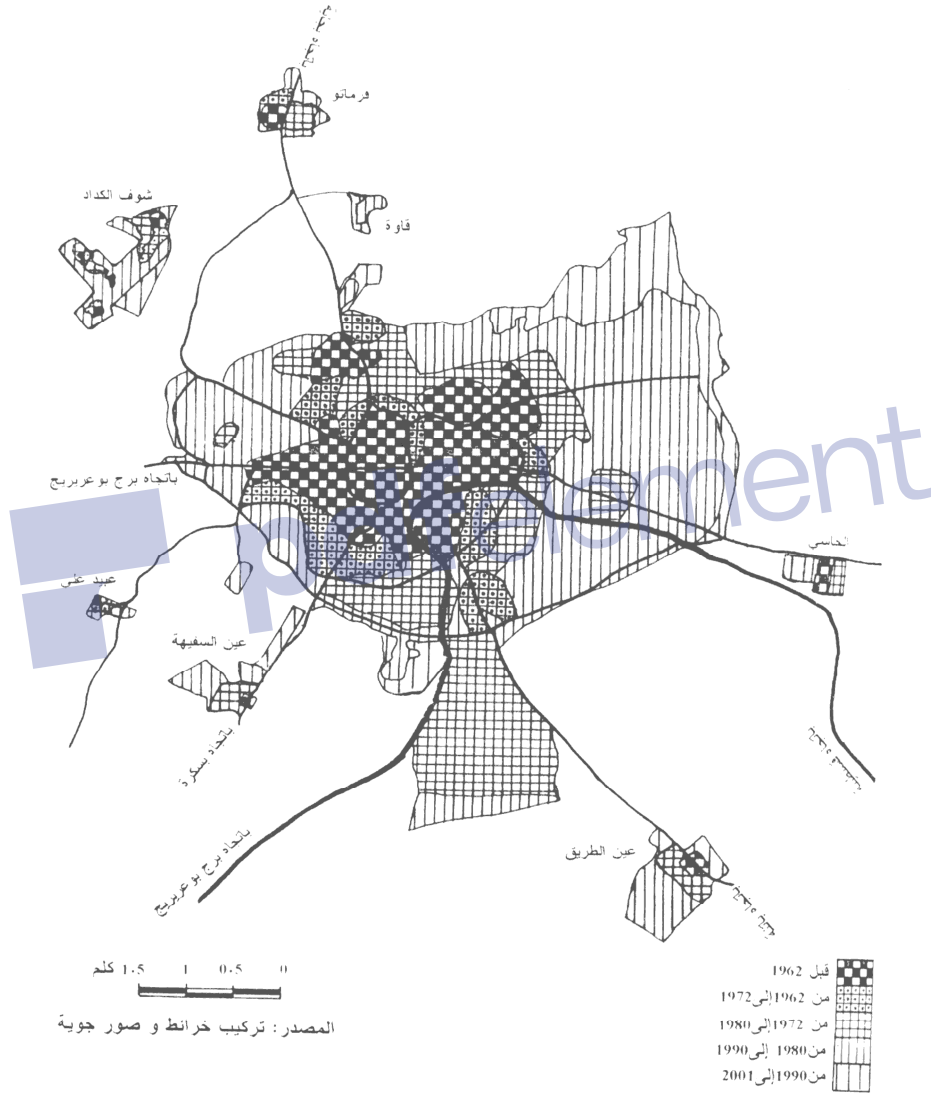
- <sup>1</sup> - بلدية سطيف: المصالح التقنية (cd).
  - <sup>2</sup> - التعدادات الوطنية: لسنة 1954 وسنة 1966.
  - <sup>3</sup> - الجريدة الرسمية: عدد 49-1990، فيه استدراك، ج. ر. عدد 55-1990، المعدل والمكمل بالأمر رقم 95-26 المؤرخ في 26 سبتمبر 1995 م.
  - <sup>4</sup> - دليل الجامعة: مؤلف من طرف نيابة الرئاسة المكلف بالتخطيط والتوجيه والإعلام، جامعة فرحات عباس سطيف، أوت 1993.
  - <sup>5</sup> - سطيف عبر العصور الإسلامية: مجلة الشهاب الشهرية، العدد الثاني، محرم 1426.
  - <sup>6</sup> - المخطط التوجيهي للتهيئة والتعمير: تحليل الوضعية الحالية.
  - <sup>7</sup> - مديرية التخطيط والتهيئة العمرانية: مصلحة الدراسات الاقتصادية والاجتماعية، ولاية سطيف بالأرقام 1995، ط. 11.
  - <sup>8</sup> - مديرية التعمير والبناء لولاية سطيف.
  - <sup>9</sup> - وزارة الأشغال العمومية والبناء: قرار وزاري رقم 335 المؤرخ في 19 فيفري 1975.
  - <sup>10</sup> - الوكالة العقارية لولاية سطيف: مخططات الكتلة للتخصيصات.
- ب- باللغة الأجنبية:

- <sup>11</sup> - (A.P.C de Sétif), **Sétif et sa Region Commune de Sétif**, Septembre 1986.
- <sup>12</sup> - Denise (M): **Sétif de ma Jeunesse, Septembre, 2001, (CD)**.
- <sup>13</sup> - M. Cote: **Guide d'Algerie (Paysage Et Patrimoine)**.
- <sup>14</sup> - M.Cote: **L'Espace Algérien. Les prémices d'un Aménagement**.
- <sup>15</sup> - Ministère de L'équipement et de la Ménagement Territoire: **Les Villes dans La Revitalisation des Espaces Plateaux**, P. 184.
- <sup>16</sup> - Pelletier (J), Delfante (CH) : **Ville et Urbanisme dans le monde**, Masson, Paris, 1989.
- <sup>17</sup> - Said Atoui: **Problematique de L'urbanisation Spontane en Algerie (Cas de Setif), Thèse de Magistere L'architecture 2001-2002**.
- <sup>18</sup> - [www.Google.Com.Http/Sétif, 19.Com. 21/01/2006, 21:23](http://www.Google.Com.Http/Sétif, 19.Com. 21/01/2006, 21:23).

د. فروق بعلی ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

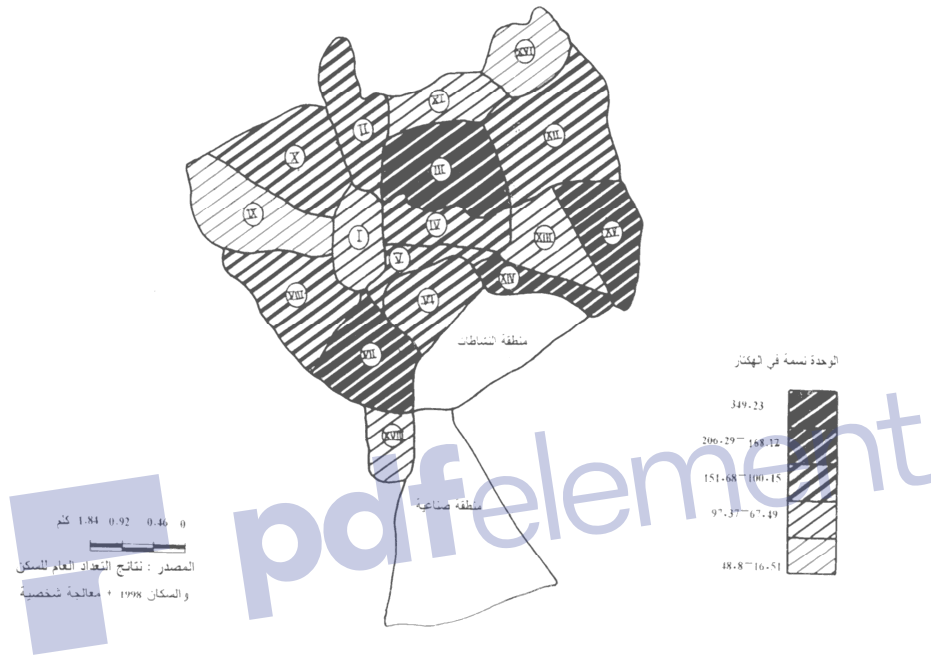
## 2- قائمة الملاحق (الخرائط):

### خريطة رقم (01): مراحل التوسع المجالي لمدينة سطيف والتجمعات المحيطة بها



د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### خريطة رقم (02): توزيع الكثافة السكانية عبر أحياء مدينة سطيف



د. فروق يعلى ..... التحضر بمدينة سطيف: دراسة سوسيو تاريخية

### خريطة رقم (03): عوائق التوسع المجالي لبلدية سطيف



## إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

بقلم: د. نور الدين مبني / أ. أحمد بوعون  
جامعة محمد لمين دباغين، سطيف 2

### ملخص:

يعتبر القطاع الثقافي والسياحي من القطاعات الخدمية بالرغم من وجود بعض الاختلاف عن الأنشطة الخدمية الأخرى، وهذا راجع لكون هذا النشاط مركبا من منتج مادي وغير مادي، وهو بذلك يشبه في بعض خصائصه مع الخصائص العامة للخدمات، وعلى هذا الأساس يعتبر التسويق الثقافي والسياحي عاملا مهما في تحقيق التنمية الثقافية والسياحية بالنظر إلى أدواره المهمة في التعريف والترويج للمنتج الثقافي والسياحي، وإقناع العملاء بزيادة الطلب مما يؤدي إلى زيادة الأسواق الثقافية والسياحية، ويعتبر الوقوف على ماهية السياحة، ضرورة ملحة أمام كل باحث ومهتم بالتنمية السياحية لتحديد مجال تدخل هذا القطاع الذي أصبح يمثل أحد الأولويات في برامج التنمية ليس في الدول المتطورة فحسب، بل حتى في الدول النامية.

فحدثة الظاهرة السياحية وارتباطها مع قطاعات عديدة اقتصادية واجتماعية، جعلت تحديد مفهومها يختلف حسب اختلاف التخصصات العلمية للجهات الدارسة لهذه الظاهرة، فبالنسبة للاقتصاديين تعتبر هذه الظاهرة نشاطا اقتصاديا فهي حاجة وسلعة في آن واحد، أما بالنسبة للاجتماعيين فهي عبارة عن هجرة، والسياحة عبارة عن مجموعة الأنشطة المتعلقة بالسفر والتنقل والإقامة خارج مقر السكن العادي لأغراض متعددة.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

## أولا- الإشكالية:

تختلف الرؤى وتتعدد الاستراتيجيات لدى الهيئات الرسمية والمؤسسات الإعلامية حول المفاهيم العلمية والعملية التي تترجم فكرة التسويق الثقافي والسياحي للمنتج الجزائري سواء على مستوى محلي، إقليمي أو عالمي، حيث تقف أغلب الأفكار والاستراتيجيات عند حدود تقديم صورة نمطية عن كل ما هو موروث جزائري وفي حدود ضيقة. وفي المقابل لا تطرح الحلول والبدائل للابتعاد عن الصورة الضبابية التي تكتسي الثقافة والسياحة الجزائرية، إنه من الضروري والملح أن نتحدث عن استراتيجيات تسويقية تكون فعالة وكفيلة بالتعريف أكثر بالجزائر وما تكنزه مدن هذا الوطن من ذخيرة ثقافية وسياحية تواجه بها تيارات الغزو الثقافي والإعلامي والاقتصادي الموجه لنا من كل اتجاه، وحتى تتجسد هذه الاستراتيجيات على أرض الواقع وتحقق أهدافها لابد أن ترتكز على عناصر خمسة هي: الرؤية - الرسالة - الهوية - القيم - المنتج.

فالرؤية المشتركة بين كل الفاعلين في المدينة الثقافية من هيئات وصية ومثقفين ومنتجين ووسائل إعلام وجمهور تؤسس لتجارب حاملة في بيئة غير اعتيادية على عكس البيئة الاجتماعية مثلا، تجعل من الأدوار الموزعة هذه الفواعل محررة من كل أشكال القيود المرسومة محليا وتفتح المجال لهذه المدينة لتكون مدينة حاملة في عالم مفتوح. أما الرسالة التي تقدمها هذه الاستراتيجيات فهي أفضل صورة عن الخدمات وبأقل تكلفة حتى تجسد أهداف المدينة في استقطاب أكبر عدد من المبدعين والمنتجين وكذلك قطاعات عريضة من الجمهور حتى يتعرف على روح هذه الرسالة المبدعة.

كما ينبغي أن نلعب دورا رائدا في التمسك بالهوية الوطنية الجزائرية وتكون كل الفواعل منخرطة في استراتيجية بعيدة المدى تحافظ على خصوصية الثقافة المحلية وتسوق لها في آن واحد من خلال العمل على اكتساب الخبرة والمعرفة والاحتكاك أكثر بالآخر وتفعيل التبادل الثقافي والحضاري.

أما عندما نتحدث عن العنصر الآخر والمتعلق بالقيم فالمطلوب هنا أن نوازن هنا بين القيم المثالية والقيم الفعلية للموروث الثقافي هذا الأخير الذي يموت ويضمحل إن كانت قيمه



د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

غير متجددة ولا تعطي اهتماما للتراث الشعبي والتراث الشفهي والمكتوب ونعمل فقط على اختزاله في أحداث مناسبة فلكلورية في أغلب الأحيان ومن هنا ينبغي أن تكون قيمة الفعل الثقافي في تواصله وتغلغله داخل حركة المجتمع المحلي والعالمي. والعنصر الأخير الذي ينتج عن تفاعل كل هذه المكونات هو المنتج أو المنتج الثقافي والسياحي الذي يترجم مباشرة الصورة الحقيقية التي يشتغل بها كل الفاعلين في الميدان بناء على خصائص ومميزات هذا المنتج أو ذلك ومدى قدرته على جذب الاهتمام والإثارة على مستوى واسع جدا يؤدي من خلال دوران الحلقة التواصلية والاقتصادية إلى خلق الثروة للدولة والمجتمع.

وبناء على ما سبق نطرح التساؤل الآتي: ما المقصود باستراتيجيات التسويق الثقافي

والسياحي للمدينة الجزائرية؟

ثانيا- مدخل عام إلى التسويق السياحي والثقافي:

لا يكاد يختلف المهتمون بدراسة التحولات الكبرى في استراتيجيات التسويق حول وجود اختلافات جوهرية بين تسويق السلع والخدمات المادية وبين التسويق للمنتج السياحي والثقافي بالرغم من كون النشاط السياحي هو في عمقه عبارة عن تقديم خدمات ومنتجات يستهلكها السائح والثقافة هي أيضا في الأصل صناعة تنتج سلعا وخدمات تشبع حاجيات الفرد إلى العلم والمعرفة والترفيه، في حين أن الفروق الموجودة تتمثل في شمولية وخصوصية المنتج الثقافي والسياحي حيث يشمل هذا النشاط في كل مرحلة من مراحل تسويق المنتج كل عناصر التسويق الخاصة بالسلعة المادية وتتمثل خصوصيته في تناغم وتكامل العناصر المشكلة له لأنه يعكس صورة ذهنية عميقة لدى المستهلك تعكس الأصل التاريخي والعقدي والاجتماعي والمعماري وتبقى لصيقة بالمخيال الفكري للأفراد ولذلك فإن العملية التسويقية يجب أن تتعامل مع هذه الشمولية والخصوصية للنشاط الثقافي والسياحي.

فالتسويق السلعي بهذا المعنى يهدف إلى تحقيق رقم محدد من المبيعات خلال فترة زمنية محددة، وهذا الهدف يمكن أن يوجه وفق استراتيجيات علمية صحيحة كما يمكن أن تكون عملية التسويق للسلع غير ثابتة في سياقها الزماني والمكاني، حيث أن تسويق السلع المادية الملموسة يحقق منفعة زمنية نتيجة لطبيعة هذه السلع حيث يمكن القيام بجهود

د.نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

تسويقية لسلع تم إنتاجها فعلا أو لسلع سوف يتم إنتاجها في المستقبل، لذلك فإنه في هذا الموقف يحتاج التسويق إلى مهارات عالية للتأثير على قرارات الشراء لدى المستهلك<sup>1</sup>.

أما التسويق السياحي والثقافي فيقوم على إثارة الدوافع والاتجاهات لدى المواطن المحلي والعالمي للاطلاع عن قرب أو عن بعد على الموروث الثقافي والسياحي لدولة أو مؤسسة معينة كزيارة الجزائر مثلا في سياق العديد من المناسبات والتظاهرات والصالونات الثقافية والسياحية التي نظمت خلال فترة قصيرة بهدف التسويق لصورة الجزائر ثقافيا وسياحيا ومن هذه التظاهرات نذكر على سبيل المثال لا الحصر الصالون الدولي للكتاب، مهرجان وهران للفيلم العربي، الصالون الدولي للسياحة وغيرها، فالجزائر كعاصمة للثقافة العربية استقبلت وفودا كثيرة وجماهير مختلفة من كل الدول العربية والأجنبية إضافة إلى الحضور القوي للوفود الوطنية المشاركة في فعاليات التظاهرة وهذه الوفود يمكن أن نعتبرها سفيرا للثقافة الجزائرية في بلدانها إذا تم استغلال تواجدها بالجزائر استغلالا جيدا من خلال الأنشطة الثقافية والإعلامية والتسويقية.

والمعلوم عن المنتج الثقافي والسياحي أن مكوناته تتصف بالجمود وعدم المرونة وعدم القابلية للتغير في المدى القصير وهذه سمة ايجابية بالنسبة للدول التي تعرف نهضة ثقافية وصناعة سياحية متميزة وسمة سلبية بالنسبة للدول التي تعرف ركودا ثقافيا وضعفا في الجاذبية السياحية لأنه بهذا المنطق تحافظ الوجهة السياحية والثقافية الأولى على صورتها وعلامتها بأقل الجهود في حين تتضاعف الجهود في النموذج الثاني الذي يعرف ركودا وتخلفا لتغيير الصورة والعلامة السلبية التي تحملها في أذهان الزبائن المحتملين. وعندما نتحدث عن استقرار العلامة السياحية والثقافية المتميزة في أذهان الجماهير والمستهلكين فإنه ينبغي أن نشير إلى أن استراتيجيات التسويق تعتمد أساسا على طبيعة العلاقة المباشرة بين المؤسسة السياحية والثقافية التي تقدم الخدمة والمنتج وبين العميل أو الوسيط الذي يوصل بدوره الخدمة والمنتج إلى المستهلك النهائي ف شراء الخدمة أو المنتج يتطلب دائما علاقة خاصة بين

1- فاطمة حسين عواد: الاتصال والإعلام التسويقي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، دت، ص-

د.نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

المؤسسة وعمالها، وكذلك الأمر بالنسبة للصناعة الثقافية التي تعتمد دائما على العلاقة المقدسة بين المؤسسة والمتقف أو المبدع وبين المبدع وجمهوره.

### ثالثا- المزيج التسويقي السياحي:

تتعدد عناصر المزيج التسويقي السياحي وتتكامل فيما بينها مشكلة القاعدة الأساسية والصلبة لنشاط أي مؤسسة سياحية حيث يتشكل هذا المزيج من: المنتج - التنشيط والتوزيع - العنصر البشري - السوق - التسعير<sup>1</sup>.

1- المنتج: هو عبارة عن مجموعة من العناصر التي تتواجد لدى الدولة فهو خليط من الظروف الطبيعية ( الجغرافية والمناخية والبيئية والدينية والاجتماعية والتاريخية ) وغير ذلك من المقومات فتكون بمثابة مصادر جذب سياحي هام تعتمد عليها في إثارة الطلب السياحي المحلي والخارجي، وما نلاحظه في هذا الإطار بالنسبة لمقومات الجزائر الطبيعية أنها متوفرة ومواتية لدفع النشاط السياحي نحو الإقلاع الحقيقي والتطور، بالإضافة إلى الخدمات والتسهيلات السياحية مثل المرافق العامة والخدمات التي تعرف في الجزائر حالة من الضعف والإهمال والامبالاة بقيمتها، ويؤدي فهم وإدراك خصائص المنتج السياحي ومقوماته إلى تميزه ومنافسته لعروض الدول الأخرى ومن ثم تفضيله من قبل الزبائن، كما يؤدي إلى تنشيط العملية التسويقية ومن هذه الخصائص نذكر:

- تكامل الخدمة السياحية<sup>2</sup>.

- المنتج السياحي غير الملموس<sup>1</sup>.

1- المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، تسويق سياحي، تخصص سفر وسياحة، المملكة العربية السعودية، ص21.

2- تتكون الخدمة السياحية من عدد من الخدمات الفرعية يترابط بعضها ببعض وتسير وفق نظام معين ومدروس بحيث إذا فقدت حلقة فرعية واحدة من هذا النظام فإنه يحدث خلل في كل نظام الخدمة السياحية، وتبدأ هذه الخدمة منذ استقبال السائح مرورا بخدمات التنقل والإقامة والإعاشة ووصولاً إلى الترفيه السياحي.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

- تنوع المنتج السياحي.

- الاعتماد على قوة العناصر الطبيعية وكفاءة الموارد البشرية.

تعمل المؤسسة السياحية بكل طاقاتها وإمكانياتها على تقديم منتج متميز يكون الدافع المباشر للجذب السياحي ولذلك فهي تركز على ثلاثة عناصر تعتبر مطالب رئيسية لديها وهي:

أ- إجراء مسح شامل لعناصر الجذب السياحي بالدولة التي تستثمر فيها يوضح ما تم استغلاله وما يمكن استغلاله وما لم يتم استغلاله.

ب- إجراء دراسات كمية متواصلة للسوق السياحي توضح حجم الطلب السياحي المتوقع.

ج- معرفة الأهداف الرئيسية من زيارات السياح التي تسمح بتصنيف أولوياتهم واتجاهاتهم ومحاولة تكثيف ودعم الجهود بالنسبة لنمط السياحة المرغوب مثل دعم السياحة الترويجية أو العلاجية أو الأثرية... الخ.

2- التنشيط والتوزيع: يمثل التنشيط السياحي حلقة مهمة في استراتيجية التسويق ويقصد به الجهود التي تبذلها وسائل الإعلام والاتصال بشتى أنواعها ودعائمها، شركات العلاقات العامة، والجهود الشخصية للمؤسسات و الأفراد للتعريف أكثر بالعلامة السياحية للدولة أو المدينة المقصودة وإبراز خصائصها أمام الزبائن والمستهلكين وجذب انتباههم لتنوع المنتج السياحي، ويكون ذلك عن طريق استخدام مختلف وسائل الدعاية والإعلان كالمصقات والنشرات والحملات ووفق أجندات زمنية مدروسة بدقة مستغلة في ذلك تنوع وسائل الإعلام وقوة تأثيرها في ظل التكنولوجيات والتطبيقات الحديثة<sup>2</sup>.

1- يعتمد المنتج السياحي على خدمات غير ملموسة مرافقة له تفرض على القائم بالتسويق أن يمتلك قدرات ومهارات اتصالية وتسويقية معينة لأن المنتج السياحي يتميز بسمات خاصة تتطلب الاهتمام بدراسته علميا وعمليا للتأثير أكثر في العملاء والزبائن المحتملين.

2- تشكل الدعاية والإعلان والعلاقات العامة المركب الهرمي التنشيطي للسياحة لما لهذه العناصر من قوة التأثير في آراء واتجاهات المستهلكين وإقناعهم بمقومات وتحفيزات هذه السوق من تكامل الخدمات وتنوع المنتج وغيرها من العناصر الجاذبة.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

3- **العنصر البشري (المورد والكادر البشري):** يعتبر المورد البشري الحلقة الأقوى في أي نشاط سياحي انطلاقا من كونه يشكل عنصرا فعالا في عملية التخطيط والتسويق الاستراتيجي لكل الخدمات والمنتجات التي توفرها من ناحية، ومن زاوية عملية ميدانية تشكل العمالة السياحية في الفنادق والمنتجعات والمواقع الأثرية والحمامات والنقل والتوزيع الركن الآخر من تفاني المورد البشري في خدمة السائح والسياحة، وبناء على المعطيات الميدانية التي تثبت مكانة العنصر البشري في نجاح الاستراتيجية التسويقية للسياحة فإنه ينبغي على المسؤولين والمسيرين للمؤسسات الرسمية والناشطة في الميدان أن يركزوا جهودهم في أولى المراحل على تنمية هذا العنصر الإنتاجي من خلال التكوين والتدريب المستمر.

4- **السوق:** يعتبر السوق السياحي أحد منافذ التوزيع التي تعتمد عليها الدول والمؤسسات السياحية في التسويق لبرامجها وخدماتها وصورتها وعلامتها بصفة خاصة، ولذلك نلاحظ أن لكل دولة صورة ذهنية لدى الجمهور، وعلامة سياحية مسجلة باسمها في السوق السياحي العالمي، وهي تحاول من خلال دراسة هذه الأسواق سواء من خلال جهاز التسويق على المستوى المركزي داخل الدولة والمؤسسات المتخصصة، أو على مستوى خارجي من خلال جهود السفارات والقنصليات والمؤسسات العاملة في الخارج، وذلك للتعرف على حجم هذا السوق وقدرته على تنمية الطلب السياحي فيه، لأن الأسواق السياحية تخضع لاعتبارات الخصائص الجغرافية والاجتماعية والثقافية والعمرانية وغيرها من المتغيرات. ومن هنا يبرز دور التسويق الاستراتيجي الذي يأخذ بعين الاعتبار هذه الخصائص لاستقطاب أعداد أخرى من السياح من الأسواق الكلاسيكية والتعريف من جهة أخرى بالوجهة السياحية في الأسواق الجديدة والناشئة سياحيا.

5- **التسعير:** تعتبر مرحلة وضع الأسعار وتحديد سقف وهوامش الربح لكل المتعاملين والوسطاء في القطاع السياحي من الحلقات المهمة التي يؤدي تنظيمها والتحكم فيها إلى نجاح الاستراتيجية التسويقية لأن هذه الأخيرة تحتاج إلى تجسيد واقعي على أرض الميدان لمضمون الخطابات الرسمية والحملات الدعائية والإعلانية التي باشرها الفاعلون عند بداية كل موسم سياحي،

دينور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

وكذلك لأن الأسعار لها تأثير كبير في الحركة السياحية من حيث تأثر قرارات الزبائن بمقدار التكلفة المادية للرحلة والبرنامج السياحي، ومن هنا يكون هامش الحركة بالنسبة للمؤسسة والعميل اتجاه الزبون والسائح محدد بدقة ويتسم بالشفافية والثقة المتبادلة وهنا يكون انعكاس مباشر للقرارات التي تتخذها المؤسسة على ردود أفعال الزبائن الذي يأمل أن تجسد الخدمات المعلنة على أرض الواقع وبالمعايير المتفق عليها. ينبغي أن نشير هنا إلى العوامل الكثيرة التي تتحكم في سياسة التسعير بالنسبة للخدمات السياحية التي من بينها موسمية الحركة السياحية والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للسائح وكذلك اتجاهات السياسة التسويقية لتنشيط الحركة السياحية من منطقة إلى أخرى<sup>1</sup>.

#### رابعا- استراتيجيات التسويق السياحي:

لقد حاولنا من خلال هذه الدراسة أن نبحث في طبيعة الاستراتيجيات التي توظفها الدول والمؤسسات كتجارب سابقة وحالية وتوصلنا إلى فناعة وهي أن العملية التسويقية بكل عناصرها ومراحلها في المجال السياحي هي ذات بعد استراتيجي وتخضع لمنهج التخطيط الكلي والشامل، والتكامل الفعلي بين كل الفاعلين في توجيه هذا النشاط حتى نصل إلى القول بأن الأهداف المسطرة والمرجوة لها قابلية التحقق.

وهذه الاستراتيجيات هي مجموع الفعاليات والأنشطة السياحية القابلة للتطوير في الأسواق المحلية الإقليمية والعالمية، وذلك من خلال وضع سلم الأولويات في التعامل مع الأسواق السياحية المتوفرة بحسب درجة الأهمية والقيمة الربحية التي تدرها على الدولة المستقبلية، فهناك الأسواق ذات الأولوية الأولى<sup>2</sup>، انطلاقا من بعض الاعتبارات كالتقرب الجغرافي والعلاقات التاريخية وتناغم العادات والتقاليد واللغة وتكون الاستراتيجية المتبعة هي تحفيز الأسواق من خلال أدوات تسويقية محددة كالتعاقد مع الوكالات الأشهارية الكبرى وشركات العلاقات العامة ووسائل الإعلام وكذلك المشاركة الفعالة في المعارض والبورصات السياحية

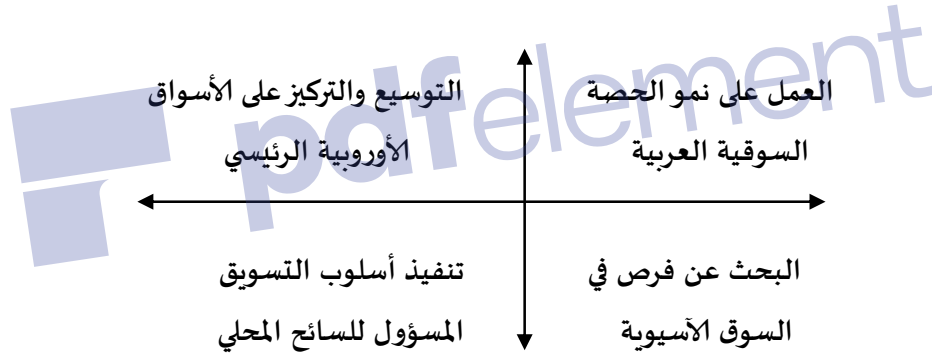
1 - Isabel frochot et Patrick legoérel, Le marketing du tourisme, Dunot, 2007.

2- محمد منير حجاب: المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2004، ص65.  
دراسات 117 مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية

د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

العالمية<sup>1</sup> لتصدير الصورة الايجابية والمتميزة عن الجزائر ومن أهم هذه الأسواق التي تحتل الأولوية الأولى لدى الجزائر نذكر:- الدول العربية: دول المغرب العربي – دول المشرق العربي – دول الخليج العربي وذلك باعتبار امتداد وعمق العلاقات التاريخية والدينية واللغوية التي تربط هذه الدول بالجزائر.

أما الأسواق التي تحتل الأولوية الثانية فهي تتمثل في الدول الأوروبية خاصة دول جنوب وغرب أوروبا لاعتبارات جغرافية لقرب المسافة بين الضفتين ولاعتبارات تاريخية نظرا لوجود جالية ضخمة بهذه البلدان يمكن أن نستفيد منها وتدعم الاقتصاد السياحي خاصة في المواسم والمناسبات. في حين تحتل الدول الآسيوية والأمريكية الأولوية الثالثة لاعتبارات اقتصادية بحتة مثل الولايات المتحدة الأمريكية – الصين – روسيا – الأرجنتين... وغيرها. وهذا ما يتضح من خلال المخطط التالي:



المصدر: وزارة السياحة الجزائرية

خامسا- استخدام الوسائل التسويقية الفعالة:

ومن أجل تسويق فعال يجب استخدام الوسائل الآتية:

1- إصدار وطبع الكتيبات والمنشورات والخرائط السياحية ونشرها وتوزيعها على نطاق واسع وذلك لتوفير كافة البيانات والمعلومات التي يحتاج لها السائح المحلي وخاصة الأجنبي.

1- محمد حسين بازركة: العلاقات العامة والسياحة، دار المعارف القاهرة 1998 ص 60.

د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

- 2- إعداد وتوفير قاعدة بيانات ضخمة للمعلومات والخرائط والصور وتحديثها من حين لآخر.
- 3- توزيع النشرات الإحصائية على الوكالات السياحية ومكاتب السفارات ووسائل الإعلام المحلية والأجنبية.
- 4- نشر الإعلانات السياحية عبر وسائل الإعلام المختلفة والقيام بحملات إعلامية وإعلانية عن المنتج والخدمات السياحية.
- 5- استخدام الطرق والأساليب الحديثة في التسويق عبر شبكة الأنترنت ومواقع التواصل الاجتماعي سواء من خلال مواقع المؤسسات الرسمية أو الخاصة والعمل دائما على تحديث المحتوى الإلكتروني لهذه المواقع.
- 6- التعاون مع الوكالات السياحية وشركات العلاقات العامة والإعلام من خلال إنتاج أفلام دعائية ووثائقية تعرف بالمواقع والمناطق السياحية.
- 7- استخدام البيع الشخصي المباشر من خلال تفعيل البرامج وتنظيم الفعاليات التي يتم فيها عرض المنتج السياحي وبيعه من خلال العقود المبرمة بين المؤسسات وكذلك استغلال وجود المعارض والبورصات السياحية التي تروج للعلامة أو الماركة السياحية على مستوى عالمي، ولذلك يجب على المسؤولين والفاعلين في الميدان أن يهتموا بهذا التظاهرات العالمية ويعملوا على المشاركة الدائمة والفاعلة فيها هذا من جهة، ومن جهة أخرى يجب الاهتمام أكثر بمعارض السياحة المحلية والعمل على تطويرها ومقاربتها باهتمامات السائح الجزائري.
- 8- مكاتب وشركات العلاقات العامة: بالرغم من أن المؤسسات الأكاديمية من جامعات ومعاهد ومخابر البحث وكذا المؤسسات الجزائرية بكل أصنافها غير قادرة على تطوير أنشطة العلاقات العامة في الجزائر إلا أنها تبقى أكثر الطرق اختصارا لترويج الماركة السياحية وتحسين صورة المؤسسة والدولة داخليا وخارجيا لأن العلاقات العامة نشاط متكامل ومتواصل ودائم ويبرز من خلال العمل الإعلامي والصحفي الذي يستغل العلاقات المتميزة مع الشخصيات الصحفية اللامعة وقادة الرأي البارزين على المستوى المحلي والعالمي، إضافة إلى عمل هذه المكاتب على إصدار كل ماله علاقة بالمعلومات التسويقية من كتيبات ومطويات ومجلات وخرائط وقواعد



د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

بيانات وصور ونشرات إحصائية فصلية والتي تعكس خصائص وسمات البيئة السياحية وكذلك الميزة التنافسية لهذه السوق السياحي، وتمثل أهم أدوات التسويق السياحي فيما يلي:

## 1- الأفلام:

وهي من الوسائل التي تستخدم في الخارج وتحقق الهدف الترويجي وتعدّ الأفلام من أكثر الوسائل فاعلية في نقل الأفكار على أنه لا بدّ من وجود رسالة دائمة ومتجددة ومضمون أو منتج سياحي ثقافي مميز تسلط عليه الأضواء لجذب المشاهدين وميزانية مناسبة لإنتاج هذه الأفلام أو تسهيل إنتاجها بما يتفق والحملات الترويجية وأن يتوفر لدى الجهة أو المكتب أو الشركة أو الممثل السياحي الأفلام السياحية المناسبة والحديثة وأن يتم الاتفاق مع الجهات المختصة لعرض هذه الأفلام بأجهزة الإعلام الجماهيرية وفي دور العرض والجامعات والسفارات<sup>1</sup>.

على أن تكون هذه الأفلام مختلفة المقاسات للاستعمال المسرحي وغير المسرحي، وأن تكون متنوعة الموضوعات جيّدة المضمون ومتجددة بصفة دورية بحيث تغطي أهم المناطق السياحية وتبرزها وأن تكون صالحة للعرض في البلد الذي يتم فيه الإعلان من حيث الموضوع والفكرة والجاذبية والتشويق، وتوفر عدد كبير من نسخ هذه الأفلام لتتناسب وأتساع ميدان الحملة الترويجية، وكذا توفير أفلام ملوّنة على أعلى مستوى إخراجي وأن تكون صالحة للعرض في التلفزيون، وأن تكون جيّدة الإعداد والإخراج صالحة للعرض مع مداومة عمل الصيانة اللازمة للتأكد من سلامتها ووجود ماكينة عرض جاهزة لاستخدامها في المناسبات المختلفة إذا لزم الأمر وأيضاً لاستخدامها في المعارض أو المؤتمرات أو الحفلات التي تقام في الجهات المختلفة.

## 2 - الصّور:

وهي من المواد الترويجية الهامة خاصة عند كتابة مقالات في الصحف أو المجلات، وأيضاً الأنباء المصورة التي توزّع على وكالات الأنباء والصحف والمجلات للاستعانة بها عند عمل نشرات سياحية وفي النوادي والجامعات مع مراعاة أن تكون الصور على جانب من الحداثة وتصور

1- نفس المرجع، ص 60.

د.نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

الواقع تصورا شيقا وواقعيًا وجذابًا، مع ضرورة تنوعها وتعبيرها عن كافة أنواع السياحة الموجودة وتستخدم الرسوم والصور لجذب الانتباه بجانب أنها مادة تثقيفية لغتها سهلة وسليمة وتعمل على خلق الحافز لدى المتلقي<sup>1</sup>.

### 3- الكتيبات:

والكتيبات من الوسائل الهامة التي يمكن استخدامها في الداخل والخارج أيضا ولا تختلف عن الكتب كثيرا إلا في صغر الحجم، وتعتمد على وجود مادة دعائية وترويجية مناسبة ويمكن استخدامها داخل المنشأة وتقديمها للزوّار والمتريدين من خارج المنشأة والبلاد لتوزّع على الجمهور بكافة مستوياته على أن يراعي فيها الكتابة بلغة سهلة سليمة تتفق ولغة البلاد أو لغة البلد الذي توزع فيه وعاداته وتقاليده وثقافته السائدة، وأن تتمتع بالمستوى المنافس في حالة توزيعها في الخارج بحيث لا تقل عن المستوى المنشور في البلد الذي ستوزّع فيه لا من حيث الجودة والطباعة ولا العرض أو الإخراج<sup>2</sup>.

### 4- الملصقات:

ما زالت الملصقات من الوسائل الترويجية الهامة للمنشآت المختلفة رغم تعدّد وتنوع الوسائل ورغم اختراع الكثير من الوسائل الحديثة والملصقات وسيلة ترويجية مقروءة قد تأخذ شكل لافتة كبيرة من القماش أو الورق أو المعدن تعلّق في أماكن عامة كالميادين والشوارع الرئيسية التي يتردد عليها الجمهور أو تعلّق على مركبات النّقل العام، ومحطات السكك الحديدية، والملصقات التي تستخدمها الجهات المختلفة عديدة ومن المهم لخبير الترويج السياحي أن يعرف أنواعها المختلفة ومزايا كل نوع وخصائصها من حيث التحرير والإخراج والأهداف التي يمكن أن تتحقق والتي يفيد كل نوع في تحقيقها والطريقة التي يفضل

1- زكي محمود هاشم: العلاقات العامة المفاهيم والأسس العلمية، مطبعة ذات السلاسل الكويت 1996 ص47.

2- منير حجاب: المداخل الأساسية للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر 1995 ص185.  
دراسات 121 مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

استخدامها سواء كانت كتابة فقط أو صور فوتوغرافية أو رسوم طبيعية أو تجمع بين هذه الأشكال وبعضها وتنقسم الملصقات إلى<sup>1</sup>:

- الملصقات الورقية: وهي كبيرة الحجم وتلصق بعد طبعها أو رسمها على لوحات خشبية معدة لذلك وتتميز بسهولة تغييرها كل فترة زمنية.

- لوحات مصنوعة من المعادن والخشب والزجاج وتوضع داخلها الرسالة الترويجية وهي طويلة العمر وتفيد أكثر باعتبارها وسيلة تذكير تحمل رسالة مستمرة طويلة الأجل.

والملصقات من الوسائل الهامة التي تساعد على خلق الاتصال المستمر مع السائح وإمكان تكرارها، وإمكان تعليقها بأحجام مختلفة، ويجب أن تمتاز بطابع الجهة المراد الترويج لها وأن تكون معبرة عنها وعن الهدف الذي ترمي إليه مع مراعاة تناسب الأحجام مع الاستعمالات المختلفة في الدول المروج فيها، ومراعاة ارتفاع مستوى التصميم والإخراج والموضوعات وتوافر الكميات لتناسب فرص العرض، وتمتاز الملصقات بسهولة وضعها في السفارات، وفي المكاتب السياحية وشركات الطيران وشركات السياحة والمعارض وأماكن الاحتفالات ومكاتب السفر، واختيار موقع الملصق هام لذا يجب وضعه في موقع يجذب الانتباه ويكون واضحا للجمهور.

##### 5- ورق الخطابات والظرفة<sup>2</sup>:

وتحمل أوراق الخطابات والأظرف العلامة الترويجية للجهة السياحية المعلن عنها والمروج لها سواء كانت شركة أو فندق أو بلد وهي وسيلة غير مكلفة حيث يمكن أن يقوم السائح أو الفندق بإرسال خطاب إلى قريب أو صديق أو أي جهة، فيصبح بذلك وسيلة لتعرف الآخرين على المكان وما يتمتع به من جمال وإمكانيات ومزايا.

ويعدّ ورق الخطابات والأظرف والمراسلات بوجه عام من الوسائل رخيصة الثمن والتي تتميز بإمكان إرسالها لعدد كبير من الزبائن المختارين، وأهم مميّزاتها أنّها تخلق شعورا بالاهتمام والتقدير لدى المرسل إليه وهي وسيلة فاعلة للوصول إلى أكبر عدد من الأفراد بتكلفة قليلة وفي وقت قياسي بالنسبة لوسائل الاتصال الأخرى وتستخدمها كثير من شركات الطيران والفنادق

1- حسن توفيق: العلاقات العامة، مطبعة المعرفة مصر 1982 ص 80.

2- حسن توفيق: العلاقات العامة، مطبعة دار المعرفة، مرجع سابق مصر 1982 ص 81.

دينور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

وبعض الشركات السياحية، وقد تنجح هذه الشركات في جذب السائح أو المتعامل في التعامل مرة أخرى، خاصة وأن الخطابات تحمل المشاعر الطيبة والودّ وتكون أقدر على خلق الاستجابة الحسنة لدى بعض الفئات.

#### 6- بطاقات البريد:

وإذا كانت المطبوعات هي العمود الفقري بالنسبة للتنشيط السياحي فإنّ بطاقات البريد تمثل أهمية خاصة في مجال السياحة، وذلك لأنّ بطاقات البريد تحمل المعنى والتعبير فمن المعروف أنّ بطاقات البريد تحول الحلم إلى حقيقة عن طريق الصور والحقائق المصورة والبيانات والمعلومات التي تتضمنها وتعرضها، وتوجد مبادئ متفق عليها تراعى عند إصدار هذه البطاقات هي:

- الالتزام بالأحجام المحددة والمقبولة لدى شركات السياحة بحيث تعرض بعضها الأفق أو يمكن إرسالها بالبريد أو حملها.
- الصور جيّدة وملوّنة ويفضل البعض استعمال الصّور بدلا من التّصميمات الفنية art work لأنّها متضمنة ومؤثرة أكثر.
- المتن "text" مختصر جدّا والعبارات قصيرة.

وتتميز المطبوعات بوجه عام بأنّها تستثير اهتمام القارئ خاصة عند وضع الصور الجذابة والمعبرة عن إمكانات المكان وتميزه عند استعمال التّصميمات الفنية، ولكن استعمال وسيلة مطبوعة خصائصها التي يمكن الاستفادة منها وفي مجال السياحة يذكر البعض أنّ البطاقات البريدية لها دورها الهام في الترويج عن الجهة المروج لها لنقلها الصورة دون تكلفة تذكر وتكرار عملية الترويج.

#### 7- النشرات المطبوعة:

تتسابق الدول لإصدار هذه النشرات تحتوي على صور ومعلومات تهتم السائحين ويشير برينيكير خبير السياحة النمساوية إلى أن من الضروري مراعاة عامل التوقيت عند إعداد النشرة لأنّ الأوقات قد ترتبط بعادات الشعوب فالبعض يستعدّ لرحلته مبكرا مثل الإنجليز والألمان

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

والبعض يستعدّ لها متأخراً مثل الفرنسيين، وبالنسبة لوكالة السفر فهي تعلن عن برامجها في وقت مبكّر جداً حيث تحتاج لإعدادها مبكّراً وإرسالها للدول المختلفة.

وعادة تقوم المنشآت والشركات المختلفة بعمل نشرة دورية لها كل شهر أو ثلاثة أشهر، وتقوم بإرسالها إلى عملائها أو إلى جماهيرها بصفة دائمة، والنشرة أداة طيّبة لاكتساب ثقة العملاء لما تتضمنه من معلومات مفيدة وأخبار هامة فهي تهيئ الفرص للسؤال والاستفسار عما يدور في أذهان المتعامل من أسئلة وفي مجال السياحة تجيب النشرة عن برامج الزيارات والأسعار كما أنّها وسيلة جيّدة لتلقّي الاقتراحات أو الرغبات<sup>1</sup>.

وتقوم المنشأة السياحية بإصدار مطبوعات داخلية توزّعها داخل البلاد لجذب السياحة الداخلية "للجمهور الداخلي" ومطبوعات خارجية للجمهور العام من السياح أو العملاء المرتقبين وذلك لإعطائهم الفكرة والانطباع الجيّد عن المنتج السياحي المتنوع وقد تكتفي بعض المنشآت السياحية بإصدار نشرة داخلية توزّع في الدّاخل لشرح ما يهم العملاء معرفته من معلومات وخطط وأسعار، كما يمكن توزيعها في الخارج وإرسالها إلى من تربطهم بالمنشأة السياحية صلة من حيث الأهداف، ويفضل بعض المنظّمات إرسال النّشرات إلى العملاء على منازلهم عن طريق البريد<sup>2</sup>.

ويعتبر المضمون الجيّد والمفيد الذي يقدم في النّشرة هو الذي يحدد قيمتها وأهميتها سواء للجهة التي تتوجّه إليها أو للجهة التي أصدرتها، ولا ينطبق هذا على النّشرات فقط وإنّما ينطبق على كافة المطبوعات والوسائل التي تتطلب سلامة المضمون والرسالة الواضحة السليمة والمفهومة.

## 8- المعارض:

وتعدّ المعارض من الوسائل الهامة التي تهيئ الفرص وتسمح بلقاء المهتمين بالعمل السياحي والعاملين به، خاصة المعارض والأسواق الدولية التي تتيح المجال والفرص للقاء كافة المعنيين والمهتمين بالسياحة والتي أصبح لها وقت محدّد يحرص أصحاب الاهتمام على المشاركة

1- منير حجاب، مرجع سابق، ص 190.

2- نفس المرجع، ص 194.

د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

فيه، فالمعارض وسيلة لعرض آخر المنتجات السياحية، والبرامج السياحية، وعقد الاتفاقات والتبادلات بين الشركات السياحية وبعضها والفنادق وبعضها، وفرص للبيع والتسويق وتقوية الصلات وتأكيد الترابطات وتبادل وجهات النظر والعناوين وأخر الاتجاهات والأخبار السياحية. وتمثل المعارض أهمية خاصة لعرضها المنتجات المحلية التي يقبل عليها الزوار وتزيد من القيمة المضافة لإنفاق السائحين وتعدّ المعارض والأسواق من أهم المنافذ والنوافذ الخاصة بالعرض الخارجي وترجع أهميتها إلى تمييزها ببعض الخصائص المحلية المميزة التي تساعد على تشويق وإثارة رغبة الجمهور في الشراء وتتمثل الخصائص التي تميّز المعارض والأسواق في:

- أنّها تعكس جو الدولة وتوفر صورة حية لما ينتظره السائح من مغريات ووسائل تشويق وراحة ومنتعة

- عرضها شرائح وأفلام تبرز المزايا السياحية المتوفرة وجمال المنتج السياحي وتنوّعه وتحقق للسائح ما يحلم به من متعة الشراء ومنتعة التواجد في بيئة وطنية خاصة ممّا يحقق له الجو الاستمتاعى النفسى الذى ينتظره فى البلد المعلن عنه.

- إمكانية تنظيم عرض أزياء ورقصات وطنية ووجبات شعبية تشتهر بها الدولة يثير خيال السائح ويدفعه إلى اتخاذ القرار بالسفر إلى ذلك البلد ممّا يعمل على تطوير المنتجات السياحية والمنتجات الشعبية وتطوير المهارات الفنية الخاصة بالدولة لعرضها في الخارج.

- تساعد المعارض على تحسين مستوى الخدمات والمنتجات المحلية وزيادة جودتها خاصة السلع التذكارية التي يقبل عليها السياح بوجه عام.

9- مجلة المؤسسة:

وتعدّ مجلة المؤسسة وسيلة من أهم الوسائل للتعامل مع جمهورها الداخلي والخارجي وتصدرها شهريًا أو دوريًا أو كل ثلاثة أشهر وأهم أهدافها بناء سمعة المنشأة وشهرتها وتدعيمها بين الجمهور وقد تصدرها إدارة العلاقات العامة أو قسم يتبعها، وتتضمن أهم الأخبار والأحداث الجارية وأهم الخطط المستقبلية التي سيتم تنفيذها، وهي وسيلة الاتصال بين العاملين في المنشآت والإدارة العليا وبينهم وبين المجتمع الخارجي حيث تهتم المنشآت الكبيرة

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

بخلق روح الزمالة وخلق جوّ من التفاهم بينها وبين الجمهور والتحفيز على العمل، وتساعد مجلة المنشأة على تحقيق تلك الأهداف.

وعلى مستوى المنشآت السياحية تستطيع كافة المنشآت السياحية أن تقدّم إلى جمهورها مجلة تحقق هذه الأهداف وتدعم الصورة الحسنة الخاصة بها على أن يراعي في تحريرها المقالات المشوّقة والموضوعات الحيوية، والأنباء السياحية الحديثة والهامة إلى جانب دقة التصميم والإخراج، وأن يكون التوزيع حسب الأهمية بدءاً من مسؤولي السياحة وشركات السياحة، شركات النقل، الكتاب والمحزّرون السياحيون والمهتمون بالسياحة في المجالات السياحية المختلفة على أن يراعي انتظام صدورها وسرعة توزيعها وصدورها في الوقت المناسب.<sup>1</sup>

#### 10- المؤتمرات:

ويرى بعض الباحثين أنّ المؤتمر عبارة عن مناقشة وتبادل الأفكار بين الأعضاء وبعضهم البعض حول قضية أو موضوع أو مشكلة أو مشروع أو ظاهرة ترتبط بظرف معيّن، وذلك بقصد التوصل إلى آراء أو توصيات أو قرارات مناسبة مع العمل على الالتزام بها. وفي مجال السياحة قام المسؤولون بعقد الكثير من المؤتمرات لمناقشة القضايا السياحية المختلفة لبحث الموضوعات الخاصة بالمجال وكان من أهمّها سبل تنشيط السياحة والتنمية السياحية، والاستثمارات في مجال السياحة وغيرها من الموضوعات التي فرضتها ظروف البلاد في وقت من الأوقات مثل المؤتمر الذي عقد عن الإرهاب وتأثيره على السياحة وعوامل مكافحته وشارك فيه العديد من ممثلي الدول.

والمؤتمرات من أهم الأنشطة التي تقوم بها الجهات المختلفة لتحقيق رسالتها الاجتماعية والفكرية والإعلامية حيث يتم في تلك المؤتمرات مناقشة وبحث السياسات والسبل لكثير من الموضوعات ووضع وتحديد الاستراتيجيات ومناقشة الكثير من الموضوعات المتعلقة بموضوع المؤتمر ثم عرض النتائج التي يتوصل إليها المشتركون في المؤتمر واتخاذ التوصيات.

1- إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير. مكتبة الأنجلو، مصر 1985 ص 204.

د.نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

وتعود أهمية المؤتمر إلى تسليط الأضواء عليه وعلى ما يدور به وعلى البلد الذي يحتضن ذلك المؤتمر مما تعني أهمية إعلامية كبيرة لتزايد مساحة التغطية الإعلامية لأحداث المؤتمر خاصة إذا كان موضوع الانعقاد من المؤتمرات الهامة التي تشغل بال الرأي العام العالمي أو الإقليمي أو المحلي.

كما يعدّ عقد المؤتمر من أكبر الفرص المواتية للترويج السياحي أثناء وبعد انعقاد المؤتمر إما بدعوة ضيوف المؤتمر لمشاهدة مواطن الجذب السياحي أو دعوة رجال الإعلام للزيارة ونقلهم أخبار ما رأوه في بلد عقد المؤتمر ممّا يمكن الترويج السياحي الرّسّي من القيام بدور مناسب للترويج عن البلاد في أثناء انعقاد تلك المؤتمرات، وتكثيف الترويج عن الخصائص السياحية المتوقّرة ونقل ذلك إلى وكالات الأنباء والمراسلين الأجانب وغير الأجانب لذلك أضحت تلك المؤتمرات تمثل أهم وسائل الاتصال الشخصي على المستويين المحلي والعالمي.

وتختار المنشآت السياحية المختلفة من بين هذه الأدوات ما تستطيع به تحقيق أهدافها الترويجية التي تتناسب مع أهدافها وظروفها الخاصة "المالية والبشرية" بحيث تصل إلى جمهورها المستهدف، وأن تختار الوسيلة المناسبة التي تحقق رسالتها<sup>1</sup>.

سادسا- القيمة التواصلية بين الثقافة ووسائل الإعلام:

إن أهم السمات البارزة والمهمة علاقة الثقافة بوسائل الإعلام هو تحول هذه الأخيرة إلى أدوات ثقافية، بحيث أصبحت وسائل الإعلام الوسيلة الجماهيرية الأولى للحصول على جميع أشكال الإبداع، وبالنسبة للقطاعات الواسعة من الجماهير الشعبية. الأمر الذي أتاح إمكانية القول أن وسائل الإعلام والاتصال توفر في العصر الراهن الزاد الثقافي وتشكل الخبرة الثقافية للملايين من البشر. وتزداد أهمية الدور الذي تلعبه وسائل الإعلام لتتعدى عملية توصيل ونشر الثقافة بل أصبحت تؤثر بشكل أساسي في عملية انتقاء محتوى الثقافة، وحتى في

1- اتجاهات استراتيجية التسويق والترويج السياحي، منشورات وزارة السياحة اليمنية، ص 08.



د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

إبداع هذا المضمون. ومرة أخرى نجد وسائل الإعلام الجماهيرية في ملتقى طرق مشكلات الثقافة الحديثة، لأنها أتت لترفض طرق التحصيل الثقافي التقليدية<sup>1</sup>.  
إن علاقة الإعلام بالثقافة علاقة وثيقة، فالثقافة بحاجة إلى إعلام يتبناها وينشرها في أوساط المجتمع عن طريق توظيف وسائل واستراتيجيات جديدة تتماشى وخصائص العصر الذي نعيشه، فمن بين التحديات التي تواجه وسائل الإعلام الحديثة هي كيف تساهم في نشر الثقافة المحلية دون المساس بالخصوصية الثقافية للأفراد، هذه الأخيرة لم تعد بمنأى عن الاختراق الرهيب الذي تفرضه ظاهرة العولمة ومن وراءها المؤسسات الإعلامية الكبرى التي عملت لسنوات طويلة على قبولية وتنميط ثقافة الأفراد وسلوكياتهم وفق النموذج الأمريكي تحديداً.

بهذا الخصوص أصبحت وسائل الإعلام المحلية معنية أكثر من أي وقت مضى على تحقيق الأهداف الحقيقية على أرض الواقع الثقافي والإعلامي في الجزائر، وحتى تصل إلى مرحلة المساهمة الفعلية في خلق الإبداع والابتكار الثقافي لا ينبغي لها أن تتوقف عند حدود الوظائف التقليدية التي تقوم بها مثل التثقيف والتربية وتهذيب الذوق العام وكذلك المساهمة في ضمان الأمن الثقافي للمجتمع والمرور إلى مرحلة الاهتمام بالإنتاج الفكري والنهوض به، من خلال إعطاء الفرصة للطاقات الموجودة خاصة غير المعروفة لتفجير إمكاناتها وإبراز إنتاجها الفكري والفني والمادي، والعمل أيضا على نشره وتوزيعه على أوسع نطاق ممكن بين الجمهور.

سابعاً- الشروط الموضوعية لتأسيس صناعة ثقافية جزائرية:

من الظواهر التي أفرزتها العلاقة بين وسائل الإعلام والثقافة إلى جانب الثقافة الجماهيرية نجد الصناعات الثقافية، والتي تتباين حولها التعريفات بتعدد الإشكاليات المطروحة والمدارس الإعلامية والأنثروبولوجية، فالبعض منها يجعلها مقتصرة على الرسالة الثقافية أي النظر إلى مضمونها وما تنقله عنه وسائل الإعلام المسموعة والمكتوبة كالكتب والأشرطة والأسطوانات والأفلام والجرائد، بينما يرى البعض شموليتها للأجهزة المستعملة

1- فاروق أبوزيد: الصحافة المتخصصة، مركز القاهرة للتعليم المفتوح، 2002، ص16.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

أيضا، إضافة إلى رسالتها ومضمونها المستخدمة في الإنتاج ونشر الرسالة الثقافية كالسينما والتلفزيون والفيديو والمسجلات الصوتية، بينما يرى البعض الآخر أنها تهضم فقط الأعمال الإبداعية الفنية المعتمدة على العمل الفردي أو الجماعي والمتمثلة في المسرحيات، البالي، الأوبرا، ورسومات مشاهير الفنانين.

أما البعض الآخر فيرى أن دورها لا ينطبق فقط على الجانب الثقافي بل شمل جوانب المعرفة كلها والتي تنمو بمعدلات متزايدة، والتي تطلق عليها الصناعات المعرفية وبالتالي تشمل حسب هذا الرأي جميع أنواع المعرفة الواسعة والمتقدمة والتي لا يمكن حصرها لتطورها السريع والمتزايد<sup>1</sup>.

كما يطلق عليها الصناعات الإعلامية لأن هذا التعبير أشمل وأقدر على استيعاب مجال الصناعات الواسع، لما لها من أهمية وقدرة في حفظ واسترجاع وإرسال المعلومات وذلك بالارتكاز على هذه الوسائل التي هي الصناعات الإعلامية في إيصال الرسالة الثقافية.

وفرضت الصناعات الثقافية نفسها في نهاية السبعينات ليطم التساؤل حولها ويوضع لها جرد قبل ذلك، وقد اتفق المحللون بكيفية سهلة على أن يدمجوا فيها الثروات التي تشكل جزءا مما ندعوه الثقافة والتي تسمح التكنولوجيا بإعادة إنتاجها متسلسلة ومتماثلة فالصور والموسيقى المسجلة، ونشر الكتب وكذلك المجلات تم اعتبارها بسرعة ومن قبل الجميع صناعات ثقافية<sup>2</sup>.

فالصناعات الثقافية هي عملية إنتاج الثقافة باستخدام التكنولوجيا الحديثة، وإلى جانب هذا المصطلح (الصناعات الثقافية) فإن الأمريكيين فضلوا منذ عام 1966 استخدام مفهوم آخر أكثر برغماتية وشمولية وهو مفهوم صناعة المعرفة الذي صقله العالم الاقتصادي ف.ماكلوب. وينطوي تحت مظلة مفهوم صناعة المعرفة العديد من وسائل إنتاج المعرفة منها

1- أهم المعارض والبورصات العالمية للترويج السياحي نذكر: معرض FITUR مدريد - معرض EMITT اسطنبول - معرض TOP RESA باريس - معرض WTM لندن - معرض ITB برلين - معرض BIT ميلانو - معرض ATM دبي - معرض MIT تونس - معرض ITE هونغ كونغ - معرض JATA طوكيو - معرض GIF بكين - معرض الجزائر الدولي.

2- فاروق أبو زيد، مرجع سابق، ص 16.

دينور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

وسائل الاتصال. وبعد ثلاث سنوات استكمل الفيلسوف الألماني أنزبرغ المفهوم الثالث ففضل صناعة الوعي<sup>1</sup>، ولم تسلم الصناعات الثقافية هي الأخرى من الانتقادات، فالباحثان (هوركهمير وأدورنو) يعتبران الصناعة الثقافية نموذج رائع للتسليح أي تحولها إلى سلعة. إن تحول الفعل الثقافي إلى قيمة تجارية يقضي على قدراته النقدية ويمحي بصمات التجربة الأصلية الكامنة فيه<sup>2</sup>.

كما أن عملية تصنيع الثقافة التي ساهمت فيها وسائل الإعلام بشكل فعال أبعد الثقافة عن مبدعها الأصلي وعن الفاعلية الإنسانية، وأصبح المبدع بذلك هو الحلقة الأضعف في عملية الإنتاج الثقافي الضخمة والمعقدة<sup>3</sup> وهكذا فإن وسائل الإعلام حولت الثقافة إلى صناعة ضخمة وأصبحت المادة الثقافية سلعة تباع وتشتري، وهذا الوضع انعكس تبعاً لذلك على جمهور وسائل الإعلام، حيث أصبح هذا الأخير سوق واسعة يجب استثمارها وظهرت أسواق تجارية لمحاويل ثقافية وفيرة وجاهرة<sup>4</sup>.

لقد أصبح إنتاج السلعة الثقافية يتوقف على قيمتها التداولية في السوق وليس قيمتها في الاستخدام، وقد تم فرضها بواسطة نظام صناعي تحكمه الأخلاقيات الرأسمالية وسيطرة منطق الربح<sup>5</sup>، وبات الرهان في الهيمنة الثقافية والتملك الخاص للصناعات الثقافية يقوم على قدرة المجتمعات على إنتاج ثقافتها الخاصة، ومنها القدرة على الصمود في مواجهة مظاهر الاختراق والاعتراب الثقافي وتنميط السلوك الثقافي على مستوى كوني، ويتربط على ذلك أن أي كيان سياسي أو منظمة اجتماعية أو ثقافية لا يمكنها غض الطرف عن تصنيع الثقافة<sup>6</sup>.

1- ماجي حلواني: البرامج الثقافية والتعليمية، مرجع سبق ذكره، ص155.

2- العلال الصادق: العلاقات الثقافية الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006، ص155.

3- العلال الصادق، المرجع نفسه، ص156.

4- جون يسير فارنبي: عولمة الاتصال، ترجمة: عبد الجليل أزدى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003، ص65.

5- نصر الدين لعباضي: وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع، ص105.

6- نفس المرجع.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

### ثامنا- دور وسائل الإعلام في الحفاظ على الموروث الثقافي الجزائري والتسويق له:

إن الحديث عن الموروث الثقافي هو حديث عن فسيفساء متمازجة زمانيا بين الماضي والحاضر وحتى المستقبل، ومتمازجة تكوينيا بين عدة متغيرات لها ثقلها، فحديثنا عن الموروث الثقافي هو حديث عن الثقافة ومقوماتها، عن التراث الأثري منه والمعنوي، حديث عن بناء الحضارة، وعن العادات والتقاليد، عن أخلاق المعاملات وعن الأسس الدينية التي ترافقت كلها لتكوين كل موروث ثقافي.

والتراث هوما ينتقل من عادات وتقاليد وعلوم وآداب وفنون ونحوها من جيل إلى جيل، وهو يشمل كل الفنون، والمآثورات الشعبية من شعر، وغناء وموسيقى، ومعتقدات شعبية، وقصص وحكايات، وأمثال تجري على ألسنة العامة من الناس، وعادات الزواج، والمناسبات المختلفة، وما تتضمنه من طرق موروثية في الأداء، والأشكال من ألوان الرقص، والألعاب، والمهارات<sup>1</sup>.

ويشتمل التراث الثقافي أمورا معنوية وأخرى مادية، والتراث اللامادي الذي يعتبر مجموعة المعارف والتعابير والعادات والتقاليد ومنها أيضا "ما يتعلق بالطبوع الموسيقية والفنون التقليدية وحرف الزخرفة"<sup>2</sup>.

ولأن العادات والتقاليد وغيرها من العرف الأخلاق والعقائد وغير ذلك تعد من مكونات الثقافة أيضا لذا كان لكل مجتمع من المجتمعات الإنسانية خصائص ومميزات تدل على اختلاف بعضها عن البعض الآخر، وتعتبر العادات والتقاليد الميزة الأساسية الثابتة والمتغيرة نسبيا التي لا تخلو منها هذه المجتمعات والعادات تعتبر سلوكيات معتادة ومألوفة موروثية يقوم بها الأفراد في ظروف ومناسبات معينة، فهي تنتقل من جيل إلى جيل كما تعتبر التقاليد تقليد الناس لمن سبقهم في بعض السلوكيات على اعتقادهم بضرورة العمل بها، وللعادات والتقاليد تأثير نفسي على الأفراد أكثر منه اجتماعي لأنها تتعلق بالحياة اليومية للفرد كونها سلوكيات يتبادلها الأفراد فيما بينهم بطريقة طبيعية تستلزمها الحياة العادية للأفراد كان ولا بد أن تشمل

1- أديب خضور: دراسات تلفزيونية، المكتبة الإعلامية، ط1، دمشق، 1999، ص14.

2- بشير خلف: الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مقال منشور بموقع ديوان العرب بتاريخ 15 مارس 2013.

د.نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

جميع الجوانب الحياتية<sup>1</sup>، وتكمن أهمية الحفاظ على التراث الثقافي في الأهداف التي يمثلها هذا التراث وهي:

- الحفاظ على التراث الثقافي وبعده الحضاري، وحفظه لذاكرة وهوية الإنسان والمجتمع؛ ذلك أن الإنسان مكوّن من مادة وروح، وبما أن التراث الثقافي يحتوي على جانبين: الملموس ممّا أنتجه السابقون من مباني، وأدوات ومدن وملابس، وغيرها ممّا هو مادي، وغير الملموس من معتقدات، وعادات، ولغات، وتقاليد وغيرها؛ فإن هذين العنصرين يكوّنان عصب الحضارة، فالحفاظ عليهما يعني الحفاظ على ما أنتجه الإنسان في مجتمع ما ككينونة وكهوية فردية ومجتمعية، فالتراث يمثل الذاكرة الحية للفرد وللمجتمع، ويمثل بالتالي هوية يتعرف بها الناس على شعب من الشعوب، فحضيرة الطاسيلي و الهقار تمثل هوية الإنسان الجزائري في أقصى الجنوب الجزائري.

- الحفاظ على التراث الثقافي هو إغناءً للثقافة الإنسانية بالحفاظ على التنوع الثقافي لدى شعوب المعمورة.

- إن التراث ب قيمه الثقافية والاجتماعية يكون مصدرا تريبا، وعلميا، وفنيا، وثقافيا، واجتماعيا.

- إن فقدان التراث الثقافي يعني فقدان الذاكرة، ويعني افتقارا اقتصاديا مهما في التنمية المحلية لمناطق هذا التراث، وخلق ديناميكية تنموية شاملة يستفيد منها السكان المحليون، وخزينة الدولة من موارد مالية هامة بالعملة الصعبة، والعملة المحلية<sup>2</sup>.

وحدثنا عن الموروث الثقافي في الجزائر، هو حديث عن التقاء وخصوصية في نفس الوقت، فإثنية الأمازيغ والعرب من جهة، والدين الإسلامي منذ فتح عقبة بن نافع من جهة ثانية، مرورا بكل ما تعرضت له الجزائر من استعمار مختلف وكذا قيام حضارات تداولت

1- بخوش أحمد، بويعل وسيلة: التراث الثقافي الشاوي بين الثابت والمتغير، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيو ثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، ص 269.

2- بشير خلف: التراث والهوية، التماهي والتكامل، مقال منشور بموقع ديوان العرب، 29 ماي 2010. مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية دراسات 132

د.نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

وجودها بالجزائر، ترامت على مر الزمان وعلى مر 48 ولاية، ما زاد من خصوصية كل جهة وكل ولاية.

فالمجتمع الجزائري يعيش داخل فسيفساء من التعدد الثقافي فهو مجتمع عربي إسلامي أمازيغي متوسطي إفريقي عالي يجمع بين المعربين والمفرنسين، يجمع بين الشاوية والقبائلية والمزابية والتارقية، غير أنه رغم هذا التعدد الثقافي فإنه يحيى داخل مجتمع واحد وموحد متضامن ومتماسك تحت لواء العروبة والإسلام والأصل الأمازيغي<sup>1</sup>.

#### خلاصة:

من أجل بناء استراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية لا بد من تكاتف جهود الجميع من أجل:

- 1- تسخير الإمكانيات وتوفير الوسائل التي يمتلكها القطاع العام والخاص في مستوى واحد بهدف تطوير الصناعة الثقافية والوجهة السياحية والترويج لها.
- 2- تشجيع الإنتاج الثقافي العام والنخبوي والتركيز على الجانب الإبداعي وكذلك تشجيع الصناعة السياحية المحلية والعمل على تطوير مقوماتها من خلال الاستثمار الحقيقي المربح.
- 3- تعظيم الاستثمارات وتكثيفها في المجال الثقافي والسياحي وذلك لخلق التنافسية داخليا وخارجيا.
- 4- دعم التراث المحلي الشعبي الأصيل ومحاولة التعريف به أكثر على المستوى العالمي، ودعم المناطق والمواقع التاريخية الأثرية والحفاظ عليها من خلال الحملات التوعوية المختلفة والمستمرة.
- 5- تحسين المؤهلات و القدرات على تحديد وتوجيه السلع والمنتجات والخدمات التي تدعم استراتيجيات التسويق بالطرق المناسبة من خلال التركيز على المجموعات المستهدفة وتحسين أداء وسطاء التوزيع.

1- بخوش أحمد، بويعلوي وسيلة، مرجع سابق، ص 270.

د. نور الدين مبني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

6- الدراسة العلمية للجدوى الاقتصادية من المشاركة المستمرة في الفعاليات والمهرجانات والتجمعات العالمية التي تعرف بطريقة مباشرة وغير مباشرة بالموروث السياحي والثقافي الجزائري.

7- تحديد أولويات التسويق للثقافة والسياحة الجزائرية في الأسواق الدولية والإقليمية والمحلية والتركيز على مكامن القوة والجذب في الجزائر.

8- البحث عن الطرق والأساليب الناجعة التي تجذب اهتمام الخواص بالمنتج الثقافي والسياحي ومحاولة إقحامهم في العملية الاستثمارية والتسويقية من خلال العمل على تحرير النشاط الثقافي والسياحي من بيروقراطية الإدارة والمسير العمومي.

9- توفير الهياكل التنظيمية وتحسينها التي تحتضن العمل الثقافي المبدع من مؤسسات الإنتاج السينمائي والمسرحي والوثائقي والإعلامي ومن مؤسسات النشر والطباعة، إضافة إلى توفير وسائل الاستقبال والتوجيه والرعاية في الخدمة السياحية.

10- تطوير المهارات التسويقية لكل المؤسسات العاملة في القطاعية والفاعلة في الميدان (وزارات - وكالات معتمدة - جمعيات - مؤسسات النشر - شركات السياحة - مؤسسات إعلامية) إلى مستويات عليا من الداء تتجاوب بشكل سريع من تنامي حاجات السوق والزبون.

\* قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

1. إبراهيم إمام: الإعلام والاتصال بالجماهير. مكتبة الأنجلو، مصر 1985 .
2. اتجاهات استراتيجية التسويق والترويج السياحي، منشورات وزارة السياحة اليمينية.
3. أديب خضور: دراسات تلفزيونية، المكتبة الإعلامية، ط1، دمشق، 1999.
4. بخوش أحمد، بويعلی وسيلة: التراث الثقافي الشاوي بين الثابت والمتغير، عدد خاص بالملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية.
5. بشير خلف: التراث والهوية، التماهي والتكامل، مقال منشور بموقع ديوان العرب، 29 ماي 2010.

د. نور الدين ميني/أ. أحمد بوعون ..... إستراتيجيات التسويق الثقافي والسياحي للمدينة الجزائرية

6. بشير خلف: الموروث الشعبي وقضايا الوطن، مقال منشور بموقع ديوان العرب بتاريخ 15 مارس 2013.
  7. جون يسير فارنيبي: عولمة الاتصال، ترجمة: عبد الجليل أزدى، دار القصة للنشر، الجزائر، 2003.
  8. حسن توفيق: العلاقات العامة، (مطبعة دار المعرفة، مرجع سابق مصر 1982).
  9. زكي محمود هاشم: العلاقات العامة المفاهيم والأسس العلمية، مطبعة ذات السلاسل الكويت 1996 .
  10. العلامي الصادق: العلاقات الثقافية الدولية، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2006.
  11. فاروق أبوزيد: الصحافة المتخصصة، مركز القاهرة للتعليم المفتوح، 2002.
  12. فاطمة حسين عواد: الاتصال والإعلام التسويقي، دار أسامة للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، د.ت.
  13. محمد منير حجاب: المعجم الإعلامي، القاهرة، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط1، 2004.
  14. محمد حسين بازرعة: العلاقات العامة والسياحة، دار المعارف القاهرة 1998.
  15. منير حجاب: المداخل الأساسية للعلاقات العامة، دار الفجر للنشر والتوزيع، مصر 1995 .
  16. المؤسسة العامة للتعليم الفني والتدريب المهني، تسويق سياحي، تخصص سفروسياحة، المملكة العربية السعودية.
  17. نصر الدين لعياضي: وسائل الاتصال الجماهيري والمجتمع.
- ب- باللغة الأجنبية:

18. Isabel frochot et Patrick legoérel, Le marketing du tourisme, Dunot, 2007.



## صياغة آلية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة بقلم: د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة جامعة محمد لمين دباغين-سطيف2

ملخص:

طفل اليوم ليس بصفحة بيضاء، كما ندعي أو نتوهم أو على الأقل صفحة سرعان ما يُخط عليها بشكل أسرع مما كان في السابق، فطفل التلفزيون والانترنت والتكنولوجية الحديثة، والأساليب الحديثة في التربية والأم المتعلمة والعاملة، وابن الحضنة المبكرة والتعليم التحضيري وغيرها من التغيرات الاجتماعية المصاحبة للمجتمع المعرفة وتداعيات العولمة، بالطبع لن يكون مثل سلفه.

وللأطفال في كل مجتمع عادات وقيم ومعايير، ومفردات لغوية مميزة وأساليب خاصة في التعبير عن أنفسهم، أي لهم خصائص ثقافية ينفردون بها، وأسلوب حياة خاص بهم، وثقافة الأطفال هي إحدى الثقافات الفرعية في المجتمع، وتنفرد بمجموعة من الخصائص والسمات العامة وتشارك في مجموعة أخرى منها - إلى حد ما - وما دام الأطفال ليسوا "مجرد راشدين صغار" فإن لهم قدرات عقلية وجسمية ونفسية واجتماعية ولغوية خاصة بهم، ومادامت لهم أنماط سلوك مميزة وأنهم يتخيلون ويتفكرون في دائرة ليست مجرد دائرة مصغرة من تلك التي يحس ويدرك ويتخيل ويفكر فيها الراشدون، فثقافة الأطفال ليست مجرد تبسيط أو تصغير للثقافة العامة في المجتمع بل هي ذات خصوصية، ومن هنا ندرك أن طفل اليوم يحتاج إلى بيئة اجتماعية ملائمة لحمايته من أخطار مجتمع المعرفة والعولمة.

ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الإجابة عن الإشكال الأتي: كيف يمكن أن نوفر لطفل اليوم بيئة اجتماعية ملائمة لحمايته من أخطار مجتمع المعرفة والعولمة؟

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

#### تمهيد:

في الألفية القادمة نواجه تحديات عالم جديد يطرح علينا بثقله كل مؤشرات الحضارة المادية الزائفة، والتي تمثل فيها القوة والعلم والحضارة ثلاثية التحدي الجديد، وللبعد الإيديولوجي والثقافي دور فاعل في بناء مصوغات فاعلة لبناء المستقل، ومن الضروري أن نضع أملنا في الجيل الجديد أي أطفال اليوم لأنهم رجال الغد.

فنحن نحتاج لكي نواجه تحديات العولمة والدخول في مجتمع المعرفة بكل قوة إلى عملية تغييرية تنطلق من الفرد وفي هذا الصدد لا بد من تحويل الفرد إلى شخص إذ يقول المفكر العالمي مالك بن نبي: " إن العمل الأول في طريق التغيير الاجتماعي هو العمل الذي يغير الفرد من كونه فردا إلى أن يصبح شخصا، وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع"<sup>1</sup>.

وبذلك فإن عملية تحويل الفرد من كائن بيولوجي إلى كائن اجتماعي تتم عبر عملية التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة أولا، فالفرد في بداية مراحل حياته يتعلم اللغة والعادات والتقاليد والسلوكيات المختلفة، ومعاني العلاقات الاجتماعية من خلال المراكز التي يشكلها داخل الأسرة، والأدوار التي يقوم بها، ويدرك بذلك حقوقه وواجباته ومعاني احترام الآخرين ومعاملتهم.<sup>2</sup>

والنظام العالمي الجديد اليوم يمارس نوعا من الضغط على كل الثقافات المحلية لأن مجتمع المعرفة والعولمة، يحمل بالإضافة إلى التقنية والمعرفة ثقافة المجتمع المسيطر، فالثقافة الالكترونية تحمل إيديولوجية جديدة تفرض على المجتمعات المحلية نمط موحد من التفكير والاستهلاك والثقافة وحتى الأخلاق، فالتقنية وعصر العولمة فرض على كل المجتمعات ضريبة الاستلاب الثقافي، والمجتمع العربي مطالب بالحفاظ على ثقافته وهويته من خلال نقلها للأجيال الناشئة (الأطفال) عن طريق الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي.

والإشكال الذي يطرح: كيف يمكن أن نوفر لطفل اليوم بيئة اجتماعية ملائمة لحمايته من أخطار مجتمع المعرفة والعولمة؟

<sup>1</sup> - مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، سوريا، 2002، ص 31.

<sup>2</sup> - صلاح الدين شروخ، علم الاجتماع التربوي، دارالعلوم، عنابة، الجزائر، 2004، ص 70.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة آلية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

### أولاً- صياغة مفاهيم البحث:

1- **الطفل:** الطفل لغة هو كما ورد في مختار الصحاح يعني المولود والولد، ويقال له كذلك حتى البلوغ، واصطلاحا يمر الطفل بثلاث مراحل هي<sup>1</sup>:

✓ سن الرضاعة وتبدأ منذ الميلاد حتى سنتين.

✓ سن الطفولة المبكرة وتبدأ من السنتين حتى العام الخامس.

✓ سن الطفولة المتأخرة وتبدأ من سن السادسة إلى سن الثانية عشر.

ويعرف الغزالي الطفل: "أنه كلمة صبي في التعابير القديمة تقابل كلمة طفل في التعبير الحديث، والطفولة هي تلك المرحلة من حياة الإنسان التي تبدأ من بداية خلق الجنين في بطن أمه إلى أن يولد ويبلغ سن الرشد<sup>2</sup>.

ويمكن تعريف الطفل اصطلاحاً " أنه الولد أو الصبي أو الذي لم يبلغ سن الرشد، فهو مازال بحاجة إلى الرعاية والحماية الاجتماعية".

2- **العولمة:** إن مفهوم العولمة مازال يكتنفه الغموض بسبب حداثة وتعدد العمليات التي تندرج تحت مظلتها "اقتصادية وسياسية وثقافية واجتماعية... الخ"، وعلى الرغم من ذلك فهناك محاولات جادة لشرح أبعاد هذا المفهوم، تذكر منها على سبيل المثال ما يلي:  
تعني العولمة في معجم "ويبستر" إكساب الشيء طابع العالمية، وذلك يجعل امتداد الشيء أو العمل به يأخذ الصفة العالمية .

يعرف "هورسمان ومارشال" العولمة بأنها: "اندماج أسواق العالم في حقوق التجارة، والاستثمارات المباشرة، وانتقال الأموال والقوى العامة والثقافات والتقانة ضمن إطار من

<sup>1</sup> - محمود أحمد طه، الحماية الجنائية للطفل المجني عليه، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 1999، ص 12-13.

<sup>2</sup> - شعبان مهدي، بن عيس أمال، أثر الرسوم المتحركة في تنمية السلوك العدواني للطفل الجزائري -دراسة ميدانية بالمدرسة الابتدائية آيت علي خالد ببوفاريك- فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 4، مخبر الوقاية والأرغنوميا، جامعة الجزائر 2، 7-8 ديسمبر 2011، ص 227.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

رأسمالية حرية الأسواق وخضوع العالم لقوى السوق العالمية تبعا لذلك، مما يؤدي إلى اختراق الحدود القومية، وإلى الانحسار الكبير في سيادة الدولة"<sup>1</sup>.

تستند العولمة في أبرز ما تستند إليه على الثقافة وذلك لأن الثقافة قد تعني في معناها الشامل الحياة بجملتها في تفاعلاتها ومساراتها المتنوعة، بدءا بالدين، اللغة، نمط الحياة، وانتهاء بالزي وتسريحة الشعر.<sup>2</sup>

يرى عابد الجابري إن العولمة " نظام أو نسق ذو أبعاد تتجاوز دائرة الاقتصاد، العولمة الآن نظام عالمي أو يراد لها أن تكون كذلك، يشمل مجال المال والتسويق والمبادلات والاتصال... الخ، كما يشمل أيضا مجال السياسة والفكر والايديولوجيا"<sup>3</sup>.

ومن هنا أصبح السوق الدولي، المتميز بالعولمة والشمولية، عبارة عن مجموعات كبرى من الأفراد تتقاسم، بغض النظر عن حدودها الوطنية نفس طرق الحياة، ونفس أنظمة القيم، ونفس الأولويات، ونفس الأذواق والمعايير... وبالتالي تحمل نفس العقلية السوسيو-ثقافية<sup>4</sup>.

إذن العولمة تعني تعميم الشيء وتوسيع دائرته ليشمل الكل وجعله على مستوى التسخير العالمي، بحيث ينتقل من المحدود والمراقب إلى اللامحدود والذي ينأى عن المراقبة.

3- مجتمع المعرفة: استعمل مفهوم "مجتمع المعرفة" لأول مرة في عام 1969 من قبل الأستاذ الجامعي بيتر د روكر، وقد تعمق في التسعينيات، وبخاصة عبر الدراسات المفصلة حول الموضوع التي نشرت من قبل باحثين مثل روبنما نسيل أو يتكوستيمر، وقد ولد بين سنوات 1960 و1970 من القرن العشرين، في وقت نفسه لولادة مفهوم المجتمعات المتعلمة والتعليم للجميع مدى الحياة<sup>5</sup>، ويتحدد مجتمع المعرفة وفق ما ورد في تقرير التنمية البشرية 2003 بأنه: " ذلك المجتمع الذي يقوم أساسا على نشر المعرفة وإنتاجها، وتوظيفها بكفاءة في جميع

<sup>1</sup> - مجدي عزيز إبراهيم، منظومة التربية في الوطن العربي: الواقع الحالي والمستقبل المأمول. عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006، ص 18 .

<sup>2</sup> - اشرف السعيد أحمد محمد، الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: بين رؤية ما بعد الحداثة والرؤية الإسلامية، دار الجامعية الجديدة، الأزاريطة، مصر، 2008، ص 83.

<sup>3</sup> - عزيز إبراهيم، منظومة التربية في الوطن العربي، ص 18.

<sup>4</sup> - Mattelart, A: **Comment résister à la colonisation des esprits ?**. le Monde diplomatique. AVTIL .1994. P.P/10-11.

<sup>5</sup> - اليونيسكو، من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، منشورات اليونيسكو، فرنسا، 2005، ص 22.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

مجالات النشاط المجتمعي، متمثلة في الاقتصاد، والمجتمع المدني، والسياسة والحياة الخاصة، سعيا للارتقاء بالمجتمع الإنساني، من خلال عمليات التنمية الإنسانية المختلفة، والتي توصلنا إلى الحرية والعدالة والكرامة الإنسانية<sup>1</sup>.

ويرتكز مفهوم مجتمع المعلومات على الانجازات التكنولوجية، بينما يتضمن مفهوم مجتمعات المعرفة أبعادا اجتماعية وأخلاقية وسياسية أكثر اتساعا بكثير، واستعمال صيغة الجمع هنا ليست مصادفة بالطبع؛ إذ يأتي لتنفيذ نموذج يقدم جاهزا للتطبيق " المفتاح باليد"، ولا يعكس كفاية التنوع الثقافي واللغوي، والوحيد القادر على السماح لكل واحد بأن يجد نفسه في التطور الجاري، فهناك دائما أشكال مختلفة للمعرفة والثقافة تدخل في بناء المجتمع، بما فيها تلك المتأثرة بقوة الانجازات العلمية والتقنية العصرية، ولا يمكن القبول بأن تؤدي ثورة التكنولوجيات والمعلومات والاتصالات، بتكنولوجية ضيقة وجبرية، إلى عدم التفكير إلا بشكل واحد ممكن للمجتمع<sup>2</sup>.

4- العالم الافتراضي: العالم الافتراضي هو برنامج ثلاثي الأبعاد يحاكي الواقع والبيئة من حولنا، يتفاعل فيه المستخدمون فيما بينهم مشكلين ما يعرف بالحياة الافتراضية. هذه العوالم قد تحاكي العالم الحقيقي بصفتها وسيلة لتسليّة والترفيه لمستخدم الانترنت، لكن ذلك لا يعني أنها تقتصر فقط على الألعاب حيث يتواجد فيها مختلف ما تتخيله من احتياجات، علاقات تجارية، عملية افتراضية لها سعر صرف، علاقات اجتماعية واقتصادية وتجارية وكل ما هو موجود فعليا في الحياة الحقيقية<sup>3</sup>.

إن هذا الواقع الافتراضي الذي يتم مزجه بواقع فعلي، يخلق عالما جديدا من ثقافة الصورة، وهو عالم له تأثيره القوي، مما حدا ببعض الباحثين إلى إطلاق تسميته " البلاغة الالكترونية " عليه، وهي بلاغة لا يمكن للمشاهد إلا الاستسلام لها والانهيار بها<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - عابدة فؤاد النبلاوي، الأسرة العربية في عصر مجتمع المعرفة دراسة أنثوجرافية عبر ثقافية، مؤتمر مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، الحاضر والمستقبل، المجلد الثاني، مسقط سلطنة عمان، 3 و4 ديسمبر 2007، ص 158.

<sup>2</sup> - اليونسكو، مرجع سابق، ص 19.

<sup>3</sup> - وجدي محمد بركات، توفيق عبد المنعم توفيق، الأطفال والعوالم الافتراضية ... آمال وأخطار، مؤتمر الطفولة في عالم متغير، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، مملكة البحرين، 18-19 ماي 2009، ص 3.

<sup>4</sup> - مصطفى حجازي، حصار الثقافة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1998، ص 31.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

وتكنولوجيا "الواقع الافتراضي" أو الواقع الخائبي تمكن مستخدميها من بناء مشاهد وصياغة سيناريوهات أو عوالم افتراضية، وذلك من أجل محاكاة عالم الواقع، أو إقامة عوالم خيالية أو مجازية لا وجود لها في دنيا الواقع ويدخل الافتراض والمخيلة في صناعة هذا العالم الى أبعد الحدود .

5- البيئة الاجتماعية: ويقصد بالبيئة الاجتماعية الإطار من العلاقات الذي يحدد ماهية علاقة حياة الإنسان مع غيره، ذلك الإطار من العلاقات هو الأساس في تنظيم أي جماعة من الجماعات سواء بين أفرادها بعضهم في بيئة ما، أو بين جماعات متباينة أو متشابهة معا وحضارات في بيئات متباعدة، وتشكل تلك العلاقات ما يعرف بالنظام الاجتماعي وأساسه التفاعل والتبادل، واستحدث الإنسان خلال رحلة حياته الطويلة بيئة حضارية لكي تساعده في حياته.

فالبيئة الاجتماعية إجرائيا هي: ذلك الجزء من البيئة الذي يتكون من الأفراد والجماعات في تفاعلهم، وكذلك التوقعات الاجتماعية وأنماط التنظيم الاجتماعي، وجميع مظاهر المجتمع الأخرى وبوجه عام تتضمن البيئة الاجتماعية، وأنماط العلاقات الاجتماعية القائمة بين الأفراد والجماعات التي ينقسم إليه المجتمع، ونقصد بها العالم الخارجي الذي يحيط بالطفل والذي يساهم الى حد بعيد في بناء شخصيته.

ثانيا- الفضاء الافتراضي وواقع الطفل في المجتمع:

المعلومات اليوم أصبحت تمثل رأس مال حقيقي بالنسبة للكثير من الدول وعلى أساسها يتم التميز والمفاضلة فيما بينها، حتى المال أوشك أن يصبح مجرد معلومات، كما أن الثقافة أوشكت أن تصبح علم المستقبل.

وفي هذا الصدد يُقَدِّم الدكتور نبيل علي أحد أعلام المعلوماتية وصفا رائعا لعصر المعلومات حيث يقول: "عصر يلته فيه قَادِمُهُ يكاد يلحق بسابقه، وتهاوى فيه النظم والأفكار على مرأى من بدايتها، وتتقدم فيه الأشياء وهي في أوج جدتها، عصر تتألف فيه الأشياء مع أضدادها، فالمعرفة قوة والقوة أيضا معرفة، معرفة تفرزها هذه القوة لخدمة أغراضها وتبرير ممارستها وتمير قراراتها، ولهذا التضاد رفيق اقتصادي، فالمعلومات مال بعد أن أصبحت مورداً تنموياً يفوق في أهميته الموارد المادية، فالمال بدوره أوشك أن يكون مجرد معلومات، نبضات وإشارات وشفرات تتبادلها البنوك في مُعَامَلَتِهَا المالية الالكترونية، وثمة علاقة بين هذا

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

التضاد المعرفي -المعلوماتي، والتضاد الحاكم في عصرنا، والذي أصبح فيه العلم هو ثقافة المستقبل، في حين اقتربت الثقافة من أن تصبح علم المستقبل الشامل الذي يطوي في عباؤه فروعاً معرفية متعددة ومتباينة<sup>1</sup>.

إن الوسائط الحديثة أحدثت ثورة في توفير الاتصال العالمي وأزالت الحدود بين البشر مهما اختلفت ثقافتهم وبعدت بينهم المسافات الجغرافية عبر العديد من شبكات الاتصال الاجتماعية مثل: الفيس بوك (تويتر) وغيرها، وهو ما يؤدي إلى خلق نوع من ألوان الحوار المباشر أو غير المباشر بين أفراد مختلفين في الثقافات، قد يكون من المستحيل أن تتوافر لأي منهم سبل التلاقي أو الحوار لولا ظهور تلك الشبكات الحديثة من الاتصالات<sup>2</sup>.

فالجيل الحالي من أطفالنا هو جيل الحاسوب المحمول و"الآي باد"، لذا يفضلون كثيراً القراءة عبر هذه الوسائط بدلاً من الاختيار على الرف، وهذا يدل على أهمية الكتب الالكترونية لمكتبة الطفل الخاصة، وذلك لأنها لا تشغل حيزاً كبيراً كما أنها سهلة التنقل من مكان لآخر، ويؤكد الخبراء على أن تشجيع الطفل على القراءة بالطريقتين سواء من خلال الحاسوب، وكذا من خلال قراءة الكتب الورقية سيحفز ويجعل حب الكتب يستقر بداخل الطفل، كما يسهل له التعامل مع العالمين الرقمي والمادي معاً<sup>3</sup>. حيث أصبح تعليم المستقبل يستمد معالمه وخصائصه من التطور المتلاحق في المحيط الاقتصادي وفي المجال المعرفي والتقني، كما أصبح مرتبطاً أيضاً بنظام عالمي جديد تتزايد فيه أهمية المنافسة في الأسواق العالمية كمعيار للتمييز، وتستعد العديد من الدول المتقدمة وتلك الساعية إلى التقدم لمواجهة التحديات لتغيير وتطوير أنظمة التعليم والبحث العلمي<sup>4</sup>.

بالرغم من ايجابية التكنولوجيا والتكنولوجيات في عالم اليوم وقدرتها على زيادة ذكاء الأطفال وسرعة تعلمهم لخبرات جديدة وتنمية مهاراتهم، إلا أن العالم الافتراضي الذي أصبح

<sup>1</sup> - عزيز ابراهيم، منظومة التربية في الوطن العربي، ص 669-670.

<sup>2</sup> - سليمان، إبراهيم العسكري، الوسائط الجديدة في نقل الثقافة، مجلة العربي (616)، تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، 2010، ص 13.

<sup>3</sup> - هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007، ص 174.

<sup>4</sup> - محيا زيتون، التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة وثقافة السوق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005، ص 27.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

اليوم جزء من سياسة المجتمع العالمي الجديد، والذي يشكل خطراً على الكبار قبل الصغار، لذا من الضروري أن نعرف الآليات التي يعمل من خلالها هذا العالم "الافتراضي" كبديل للواقع، فهو يشكل جزء كبير من حياة الأطفال لأنه يحاكي الخيال ويلامسه بإحساسه في الغالب، وهنا تكمن خطورة هذا العالم، الذي يشحن خيال الأطفال ويسلمهم ويشعرهم بالمتعة وهم يقودون العالم بأطراف أصابعهم الصغيرة، إلا أن هذا العالم مزج بين التخيل والافتراض، أي خلق ما هو غير موجود في عالم الانهار والإثارة والتشويق، فخلق نوع من الافتراض يجعل الطفل سلبيا إلى أبعد الحدود فهو يرضى بالواقع كما هو، ولا يحاول تغييره في المستقبل ويبقى حبيساً لهذه التقنية.

وبالتالي يعيش في حالة من الاغتراب، فيصبح شخص متأثر وغير مؤثر ومقيد غير حر وتابع غير فاعل في مجتمعه، فنقرة خفيفة تفتح أمامه طوفانا من المعارف والألعاب والقرصنة والتسلية والتواصل، ولكن دون وعي حقيقي بما يحدث من مخاطر سلب الهوية وخلخلة القيم الاجتماعية، ويكمن الاختراق الثقافي الالكتروني في تراجع وظيفة الأبوين في التورث الثقافي للأبناء الذي من شأنه أن يحافظ على اللحمة والهوية الذاتية لجيل المستقبل أي رجال الغد. والجدير بالذكر أن العوالم الافتراضية أو الخيالية هي نتاج التطور الحادث في تكنولوجيا المعلومات والاتصال، وهي تلك العوالم التي لا وجود لها أصلا في عالمنا اليوم، وتكنولوجيا العالم الافتراضي أو الواقع الخيالي تمكن مستخدميها من بناء مشاهد وصياغة سيناريوهات أو عوالم افتراضية، وذلك من أجل محاكاة عالم الواقع أو إقامة عوالم خيالية أو مجازية لا وجود لها في دنيا الواقع، لذلك من الضروري التخطيط والتوجيه الاستراتيجي من أجل التحكم في بيئة تعلم الطفل اليوم وفق نموذج خاص يلبي حاجاته دون أن يقتل الجانب الإبداعي والاستكشافي في شخصيته لأن الأطفال لهم ثقافة خاصة وعالم خاص أكثر تعقيدا من عالم الكبار.

فالطفل لن ينظر للعالم إلا حسب ما جبل عليه منذ نعومة أظافره، إن تنميط وتعليب الطفل وفق نموذج ثقافي وحضاري، يعكس بحق النزوع الممنهج للعولمة للاختزال الثقافي والحضاري وتفكيك الاختلاف، إن العالم الخيالي الذي تروجه إمبراطورية والت ديزني الشهيرة للتسلية للأطفال يخفي إذن هندسة منظمة لترويج قيم العولمة المتوحشة، فلقد حمل التطور السريع في مجال الثقافة الالكترونية أساليب جديدة لاستمالة الطفل، ودفعه للإدمان، وهناك محاولة لتعليب وعي الطفل في نمط ثقافي محدد، يؤمن بقيم الصراع والريح والقوة وتغليب



د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

النزوات والدعوة إلى الفر دانية ولحرية بدون مسؤولية<sup>1</sup>، وبطبيعة الحال فان التكنولوجيا الحديثة إذا لم نحسن استغلالها ستقوم بالمفعول السلبى وخصوصاً في طمس الهوية الوطنية، والإحلال محلها ثقافة العالمية التي تحمل في طياتها الشتات والضياع والعنف والتعدد الثقافى الذى يساوى اللانقافة فى المستقبل القريب.

### ثالثا- الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعى والاعداد الاجتماعى للطفل

الأسرة أصغر وحدة اجتماعية فى النسق الاجتماعى تساهم بصورة كبيرة فى الحفاظ على توازن المجتمع، وهى المسئولة على استمراره، وتقول عالمة الاجتماع سناء الخولى: "...التكيف وتحقيق الهدف والتكامل والمحافظة على بقاء النمط، لامتصاص التوتر، هى من وجهة نظر البنائية الوظيفية أساسية وعالمية فى جميع الأنساق الاجتماعى وعلى رأسها الأسرة، ذلك لأن الفشل فى إنجاز هذه المتطلبات يؤدى إلى تعرض نسق الأسرة بل المجتمع بأسره إلى الانهيار<sup>2</sup>. فالمفهوم السوسىولوجى للأسرة يشير الى أنها أصغر وحدة اجتماعية فى البناء الاجتماعى داخل المجتمع، ووظيفتها الأساسية هى تنمية شخصية الطفل، ونعنى بشخصية الطفل الوحدة الدينامية التى تتشكل من الجوانب الانفعالية والمعرفية والاجتماعية والروحية، فالأسرة بوصفها نظاما متكاملا يسعى إلى خلق نظام جديد هو شخصية الطفل، وهناك عوامل أسرية تؤثر فى بناء شخصية الطفل حصرها البعض فى العامل الثقافى للأسرة والعامل الاقتصادى للأسرة وكذلك تأثير الوضع المهنى للأب<sup>3</sup>.

وهذه العوامل لها تأثير وبالأخص على حياة الطفل المدرسية، وإذا كانت الأسرة غير مسئولة بصورة مباشرة عن هذه العوامل السابقة الذكر ولكن هناك عوامل تعيق صناعة العبقرية لد الطفل وللأسرة دور فعال ومباشر فيها، فعلمها أن تتجنبها قدر الإمكان وهى<sup>4</sup>: الأسلوب الروتينى فى التربية، المقارنة غير السوية، العقاب المهنى، الصراعات الأسرية ومشاهدة

<sup>1</sup> - عبد الله الخيارى، ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية، العدد 5، السلسلة الجديدة، 2013، ص 33.

<sup>2</sup> - سناء الخولى، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000، ص 150.

<sup>3</sup> - علي اسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، "علم اجتماع المدرسى بنيوية الظاهرة المدرسية وظيفتها الاجتماعى"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2004، ص 143 - 147.

<sup>4</sup> - سعد رياض، اكتشاف عبقرية طفلك مهارات تربوية فى صناعة قادة المستقبل، مكتبة اقرأ، القاهرة، مصر، 2007، ص 170 - 173.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

التلفاز وعدم وجود قدوة جيدة للطفل وعدم إشباع الحاجات الأساسية والتوتر والانفعال في التربية وتعليم الطفل للدين بأسلوب قاسي وخاصة في سن مبكرة.

### 1- بيئة الأسرة الاجتماعية والدور التنموي للمعلومات في بلورة شخصية الطفل:

يولد الطفل ويعيش بين والديه وإخوته، وقبل أن يشب الطفل ليكون ولدا، فإن إطاره الفكري المعلوماتي في السنوات الأولى من حياته يقتصر على ما يتلقاه من والديه وأخوته وأقاربه وجيرانه في المنزل والحي، إذن فإن عملية التطبيع الاجتماعي من جهة وعملية القابلية للتعلم من جهة أخرى تعتمد على المتغيرات الآتية<sup>1</sup>: " البعد التعليمي، البعد الاجتماعي، البعد الاقتصادي، البعد الوظيفي أو المهني، البعد المعيشي، البعد الخاص بالعلاقات الشخصي"، وكل هذه الأبعاد تتعلق ببيئة الأسرة الاجتماعية الذي يتطلبها مجتمع المعرفة القائم على عملية التفاعل بين الأسرة والبيئة الاجتماعية المحيطة بالطفل.

فأسلوب التنشئة الاجتماعية داخل الأسرة يحدد بالضرورة الهوية الاجتماعية للفرد من جهة وللمجتمع الإنساني من جهة أخرى، إذ أن "التربية القديمة بأشكالها وأساليبها المختلفة لا تستطيع اليوم أن تواجه المد الأسطوري لقيم العولمة الزاحفة التي تهدد منظومة القيم الجوهرية الخاصة بكل أمة"<sup>2</sup>، فللا أسرة الدور الفعال والإيجابي في تنمية شخصية الطفل وإدماجه وتطبيع اجتماعيا.

تطرقنا إلى بيئة الأسرة الاجتماعية وإلى عملية التطبيع الاجتماعي والقابلية للتعلم التي تسعى الأسرة إلى غرسها كإطار معلوماتي للطفل في مراحل حياته الأولى، فالطفل يحتاج أن ينمو أو يتأسس انفعاليا ووجدانيا منذ الصغر، فالجو الذي يحيطه الود والهدوء والتوافق يكون بيئة صالحة لتنشئة اجتماعية جيدة، وهناك بعض السمات الشخصية التي يجب أن تشجع الأطفال وهي<sup>3</sup>: المرح، الثقة بالنفس، الحماس، تأكيد الذات، التعاون، الشجاعة، الروح الرياضية، عدم الأنانية، مشاطرة الآخرين وجدانيا، القناعة المعقولة والهدوء.

فالطفل ينشأ أو يتعلم على أن يكون عنصرا فاعلا في الأسرة يمارس بعض الأمور البسيطة باعتباره عنصرا إيجابيا داخلها، وبالتالي فهو عنصر مهم داخل المجتمع، ويعرف كذلك

<sup>1</sup> - عزيز ابراهيم، مرجع سابق، ص 249-253.

<sup>2</sup> - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص 233-234.

<sup>3</sup> - سعد رياض، مرجع سابق، ص 116.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

الصواب والخطأ، فلا يتأثر بالقيم السلبية التي يتلقاها من خلال الوسائط الإعلامية المختلفة التي تحمل قيم المجتمع العالمي الجديد فيتعلم كيف يحكم على سلوكه إيجابا أو سلبا، وبالتالي يمكن أن يعدله وفق المعايير المصاغة اجتماعيا في محيطه الاجتماعي.

## 2- بيئة المدرسة الاجتماعية ودورها في بلورة شخصية الطفل:

الدور الأساسي للمدرسة هو جعل الطفل يحتك بمحيطه الاجتماعي بصورة تفاعلية ديناميكية فهو داخلها لا يكتسب معارف فقط، بل يكتسب أيضا قدرات وكفاءات في عملية التواصل داخل مجتمعنا المعاصر، فدور المدرسة وبالأخص مدرسة عصر المعلومات ومجتمع المعرفة هو تكوين وتنمية ملمح طفل أو تلميذ مجتمع المعرفة وذلك لمواكبة التقدم العلمي الحاصل في المجتمع العالمي.

وتشكل المدرسة نظاما معقدا ومكثفا ورمزيا من السلوك الإنساني المنظم، الذي يؤدي بعض الوظائف الأساسية داخل البيئة الاجتماعية، وهذا يعني بدقة أن المدرسة كما تبدو لعالم الاجتماع تتكون من السلوك أو الأفعال التي يقوم بها الفاعلون الاجتماعيون، ومن المعايير والقيم الناظمة للفاعليات والتفاعلات الاجتماعية والتربوية من داخلها وفي خارجها، وهي أفعال تتصف بالتنظيم وتؤدي إلى إعادة إنتاج الحياة الاجتماعية ثقافيا وتربويا<sup>1</sup>. فالمدرسة هي منظومة من التفاعل تسعى إلى تحقيق بيئة ديناميكية تتصف بالتنظيم فهي مؤسسة شكلية رمزية معقدة، وللمدرسة مهمة أساسية هي التربية والتعليم، فمن الضروري على مدارسنا أن تجمع في تكوينها وإعدادها للطفل بين عدة كفايات، تربوية تعليمية، تكوينية، ثقافية ومهنية، وبذلك تستطيع تأدية مهمتها في تحقيق مبدأ التنمية الشاملة والمستدامة، وتكمن وظيفة المدرسة كما يرى كلوس، في تحويل مجموعة من القيم الجاهزة والمتفق عليها اجتماعيا إلى المنتسبين إليها من طلاب وأطفال وتلاميذ، وقد مارست المدرسة هذا الدور في العصور القديمة والوسطى كما هو الحال اليوم<sup>2</sup>، وللمدرسة عدة وظائف منها السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافة.

<sup>1</sup> - علي أسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، مرجع سابق، ص 20.

<sup>2</sup> - نفس المرجع، ص 34.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

### 3- بنية المحيط الاجتماعي ودوره في بلورة شخصية الطفل:

يتم تحديد بيئة المحيط الاجتماعي في ضوء منظومة بيئة المجتمع، فالطفل يعيش في المحيط الاجتماعي الذي يكون بالقرب من المدرسة والأسرة، فهناك جماعة الرفاق في الصف الدراسي، وكذلك أصدقاء العائلة بالإضافة إلى الجيران، فالمحيط الاجتماعي هو منظومة مصغرة عن المجتمع، فيعيش الطفل في جو يسوده من التناقض من حيث بعض المصطلحات وحتى بعض الأفكار والمبادئ، فلكي تكون بنية المحيط الاجتماعي الخاص بالطفل إيجابية في العملية التنموية للمعلومات التي يتلقاها، فلا بد من وضع استراتيجية ديناميكية قائمة من أجل تسهيل عملية التواصل ما بين الطفل ومحيطه، إذ أن الطفل في هذه المرحلة يحتاج إلى التوجيه والمعاملة الإيجابية أكثر من أي فترة أخرى، والمحيط الاجتماعي فيه العديد من الأطراف المشكلة له فعلمها أن تعمل في نوع من التساند الوظيفي لضمان تنشئة جيدة لهذا الكائن البشري، وتتمثل أبعاد هذه الديناميكية الفعالة فيما يلي<sup>1</sup>:

- ✓ يلعب الفرد أدوارا مختلفة ضمن الجماعة التي ينتمي إليها.
- ✓ يعبر الفرد ويدافع عن آرائه وأفكاره بحرية تامة.
- ✓ يقوم الفرد بتحليل ونقد بعض الأمور التي تستدعي ذلك.
- ✓ تصل المجموعة للموضوع الذي تتبناه بعد استعراض ودراسة مختلف الآراء والأفكار والأدوار مختلفة للفرد.
- ✓ يركز حل الموضوع الذي تأخذ به المجموعة وتتبناه على عدد من الأسباب الموضوعية.
- ✓ تصاغ النتيجة التي يتم الوصول إليها بصورة منطقية.

فلكي يكون الطفل عنصرا فاعلا في المجموعة التي يختارها ونقصد بها جماعة الرفاق عليه أن يتبع الخطوات المذكورة سابقا حتى لا يتأثر بآراء وأفكار قد تكون سلبية في شخصيته، وبطبيعة الحال فالطفل ليس موضع الاختيار بل على الأسرة أن تقوم بهذا الدور، وذلك بأسلوب تربوي عصري يمزج ما بين المرونة والشدة أحيانا، وذلك لأننا في عصر اختلط فيه الحابل بالنابل والصالح بالطالح، إذ أصبح الطفل معرض للعديد من الأخطار التي يمكن أن تؤثر على شخصيته في المستقبل وخصوصا جماعة الرفاق، وكذلك وسائل الإعلام والوسائط المختلفة التي أصبحت تنافس الأسرة في دورها التربوي والتي اخترقت جدران المنازل في تكوين الاتجاه

<sup>1</sup> - عزيز ابراهيم، مرجع سابق، ص 349.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

وعلى المدى البعيد، وفي تغيير القيم واستبدالها بقيم دخيلة على المجتمع الجزائري تشجع على الفردانية والقيم الاستهلاكية والانطواء وتغليب المصلحة الفردية على مصلحة الجماعة أو المجتمع والتي تعتبر من القيم التي ينبغي أن نحافظ عليها.

رابعا- تصميم منظومة التفاعل بين الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي في ضوء متطلبات مجتمع المعرفة والعولمة:

إن الإصلاح التربوي والمجتمعي لمواكبة متطلبات مجتمع المعرفة، يتطلب منا كباحثين وتربويين تصميم منظومة التفاعل بين بنية الأسرة وبنية المدرسة وبنية المحيط الاجتماعي، إذ أن هدفنا الأساسي هو صياغة نموذج متكامل للمعلومات يستند إلى إطار فكري نابغ من فلسفة المجتمع وثقافته، متلائم مع طبيعة التغيرات الجديدة الطارئة على المجتمع الدولي وعلى مجتمعنا، يجعل الطفل عنصر فاعل في مجتمع المعرفة وعصر العولمة.

وفي مرحلة الطفولة نجد أنفسنا أمام فرصة ذهبية إذ يمكن أن يمثل كل طفل مشروع تكوين إنساني متميز، موهوب...، مبادر، نشط، صانع، ماهر، وعالم موسوعي، وهذه كلها قدرات يتطلّبها المجتمع في مختلف نشاطاته، وهي في الوقت ذاته تمثل رصيده المعرفي الذي يقاس به تقدم الشعوب في عالم اليوم والغد<sup>1</sup>، فأول بيئة يمكن التركيز عليها هي الأسرة ودورها في توضيح الإطار الفكري المعلوماتي للطفل حيث يمثل هذا الأخير صفحة بيضاء نرسم عليها ما نشاء، فأول خطوة للإصلاح أو التغيير تبدأ من البيت، إذ "أن هذه الخطوة تقتضي التدرج في خطوات الإصلاح، ولن يجدي تقديم أحدهما على الأخرى، وإذا حدث ذلك فلن يكون إصلاحا كاملا شاملا، وغير ممتد أي سيكون معرضا للانهايار في أي وقت"<sup>2</sup>.

فالعوامل البنوية المكونة للأسرة: كالأصل الاجتماعي، ومستوى الدخل، والمستوى التعليمي للأبوين، وعدد أفراد الأسرة، والعلاقات القائمة بين أعضاء الأسرة والمفاهيم والقيم التي تتبناها الأسرة، وعلى الخصوص المفاهيم التي تتصل بأساليب التنشئة الاجتماعية، هي من العوامل التي لها أثر إيجابي أو سلبي على مرحلة الطفولة المبكرة، فإذا كانت لهذه العوامل مجتمعة دور إيجابي فإنها تحقق نوعا من التوازن والتكامل في التأثير على شخصية الطفل

<sup>1</sup> - حامد عمار، الإصلاح المجتمعي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 2006، ص 90.

<sup>2</sup> - محمد عبده، تقديم مجدي الهلالي، بيوتنا كما يجب أن نكون، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة، 2006، ص

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

والتركيب النفسي المميز له، وبالتالي حققت نوعا من الانسجام بين القيم التي يعتنقها والحاجات التي يريد إشباعها، وكان فضول الطفل وحب الاستطلاع موجه إيجابا، ويتمثل الجانب المعرفي في مستوى ذكاء الطفل، ومستوى تحصيله المدرسي، ومستوى خبراته ومعارفه عن الوسط الاجتماعي وقدراته التحصيلية.

ويتمثل الجانب الاجتماعي في قدرة الطفل على تمثّل المعايير السلوكية الخاصة بحياة الجماعة، والقدرة على إقامة علاقات متفاعلة متوازنة في تعامله مع الوسائط الإعلامية المختلفة، فلأب والأم دور فعال في توضيح الإطار الفكري للمعلوماتي للطفل وخلق نوع من التوازن بين المعلومات داخل الأسرة وخارجها، وذلك بالإجابة على كل تساؤلاته، حتى لا يرجع إلى شخص آخر في يمكن أن يؤثر سلبا على رصيده المعرفي، والذي يتطلب الإشباع في حدود قيم ومبادئ المجتمع، وتماشيا مع متطلبات مجتمع المعرفة، فعلى الأسرة أن تكون موطنا خصبا لبذور المجتمع الذي نسعى لتحقيقه هذا عن الأسرة.

أما مرحلة التصميم الثانية فهي صياغة بنية المدرسة الاجتماعية التفاعلية حيث أن "المدرسة تختص بالعملية التربوية، وهي العملية التي يتوقف عليها وجود المجتمع وبقائه واستمراره، إذ بها يتم انتقال مقومات المجتمع من عادات العمل والشعور والتفكير، وانتقال المثل العليا والأمال والمطامح والمعايير، من الكبار إلى الناشئين، وبغير هذا الانتقال لا يمكن حياة الجماعة أن تدوم"<sup>1</sup>

أما المرحلة الثالثة هي مرحلة تصميم بنية المحيط الاجتماعي الإيجابي، وهذه بطبيعة الحال أصعب مرحلة، فالمحيط الاجتماعي بما يحويه من متغيرات فهو بنية غير ثابتة خصوصا في ظل مجتمع المعرفة وعصر العولمة، فالمحيط الاجتماعي الخاص بالطفل هو عنصرا فاعلا في العملية التربوية، فعلينا أن نراقب هذا المحيط وذلك من أجل خلق بيئة تفاعلية بين الأطراف الثلاثة الفاعلة في العملية التربوية "الأسرة، المدرسة، المحيط الاجتماعي الخاص بالطفل، فهذه المراقبة هي بمثابة الرابط الأساسي بين هذه الأطراف الفاعلة في عملية التنشئة، فهي نوع من التواصل الإيجابي والفاعل داخل النسق الاجتماعي.

فبالرغم من أن بنية المحيط الاجتماعي متغيرة إلا أن الميكانيزمات الفاعلة فيها نستطيع التحكم فيها ولو نسبيا، وكما أشرنا سابقا فإن المحيط الاجتماعي الخاص بالطفل هو جزء لا

<sup>1</sup> - عبد الرحمان النحلاوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2006، 109.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

يتجزأ من المجتمع وهذا الأخير يحوي العديد من المؤسسات الاجتماعية كالمؤسسات الإعلامية، الدينية، الثقافية، الفنية، الصحية... بيد أن الطفل كقطب سالب في العملية التربوية، يتأثر بالدرجة الأولى بالمحيط الاجتماعي القريب من أسرته، ومدرسته من أصدقاء وزملاء الدراسة واللعب... إلى غير ذلك.

ومن المؤثرات الأخرى التي يمكن أن تساهم إيجابا أو سلبا في تكوين شخصيته، فالتنشئة الاجتماعية تجعل من الطفل بشكل تدريجي إنسانا واعيا لذاته، وشخصا ملما ببعض المعارف والمهارات الثقافية والحياتية أيضا، فالتنشئة الاجتماعية ليست نوعا من " البرمجة الثقافية "، التي تغذي الطفل بكل ما يقع عليه من مؤثرات بصيغة سلبية، فالطفل كائن صغير لكن له عالم خاص به من الضروري أن نحافظ على براءته عن طريق الحماية الاجتماعية التي تلي كل احتياجاته المادية والمعنوية في حدود المعايير والقيم الاجتماعية المنسجمة مع المجتمع المحلي، فمن خلال فرض الحماية والرقابة على كل المواقع التي يتصفحها الطفل سواء من قبل الأسرة أو المدرسة وحتى المؤسسات المدنية الأخرى التي يتلقى من خلالها المعلومة، وتعتبر التنشئة الاجتماعية حلقة وصل تصل الأجيال ببعضها، وتستمر من المهد إلى اللحد.

خاتمة:

لقد حمل التطور السريع للعالم في مجمله العديد من التحديات والتناقضات كمجتمع المعرفة، وعصر العولمة، فإذا كانت للعولمة أبعاد حتمية لا سبيل للتخلص منها، فإن لها أبعادا أخرى احتمالية، قابلة للتدخل والتعديل، فالعولمة تحمل ازدواجية تتمثل فيما هو موضوعي: " دور تقنيات المعلومات والإعلام والاتصال في تقريب أبعاد العالم "، وما هو هدف إيديولوجي " تنميط أحادي انطلاقا من مرجعية القطب الواحد "، وبما إننا في عالم يحمل في ثناياه نوعا من التناقض فإن مجتمعنا العربي المسلم مطالب بنوع من الحصانة الفكرية التي تهدف إلى الحفاظ على الهوية العربية الإسلامية، التي من المفروض أن تنقل من جيل للأخر عن طريق مؤسسات التنشئة المختلفة انطلاقا من الأسرة، وبما أن دور الأسرة في القرن الحادي والعشرين تقلص، حتى أصبحت وسائل أخرى تقوم بدورها كالوسائط الإعلامية المختلفة والتي تحمل ثقافة العولمة، والتي تسعى إلى العصف بالهوية والثقافة العربية واختزالها في ثقافة الكترونية واحدة تركز أساليب جديدة للاستمالة الطفل ودفعه للإدمان، فهناك محاولة لتغليب وعي الطفل في نمط ثقافي محدد، يؤمن بقيم الصراع والريج والقوة وتغليب النزوات والدعوة للفردانية.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

وتجدر الإشارة إلى أن ثقافة الطفل لبنة أساسية لثقافة المجتمع وذلك لأن طفل اليوم هو صانع ثقافة الغد، وبالتالي فإن ثقافة الطفل هي قاعدة تمارس تأثيرها عند رسم معالم ثقافة الغد، وبالتالي فإن بناء ثقافة الطفل اليوم هي صناعة رجل الغد، ونظرا إلى أن الثقافة الالكترونية المعولمة تربي الطفل على الاستهلاك والإثارة وتقصي متع اللحظة، فمن الطبيعي أن ينشأ لدى الطفل المسلم دوافع نفسية متناقضة، بين ما يتلقاه عبر الثقافة الالكترونية الرائجة، وبين ما يعيشه في واقعه اليومي من خلال الأسرة والمدرسة ومحيطه الاجتماعي في بيئته العربية المسلمة، مما يؤدي الى شعوره بحالة نفسية تتجاذب فيها قيم متنافرة، وهذا الأمر يؤدي إلى نوع من الاختلال في التوازن النفسي والاجتماعي للطفل من خلال ما يقدم له من برامج التعلم والتثقيف والتسلية، ومما أثر أيضا على واقع الطفل وحياته هو العالم الافتراضي الذي يحاكيه عن طريق البرامج والألعاب ومن خلال مواقع التواصل الاجتماعي، مما يؤدي إلى جعل الطفل يعيش في الخيال ولا يتقبل الواقع ويصبح انطوائي ولا يحسن التصرف في المواقف التي يتعرض لها في عالمه الواقعي فلا يحسن التعامل مع أمور حياته، وحتى معالجة بعض الأمور البسيطة في عالمه الفعلي.

وفي الأخير سندرج بعض التوصيات التي تساعد مؤسسات التنشئة الاجتماعية في الحفاظ على ثقافة الطفل وهويته في ظل الثقافة الالكترونية المعولمة نوجزها في ما يلي:

✓ من الضروري أن تعليم أطفالنا أن يكونوا مستخدمين مفكرين لديهم القدرة على نقد ما يعرض عليهم وتحليله والتحقق من أهدافه، وكخطوة نهائية يصبح لديهم قدرة على الانتقاء والتقييم.

✓ تفعيل آليات المراقبة المستنيرة لما يستهلكه الأطفال من خلال الثقافة الالكترونية المستقبلية من قبلهم، للحفاظ على النمو المتوازن لديهم ضد كل أشكال الاستلاب الثقافي .

✓ خلق بديل إعلامي وتربوي للطفل العربي نابع من قيم مجتمعنا العربي الإسلامي، من خلال الكتب المخصصة للطفل التي تحمل القصص المستمدة من القرآن الكريم والسنة النبوية والتاريخ الإسلامي، والرسوم المتحركة التي تحمل قيم الحب والتسامح والإيثار والوفاء وغيرها من القيم الايجابية التي من شأنها أن تحفظ التوازن والانسجام داخل وجدان الطفل وتساهم في إدماجه اجتماعيا.



د. صليحة بن سباع / د. الصالح بوعزة ..... صياغة آلية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

✓ تكثيف برامج التوعية والتكوين للأسر حول الوسائط الإعلامية الجديدة المختلفة التي تحمل في طياتها الثقافة الالكترونية المعولمة، من أجل حماية أطفالها من أخطار البيئة الافتراضية وسارقي البراءة، فالأسرة مطالبة اليوم وخصوصا في مجتمع المعرفة من استرجاع مكانتها ودورها المسلوب منها .

✓ إيجاد بيئة معلوماتية ملائمة من اجل إدماج الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع يفرض علينا السرعة والدقة والجودة، من خلال العمل على التنسيق بين الأسرة والمدرسة والمحيط الاجتماعي للحفاظ على هوية الطفل وتوازنه الانفعالي والاجتماعي في ظل مجتمع عالمي متغير يحاول أن يفرض عليها ثقافة العولمة.

\* قائمة المراجع:

أ- باللغة العربية:

- 1- اشرف السعيد أحمد محمد، الجودة الشاملة في المؤسسات التعليمية: بين رؤية ما بعد الحداثة والرؤية الإسلامية، دار الجامعية الجديدة، الأزاريطة، مصر، 2008.
- 2- حامد عمار، الإصلاح المجتمعي، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط1، القاهرة، مصر، 2006.
- 3- سعد رياض، اكتشاف عبقرية طفلك مهارات تربوية في صناعة قادة المستقبل، مكتبة اقرأ، القاهرة، مصر، 2007.
- 4- سليمان، إبراهيم العسكري، الوسائط الجديدة في نقل الثقافة، مجلة العربي (616)، تصدرها وزارة الإعلام بالكويت، 2010.
- 5- سناء الخولي، الأسرة والحياة العائلية، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، مصر، 2000.
- 6- شعبان مهدية، بن عيس أمال، أثر الرسوم المتحركة في تنمية السلوك العدواني للطفل الجزائري -دراسة ميدانية بالمدرسة الابتدائية آيت علي خالد ببوفاريك- فعاليات الملتقى الوطني حول دور التربية في الحد من ظاهرة العنف، العدد 04، مخبر الوقاية والأرغنونيا، جامعة الجزائر 2، 7-8 ديسمبر 2011..
- 7- عايدة فؤاد النبلاوي، الأسرة العربية في عصر مجتمع المعرفة دراسة أنثوجرافية عبر ثقافية، مؤتمر مجتمع المعرفة: التحديات الاجتماعية والثقافية واللغوية في العالم العربي، الحاضر والمستقبل، المجلد الثاني، مسقط سلطنة عمان، 3 و4 ديسمبر 2007.

د. صليحة بن سباع / د. الصالح بو عزة ..... صياغة الية فاعلة لحماية الطفل اجتماعيا في ظل مجتمع المعرفة والعولمة

8- عبد الرحمان النحلوي، التربية الاجتماعية في الإسلام، دار الفكر، ط1، دمشق، سوريا، 2006.

عبد الله الخياري، ثقافة الطفل وتحديات العولمة، التدريس مجلة كلية علوم التربية، العدد 5، السلسلة الجديدة، 2013.

9- علي اسعد وطفة، علي جاسم الشهاب، " علم اجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية وظيفتها الاجتماعية"، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، لبنان، 2004.

10- مالك بن نبي، ميلاد مجتمع، ترجمة عبد الصبور شاهين، دمشق، سوريا، 2002.

11- مجدي عزيز إبراهيم، منظومة التربية في الوطن العربي: الواقع الحالي والمستقبل المأمول، عالم الكتب، القاهرة، مصر، 2006.

12- محمد عبده، تقديم مجدي الهلالي، بيوتنا كما يجب أن تكون، مؤسسة اقرأ، ط1، القاهرة، 2006.

13- محمود أحمد طه، الحماية الجنائية للطفل المجني عليه، مركز الدراسات والبحوث، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، السعودية، 1999.

14- محيا زيتون، التعليم في الوطن العربي في ظل العولمة وثقافة السوق، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، لبنان، 2005.

15- مصطفى حجازي، حصار الثقافة، المركز الثقافي العربي، بيروت، لبنان، 1998.

16- هدى محمود الناشف، الأسرة وتربية الطفل، دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، عمان، الأردن، 2007.

17- وجدي محمد بركات، توفيق عبد المنعم توفيق، الأطفال والعوالم الافتراضية... آمال وأخطار، مؤتمر الطفولة في عالم متغير، الجمعية البحرينية لتنمية الطفولة، مملكة البحرين، 18-19 ماي 2009.

18- اليونسكو، من مجتمع المعلومات إلى مجتمع المعرفة، منشورات اليونسكو، فرنسا، 2005.

ب- باللغة الأجنبية:

19- Mattelart. A :Comment résister à la colonisation des esprits?. le Monde diplomatique. AVTIL .1994.

## واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر

### بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

بقلم: أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

#### ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن واقع الممارسة السيكلوجية في المؤسسات التربوية، انطلاقاً من عمل مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني بصفته المختص السيكلوجي الذي يحمل على عاتقه وظيفة الإرشاد المدرسي والمهني وتقديم المساعدة النفسية والتربوية للتلاميذ ضمن المهام الموكلة إليه، وكذا معرفة واقع الممارسة الميدانية الفعلية لتلك المهام ومدى تطبيقها وفقاً لما جاء في النصوص التشريعية، ومن خلال هذه الورقة البحثية سنحاول الإجابة على التساؤل التالي: ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه الواردة في النصوص التشريعية المحددة لعمله؟.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فايزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

### تمهيد:

تعتبر المؤسسة التربوية بمثابة الخزان الذي يزود المجتمع بمختلف الكوادر المؤهلة والمتخصصة، والتي تحمل على عاتقها مسؤولية النهوض بمختلف القطاعات الحيوية وتحقيق التطور والتنمية الاجتماعية، ولاشك أن نجاح المدرسة في تحقيق أهدافها يرتبط بنجاح عملية التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني على اعتبار أن هذه الأخيرة لا تقل أهمية عن عملية التربية ذاتها.

وتهدف عملية التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني، حسب النصوص التشريعية الخاصة بجهاز التوجيه المدرسي والمهني في الجزائر، إلى عقلنة التعليم وتحقيق فعاليته، من خلال ربطه بمتطلبات التنمية من ناحية وبتموحيات الأفراد المتدرسين من ناحية أخرى، والملاحظ أن حقل التوجيه المدرسي والمهني في الجزائر ما انفك يتطور تماشياً والإصلاحات التربوية المتعاقبة للمنظومة التربوية.

ومن المفاهيم التي دخلت حقل التوجيه المدرسي والمهني بالجزائر بعد إصلاح وهيكلية منظومة التربية والتكوين، مفهوم الإرشاد، وهذا استجابة لأهداف المؤسسة التربوية المتمثلة في خدمة كل شرائح المتدرسين الأسوياء منهم وذوي الاحتياجات الخاصة وتوجيه طاقاتهم توجيهاً يلبي احتياجات المجتمع الجزائري التوافق إلى العدالة والديمقراطية<sup>1</sup>.

وتجدر الإشارة إلى أن "رتبة مستشاري التوجيه المدرسي والمهني في طريق الزوال نظراً للتعديلات التي وقعت على جهاز التوجيه والصادرة في النشرة الرسمية لوزارة التربية الوطنية أكتوبر 2008، حيث تقرر استحداث سلك مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني وتحدد المواد 100، 101، 102 من النشرة الرسمية لوزارة التربية الوطنية طبيعة سلك مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني وتحدد مهامه، ويضم هذا السلك رتبة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني ورتبة المستشار الرئيسي للتوجيه المدرسي والمهني"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> فضيلة حناش، محمد بن يحي زكرياء: التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني من منظور إصلاحات التربية الجديدة، سند خاص بالتكوين المتخصص، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2011، ص 10.

<sup>2</sup> فضيلة حناش، محمد بن يحي زكرياء: المرجع السابق، ص 134.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية.....

## 1- الإشكالية:

إن التطور العلمي السريع والثورة التكنولوجية المذهلة فرضت على الإنسان تغيير أساليب حياته وأنماط سلوكه بهدف مسايرة تلك التغيرات ومواكبة كل المستجدات التي فرضت عليه بسبب العولمة الثقافية ومتطلبات العصر الراهن، وكثيرا ما يفشل الفرد في تحقيق التوافق مع مجتمعه وبيئته الخارجية في العديد من مجالات حياته ويحتاج إلى تدخل هيئات معينة وقوى متخصصة لمساعدته على النجاح وتحقيق الصحة النفسية والتوافق مع نفسه وبيئته.

ومن هنا أصبح الإرشاد النفسي كتخصص يهدف إلى تقديم الخدمة النفسية للأفراد والجماعات مطلبا ضروريا يهدف تنمية القوى البشرية في مواجهة الصعوبات التي تعترضهم في حياتهم، لأن بناء الإنسان وتوجيهه التوجيه الجيد يعد من أصعب الأمور إذا ما قيس ببناء المدارس والمشافي، لأن هذا يتطلب الدراسة العلمية الدقيقة والمتكاملة للفرد أو المجتمع بغية الكشف عن حاجاته وقدراته واتجاهاته وميوله، والتعرف على مشكلاته ومساعدته على حلها، وتوجيه نفسه والتصرف بحكمة وبصيرة مستغلا كل إمكانياته الشخصية والبيئية ليصبح فردا منتجا وإيجابيا ومؤثرا في تنمية نفسه ومجتمعه<sup>1</sup>.

وأحوج ما يكون الفرد إلى المساعدة والاستشارة في المجال التربوي والمهني، ويعد مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني الشخص المؤهل لتقديم الخدمة النفسية لفائدة التلاميذ حيث يقوم بعمله في المؤسسات التربوية تحت إشراف مدير مركز التوجيه تقنيا ومدير المؤسسة إداريا، كما تشمل مهامه عدة مجالات أهمها: الإعلام المدرسي، التوجيه والإرشاد، المتابعة والتقويم، وينبغي أن تقدم تلك المهام استنادا إلى النصوص التنظيمية والتشريعية المحددة لمجالات عمله كمستشار للتوجيه، وهذا ما أردنا معرفته من خلال هذه الدراسة التي ترمي إلى الكشف عن مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه وفقا

<sup>1</sup> - رياض نايل العاسمي: المبادئ العامة لعلم النفس الإرشادي، (ط1)، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2012، ص7.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

للنصوص التشريعية، وعليه نطرح التساؤل الرئيسي التالي: ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه الواردة في النصوص التشريعية؟  
وتنبثق عنه أسئلة فرعية متمثلة في:

- 1- ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه الإعلامية؟
  - 2- ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه التوجيهية؟
  - 3- ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه الإرشادية؟
  - 4- ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهمة المتابعة؟
  - 5- ما مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه التقويمية؟
- 2- هدف الدراسة:

الوقوف على مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه (الإعلام، التوجيه، الإرشاد، المتابعة والتقييم)، وذلك حسب النصوص التشريعية المحددة لعمله.  
3- مفاهيم الدراسة:  
1-3- التوجيه والإرشاد:

يعرف التوجيه على أنه "مجموعة من الخدمات النفسية التي تقدم للأفراد في حياتهم العملية، لمساعدتهم على الاختيار الأنسب في كافة المجالات التي تهمهم، كالمجال المهني الأسري والتربوي.

وعرفه محروس الشناوي بأنه: "المساعدة التي تقدم للأفراد، لاختيار ما يناسبهم على أسس سليمة، في المجالات المختلفة في الحياة"<sup>1</sup>.

ويعرف الإرشاد النفسي على أنه: "عملية تهدف إلى مساعدة الفرد الذي يشكو من اضطراب انفعالي اجتماعي لم يبلغ في حدته درجة الاضطراب النفسي أو العقلي على التخلص مما يشكو منه، وبالتالي فإن المرشد النفسي يتعامل مع العاديين من الناس"<sup>2</sup>.

<sup>1</sup> أحمد عبد اللطيف أبو سعد: علم النفس الإرشادي، (ط1)، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011، ص22.

<sup>2</sup> شهير كامل أحمد: التوجيه والإرشاد النفسي، (دط)، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، 2000، ص12، 13.  
دراسات مجلة رؤى للدراسات المعرفية والحضارية 157

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

ويعرف التوجيه والإرشاد النفسي على أنه: "عملية بناءة، تهدف إلى مساعدة الفرد لكي يفهم ذاته ويدرس شخصيته ويعرف خبراته ويحدد مشكلاته وينمي إمكانياته ويحل مشكلاته في ضوء معرفته ورغبته وتعليمه وتدريبه لكي يصل إلى تحديد وتحقيق أهدافه وتحقيق الصحة النفسية والتوافق شخصيا وتربويا ومهنيا وأسريا وزوجيا"<sup>1</sup>.

وكما أن التوجيه والإرشاد علم له جذوره وامتداداته العلمية، كذلك فهو فن، لأنه يتطلب معرفة في طرق تطبيقية، ودراية في الاستفادة من تقنياته وعلومه، وهذا يتطلب الاستفادة من الوقت، والإمكانيات المتوفرة للموجه والمرشد، والأجهزة، والأمكنة التي يتم فيها التوجيه والإرشاد<sup>2</sup>.

أما التوجيه ك مجال عمل مستشار التوجيه بالعمل الميداني . فهو عبارة عن مجمل النشاطات التربوية التي يقوم بها المستشار، بهدف الوصول إلى توجيه التلاميذ إلى مختلف الجذوع المشتركة توجيها علميا وموضوعيا يتماشى وقدراتهم وكفاءتهم<sup>3</sup>.

إذن يتضح لنا من التعاريف السابقة أن التوجيه والإرشاد عبارة عن عملية منظمة وذات أسس علمية تقدم في شكل خدمات أو نشاطات ترمي كلها إلى مساعدة الأفراد على النجاح وتحقيق التوافق في كافة المجالات.

### 2-3-2- مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني:

مستشار التوجيه المدرسي والمهني هو ذلك المورد البشري الذي أسندت إليه مجموعة من المهام (الإعلام-التوجيه-التقويم-المتابعة النفسية والاجتماعية للتلميذ)، حيث يؤدي هذه المهام في إطار مكاني وزماني محدد وذلك من أجل مساعدة التلميذ على بناء مشروعه الدراسي

<sup>1</sup> - حامد عبد السلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، (ط2)، القاهرة: عالم الكتب، مصر، 1980، ص11.

<sup>2</sup> - عمار زغينة: "التوجيه المدرسي والجامعي والتحصيل وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية"، رسالة دكتوراه علوم، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005، ص45.

<sup>3</sup> - عبد الله لبوز، إسماعيل الأعور: ضغوط وعراقيل أداء مستشار التوجيه لمهامه في المقاطعة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (عدد خاص)، الملتقى الدولي حول المعاناة في العمل، ص262.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

والمهني وفق أسس علمية تعتمد على تحليل ميولات واستعدادات التلميذ من جهة، ومتطلبات الواقع المدرسي والمهني من جهة أخرى<sup>1</sup>.

ويعرف أيضا على أنه: "هو الشخص الذي يقدم المساعدة والمشورة للطلاب بخصوص القرارات الشخصية والتعليمية"<sup>2</sup>.

ويعرف مستشار التوجيه في الجزائر على أنه: "أحد موظفي قطاع التربية والتعليم، يسهر على تنفيذ برنامج التوجيه المدرسي المسطر من طرف مديرية التقويم والتوجيه والاتصال، وهي أحد هيكل وزارة التربية الوطنية"<sup>3</sup>.

وعليه يمكننا تعريف مستشار التوجيه بأنه: الشخص المسؤول عن عملية التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني و المؤهل لتقديم الخدمات النفسية والتربوية للتلاميذ قصد مساعدتهم على تحقيق النجاح والتوافق نفسيا، تربويا ومهنيا.

### 3-3- مهام المستشار حسب النصوص التشريعية:

تتلخص نشاطاته في خمسة مهام أساسية متمثلة في: الإعلام المدرسي، التوجيه، الإرشاد، المتابعة والتقييم، ومع تنصيب المدرسة الأساسية تدعم التعليم والتكوين بإصدار نصوص تشريعية تنظم بموجها جهاز التوجيه المدرسي والمهني، فقد أفردت أمرية 16 أفريل 1976 بابا كاملا للتوجيه المدرسي والمهني، أما القرار رقم 827 فقد حدد مهام المستشارين والمستشارين الرئيسيين في التوجيه المدرسي والمهني بصورة أكثر إجرائية كالآتي:

المادة: 06: يكلف مستشار التوجيه المدرسي والمهني بجميع الأعمال المرتبطة بتوجيه التلاميذ وإعلامهم ومتابعة عملهم المدرسي.

<sup>1</sup> - صونية براهيمية: "تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي والمهني"، مذكرة ماجستير (غ م)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006، ص 8.

<sup>2</sup> - Merriam— Webster: **guidance counselor**, www.google.com.

<sup>3</sup> - Dalilsud.blogspot.com:

"مهام وأنواع أطر التوجيه المدرسي في المؤسسات التربوية بالجزائر"، الإعلام المدرسي والجامعي والمهني، أفاق دراسية ومهنية، يونيو 2016.



أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية.....

**المادة: 07:** يقوم مستشار التوجيه المدرسي والمهني بالدراسات والاستقصاءات في مؤسسات التكوين وعالم الشغل.

**المادة: 08:** يساهم مستشار التوجيه المدرسي والمهني في تحليل المضامين والوسائل التعليمية، كما يمكن أن يكلف بإجراء الدراسات والاستقصاءات في إطار تقويم مردود المنظومة التربوية وتحسينه.

**المادة: 13:** تتمثل نشاطات مستشار التوجيه المدرسي والمهني في مجال التوجيه خصوصا فيما يلي:

- القيام بالإرشاد النفسي والتربوي قصد مساعدة التلاميذ على التكيف مع النشاط التربوي.
- إجراء الفحوص النفسية الضرورية قصد التكفل بالتلاميذ الذين يعانون من مشاكل خاصة.

- المساهمة في عملية استكشاف التلاميذ المتخلفين مدرسيا والمشاركة في تنظيم التعليم المكيف ودروس الاستدراك وتقييمها.

**المادة: 14:** تتمثل نشاطات مستشار التوجيه المدرسي والمهني في مجال الإعلام خاصة فيما يلي:

- ضمان سيولة الإعلام وتنمية الاتصال داخل مؤسسات التعليم وإقامة مناوبات بغرض استقبال التلاميذ والأولياء والأساتذة.

- تنشيط حصص إعلامية جماعية وتنظيم لقاءات بين التلاميذ والأولياء والمتعاملين المهنيين طبقا لبرنامجهم بالتعاون مع مدير المؤسسة المعنية.
- تنظيم حملات إعلامية حول الدراسة والحرف والمنافذ المهنية المتوفرة في عالم الشغل.
- تنشيط مكتب الإعلام والتوثيق في المؤسسات التعليمية بالاستعانة بالأساتذة ومساعدي التربية وتزويده بالوثائق التربوية قصد توفير الإعلام الكافي للتلاميذ.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

**المادة: 16:** يشارك مستشار التوجيه المدرسي والمهني في مجالس الأقسام بصفة استشارية ويقدم أثناء انعقادها كل المعلومات المستخلصة من متابعة المسار المدرسي للتلاميذ قصد تحسين ظروف عملهم والحد من التسرب المدرسي<sup>1</sup>.

يتضح لنا من خلال القرار رقم: 827 المحدد لمهام مستشاري التوجيه أن كل مادة ركزت على مهمة معينة باستثناء المادة رقم: 06 التي جاءت شاملة لجميع الأعمال التوجيهية، الإعلامية والمتابعة، حيث ركزت المادة رقم: 07 على الاستقصاءات في مؤسسات التكوين وعالم الشغل، أما المادة رقم: 08 فقد وضحت ضرورة مساهمة مستشار التوجيه في تقويم مردود المنظومة التربوية وتحسينه، في حين انفردت المادة: 13 بتوضيح نشاطات المستشار في مجالي التوجيه والإرشاد، أما المادة رقم: 14 فقد ركزت على النشاطات الخاصة بمجال الإعلام، كما أشارت المادة رقم: 16 إلى مهمة متابعة مستشار التوجيه للمسار المدرسي للتلاميذ.

#### 4- الدراسات السابقة:

##### 1-4- دراسة تينيسون Tennyson (1989):

وهي تعتبر دراسة مسحية قام بانجازها تحت عنوان " موجّهوا المرحلة الثانوية ماذا: يعملون؟ ماهو المهم؟"، حيث هدفت هذه الدراسة إلى معرفة أدوار الموجّهين داخل المؤسسات التربوية وشملت عيّنة الدراسة 155 مستشار توجيهي موزعين على العديد من الثانويات بمدينة منيسوتا Minnysota بالولايات المتحدة الأمريكية، فكانت من نتائج هذه الدراسة ما يلي:

1- هناك علاقة محدودة بين الكيفية التي يدرك بها الموجّهون أدوارهم وتوقعات البرنامج التوجيهي المدرسي لدور الموجّه.

2- إنّ الموجّه لا يستطيع أن يقوم بدوره كما ينبغي بسبب تزايد الحاجة إلى خدمات التوجيه من جهة وكثرة عدد التلاميذ من جهة أخرى.

<sup>1</sup> - وزارة التربية الوطنية: القرار رقم 827، مهام المستشارين والمستشارين الرئيسيين في التوجيه المدرسي والمهني، الجزائر، 13 نوفمبر 1991.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

3- اقتراح آلية التوجيه الجمعي حتى يتمكن الموجه من تلبية أو تحقيق الاحتياجات التي لا تتحقق عن طريق التوجيه الفردي.

#### 2-4- دراسة روزنفيلد، Rosenfield ونيلسون Nilson (1996):

أنجزت هذه الدراسة بهدف تقييم دور مستشار التوجيه في النقاط التالية:  
- فيما يخص اتخاذ القرارات المدرسية المناسبة لاسيما ما يتعلق الأمر بالتلاميذ.  
- وضع خطط التدخل في الظروف المدرسية المختلفة.  
- قدرته على تقييم نتائج الأعمال التي يقوم بها داخل المؤسسة، ومن نتائج ما توصلت إليه هذه الدراسة ما يلي:

مستشاري التوجيه يقومون على تحقيق هذه الأهداف بدرجة عالية لكن أساليب التقييم المعتمدة لديهم تحتاج إلى تطوير<sup>1</sup>.

#### 3-3- دراسة صونية براهيمية (2006):

بعنوان "تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي والمهني"، وهدفت إلى معرفة تأثير الظروف المادية والتنظيمية والعلائقية على أداء المستشار، وعن طريق المسح الشامل بمدينة قلمة وسوق أهراس شملت الدراسة 37 مستشارا ومن نتائج ما توصلت إليه الدراسة:  
- تأثير الظروف المادية كنقص المواصلات وبعد المسافة على مهام المستشار خاصة مهمتي الإعلام والمتابعة النفسية والاجتماعية، كذلك نقص تجهيزات المكتب وانعدام ساعات الفراغ الخاصة بالتلاميذ وبالتالي صعوبة التكفل بهم.

- تأثير الأطر التنظيمية على تأدية المستشار لمهامه خاصة ثقل الأعباء الإدارية والنظام الداخلي الذي يمنع التلاميذ من الاتصال بالجنح الإداري، إضافة إلى الخريطة المدرسية التي تحدد عدد المقاعد البيداغوجية للتلاميذ في كل شعبة وبالتالي تؤثر على مهمة التوجيه الخاصة بالمستشار.

<sup>1</sup> - ساسي بوشريط: "دوافع طلب الاستشارة النفسية في الممارسة التربوية"، مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012، ص 45، 46.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

- أما بالنسبة للجانب العلائقي فالتلميذ لا يأخذ حصص الإعلام محمل الجد ولا يركز مع المستشار على اعتبار أن حصص الإعلام غير رسمية<sup>1</sup>.

من خلال ما سبق نلاحظ أن الدراسات السابقة تشابهت مع الدراسة الحالية في اهتمامها بعينة مستشاري التوجيه، لكن اختلفت كل واحدة منها بتركيزها على جانب معين، حيث هدفت دراسة تنيسون إلى معرفة أدوار الموجهين داخل المؤسسات التربوية، أما دراسة روزنفيلد فسعت إلى تقييم دور مستشار التوجيه في ضوء نتائج الأعمال التي يقوم بها، في حين هدفت دراسة صونية براهيمية إلى معرفة تأثير الظروف المادية والتنظيمية والعلائقية على أداء المستشار. وجاءت الدراسة الحالية بهدف معرفة مدى ممارسة مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامه حسب النصوص التشريعية المحددة لعمله.

#### 5- الإجراءات الميدانية:

1-5- منهج الدراسة: اعتمدت الدراسة الحالية على المنهج الوصفي الذي اعتمدنا من خلاله على تحليل المهام التي يقوم بها المستشار في ضوء النصوص التشريعية والتأكد من درجة ممارسته لتلك المهام.

2-5- أداة الدراسة: تم بناء استمارة لجمع المعلومات اشتملت على مجموعة من المحاور متعلقة بمهام المستشار وكل محور ضم بنودا خاصة بالنشاطات الإجرائية لتلك المهام. ولحساب الخصائص السيكمومترية للأداة تم قياس الثبات اعتمادا على معامل ألفا كرومباخ حيث بلغ: 0,83، ولوجود ارتباط بين الصدق والثبات تم التأكد من صدق الأداة بحساب الصدق الذاتي الذي بلغ 0,91.

واشتملت أداة الدراسة في صورتها النهائية على 42 عبارة موزعة على خمسة محاور رئيسية تمثل مهام المستشار، واعتمدنا في معرفة درجة الممارسة لتلك المهام على مقياس ضم خمسة بدائل هي: (كبيرة جدا، كبيرة، متوسطة، قليلة، قليلة جدا)، ويتم جمع التكرارات الخاصة

<sup>1</sup> - صونية براهيمية: تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي والمهني، مذكرة ماجستير، المرجع السابق، ملخص بتصريف.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

بالمهمة الفرعية والمهام الرئيسية استنادا إلى آراء مستشاري التوجيه، وفيما يلي جدول يوضح  
محتوى أداة الدراسة:

الرقم	المهام الرئيسية	العبارات
1	الإعلام	33،13،9،8،7،4،3،2،1
2	التوجيه	42،40،39،36،32،12،11،10،6،5
3	الإرشاد	23،22،21،20،19،18،17،16،15،14
4	المتابعة	37،31،30،29،28،27،26،24
5	التقويم	41،38،35،34،25

#### جدول رقم (01) يوضح مضمون أداة الدراسة

3-5- عينة الدراسة: تم انتقاء 25 مستشارا كعينة للدراسة الحالية بطريقة قصدية، من  
المستشارين المنتمين لمركز التوجيه المدرسي والمهني بمدينة سطيف، وتم استرجاع  
19 استمارة، حيث بلغت عينة الدراسة الحالية 19 مستشارا.

4-5- المعالجة الإحصائية: لمعالجة بيانات تطبيق أداة الدراسة تم استخدام الأساليب  
الإحصائية المتمثلة في:

الوسط المرجح للمهمة الفرعية = مجموع تكرارات التي حصلت عليها المهمة - عدد  
المستجيبين.

الوسط المرجح للمهمة الرئيسية = مجموع التكرارات التي حصلت عليها المهمة الرئيسية - عدد  
المهام الفرعية x عدد المستجيبين

الوزن المثوي = الوسط المرجح x 100 - القيمة القصوى.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

الوزن المئوي	الوسط المرجح	درجة ممارسة المهمة
0.20 . أقل من 0.36	من 1 إلى أقل من 1.80	قليلة جدا
0.36 . أقل من 0.52	من 1.80 إلى أقل من 2.60	قليلة
0.52 . أقل من 0.68	من 2.60 إلى أقل من 3.40	متوسطة
0.68 . أقل من 0.84	من 3.40 إلى أقل من 4.20	كبيرة
0.84 . أقل من 100	من 4.20 إلى 5	كبيرة جدا

#### جدول رقم (02) يوضح تقدير الأوساط المرجحة والأوزان المئوية

#### 6- نتائج الدراسة:

بعد جمع تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهام التوجيه والإرشاد المدرسي ومعالجتها إحصائيا تم التوصل إلى النتائج التالية:

#### 1.6- النتائج المتعلقة بدرجة تقدير المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة الإعلام:

الوزن النسبي	الوسط المرجح	مهام المستشار المتعلقة بالإعلام
61.05	3.05	1- أفيد التلاميذ بمعلومات عن منافذ التكوين المهني المتوفرة
86.31	4.31	2- أستفسر عن مدى استفادتهم عن المعلومة المقدمة في الحصص الإعلامية
41.05	2.05	3- أعقد لقاءات مع أوليائهم لتعريفهم بأوضاع الدراسة
40.2	2.10	4- أنهي روح الاستعلام الذاتي لدى التلاميذ
88.42	4.42	5- أنشط عدد من الحصص واللقاءات الإعلامية
37.8	1.98	6- أقوم بزيارات ميدانية إلى المؤسسات التربوية التكوينية والصناعية
47.2	2.36	7- أنشط محاضرات إعلامية
62.10	3.10	8- أوفر للتلاميذ منشورات وكتيبات حول مختلف التخصصات الدراسية .
92.63	4.63	9- أقوم بتحسيس التلاميذ من خطر التسرب المدرسي
68.6	3.44	التقدير الكلي

#### جدول رقم (03) يوضح تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة الإعلام

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

يتضح من بيانات الجدول أن الأوساط المرجحة المتعلقة بدرجة ممارسة المستشارين للمهام المتعلقة بالإعلام تقع بين حد أدنى يقدر بـ 1.98 وبوزن مئوي يقدر بـ 37.8 وحد أعلى يقدر بـ 4.63 وبوزن مئوي يقدر بـ 92.63 وهذا يعني أن هذه المهام تقع بين درجة ممارسة قليلة وكبيرة جدا.

## 2-6- النتائج المتعلقة بدرجة تقدير المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة التوجيه:

الوزن النسبي	الوسط المرجح	مهام المستشار المتعلقة بالتوجيه
93.6	4.68	1- أزودهم بمعلومات عن التخصصات الدراسية الموجودة
93.6	4.68	2- أعرفهم بأهمية الجذوع المشتركة
97.8	4.89	3- أبصرهم بأهمية النجاح في الدراسة
87.2	4.36	4- أوضح لهم فرص العمل المتاحة بعد النجاح في التخصص
89.4	4.47	5- أشرح لهم إجراءات عملية الطعن
58.94	2.94	6- أنمي في التلاميذ روح المواطنة
77.89	3.89	7- أطبق استبيان الحوافز والاهتمامات
88.42	4.42	8- أعمل على الوصول بالتلميذ إلى وضع تصور واضح عن مشروعه المستقبلي
90.52	4.52	9- أساعد التلاميذ على تحقيق التوازن والميول والإمكانيات
93.68	4.68	10- أقدم خدمات توجيهية للتلاميذ
87.78	4.38	التقدير الكلي

## جدول رقم (04) يوضح تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة التوجيه

تشير بيانات الجدول أن الأوساط المرجحة المتعلقة بدرجة ممارسة المستشارين للمهام المتعلقة بالتوجيه تقع بين حد أدنى يقدر بـ 2.94 وبوزن مئوي يقدر بـ 58.94 وحد أعلى يقدر بـ 4.89 وبوزن مئوي يقدر بـ 97.8 وهذا يعني أن هذه المهام تقع بين درجة ممارسة متوسطة وكبيرة جدا.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

### 3.6- النتائج المتعلقة بدرجة تقدير المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة الإرشاد:

الوزن النسبي	الوسط المرجح	مهام المستشار المتعلقة بالإرشاد
87.36	4.36	1- أقوم بحصص إرشادية قصد مساعدة التلاميذ على التكيف مع النشاط التربوي
81.05	4.05	2- أقوم بحصص إرشادية لمساعدتهم على التغلب على مشكلاتهم النفسية
83.15	4.15	3- أحثهم على الانضباط والالتزام باللوائح الداخلية للمؤسسة التربوية
95.87	4.87	4- أحث التلاميذ على المثابرة والاجتهاد
61.05	3.05	5- أحفزهم على الاستفادة من برنامج الإرشاد النفسي المتواجد في المؤسسة
83.15	4.15	6- أقدم لهم حصص إرشادية بهدف تحسين علاقاتهم مع الأساتذة
83.15	4.15	7- أقدم لهم حصص إرشادية بهدف تحسين علاقاتهم مع زملائهم
76.8	3.84	8- أقدم لهم حصص إرشادية بهدف تحسين علاقاتهم مع الإدارة
90.52	4.52	9- أساعدهم على تحقيق التوافق النفسي والدراسي
90.52	4.52	10- أساعد التلميذ على تجاوز مشكلاته النفسية التي تعرقل مساره الدراسي
83.32	4.16	التقدير الكلي

### جدول رقم (05) يوضح تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة الإرشاد

يتبين من بيانات الجدول أن الأوساط المرجحة المتعلقة بدرجة ممارسة المستشارين للمهام المتعلقة بالإرشاد تقع بين حد أدنى يقدر بـ 3.05 وبوزن مئوي يقدر بـ 61.05 وحد أعلى يقدر بـ 4.87 وبوزن مئوي يقدر بـ 95.8 وهذا يعني أن هذه المهام تقع بين درجة ممارسة متوسطة وكبيرة جدا.



أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

#### 4.6 - النتائج المتعلقة بدرجة تقدير المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة المتابعة:

الوزن النسبي	الوسط المرجح	مهام المستشار المتعلقة بالمتابعة
53.68	2.68	1- أتابع الأنشطة التربوية التي يقومون بها
85.26	4.26	2- أتابع مشكلات التلاميذ الذين يعانون من صعوبات دراسية
87.36	4.36	3- أتابع نتائج التقويم التربوي
56.84	2.84	4- أتابع بطريقة مستمرة عملية الاستدراك
61.05	3.05	5- أتابع نتائج الاختبارات في مؤسستهم السابقة لغرض تحليلها
87.36	4.36	6- أتابع مدى تقدم حالات التلاميذ الذين يعانون من مشكلات انفعالية (نفسية)
63.15	3.15	7- أشرح لهم نتائج تطبيق استبيان الحوافز والاهتمامات
70.57	3.52	التقدير الكلي

جدول رقم (06) يوضح تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة المتابعة يتضح من بيانات الجدول أن الأوساط المرجحة المتعلقة بدرجة ممارسة المستشارين للمهام المتعلقة بالمتابعة تقع بين حد أدنى يقدر بـ 2.68 وبوزن مثوي يقدر بـ 53.68 بـ وحد أعلى يقدر بـ 4.36 وبوزن مثوي يقدر بـ 87.36 وهذا يعني أن هذه المهام تقع بين درجة ممارسة متوسطة وكبيرة جدا.

#### 5.6 - النتائج المتعلقة بدرجة تقدير المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة التقويم:

الوزن النسبي	الوسط المرجح	مهام المستشار المتعلقة بالتقويم
68.42	3.42	1- أحاورهم حول مدى ملائمة أسئلة الاختبارات للمحتوى الدراسي
91.57	4.57	2- أطلع على نتائجهم لتقويم مردودهم الدراسي
99.6	4.63	3- أقوم بتحليل النتائج المدرسية حسب الفصول
74.73	3.73	4- أقوم بالحالات الغير متكيفة مع المحيط المدرسي
88.42	4.42	5- أساهم في اقتراح الخرائط التربوية وفق ملامح التلاميذ
83.08	4,15	التقدير الكلي

#### جدول رقم (07) يوضح تقديرات المستشارين لدرجة ممارستهم لمهمة التقويم

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

تشير بيانات الجدول أن الأوساط المرجحة المتعلقة بدرجة ممارسة المستشارين للمهام المتعلقة بالتقويم تقع بين حد أدنى يقدر بـ 3.42 وبوزن مئوي يقدر بـ 68.42 وحد أعلى يقدر بـ 4.63 وبوزن مئوي يقدر بـ 99.6 وهذا يعني أن هذه المهام تقع بين درجة ممارسة كبيرة وكبيرة جدا.

#### 7. مناقشة نتائج الدراسة:

من خلال النتائج المتوصل إليها حول درجة ممارسة مستشار التوجيه لمهامه، تشير النتائج المبينة في الجدول رقم (3) إلى درجة ممارسة كبيرة لمهمة الإعلام باتفاق عينة البحث، حيث بلغ الوسط المرجح 3.44 والوزن المئوي 68.6، وسجلت أقل درجة في ممارسة المهام الإعلامية فيما يتعلق بزيارة المؤسسات التربوية، التكوينية والصناعية حيث بلغ الوزن المئوي 37.8 وهي درجة أقل من المتوسط، وبالتالي تتنافى هذه النتيجة مع المادة رقم 7 من القرار رقم 827 والتي تنص على قيام مستشار التوجيه المدرسي والمهني بالدراسات والاستقصاءات في مؤسسات التكوين وعالم الشغل، وربما يرجع عدم اهتمام مستشاري التوجيه بزيارة المؤسسات التكوينية والصناعية إلى كثرة الأعباء والمهام الإدارية التي يقومون بها. وتلهم المهمة المرتبطة بتنمية روح الاستعلام الذاتي لدى التلاميذ حيث بلغ الوزن المئوي 40.2، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (صونية براهيمية، 2006) والتي أكدت أن الظروف المادية تؤثر على مهمة الإعلام كنقص المواصلات وبعد المسافة بين المؤسسات التابعة لمقاطعة عمل المستشار خاصة بالنسبة للمناطق النائية، وهذا بدوره يؤثر على مهمة المتابعة النفسية والبيداغوجية، أما بالنسبة للجانب العلائقي فالتلميذ لا يأخذ حصص الإعلام محمل الجد ولا يركز مع المستشار على اعتبار أن حصص الإعلام غير رسمية وبالتالي فإن مستشاري التوجيه لا يهتمون كثيرا بتنمية روح الاستعلام الذاتي حسب ما أكدته الدراسة الحالية.

أما بالنسبة لمهمة التوجيه والتي تعتبر المهمة الرئيسية ضمن مهام المستشار، فقد بلغت الممارسة درجة كبيرة جدا، حيث قدر الوسط المرجح بـ 4.83 ووصل الوزن المئوي إلى 87.78 وهي أعلى قيمة مسجلة في الدراسة الحالية مقارنة ببقية المهام الأخرى، وهذا يدل على حرص مستشاري التوجيه على ممارسة هذه المهمة على أكمل وجه والتقيد بما جاء في

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

النصوص التشريعية، خاصة ما ورد في المادة رقم 13 من القرار رقم 827 الخاص بمهمة التوجيه، وتختلف هذه النتيجة مع دراسة (تنيسون، 1989) والتي أكدت أن الموجّه لا يستطيع أن يقوم بدوره كما ينبغي بسبب تزايد الحاجة إلى خدمات التوجيه من جهة وكثرة عدد التلاميذ من جهة أخرى، كما اقترحت آلية للتوجيه الجمعي حتى يتمكن الموجّه من تلبية أو تحقيق الاحتياجات التي لا تتحقق عن طريق التوجيه الفردي، وقد يعود الاختلاف في نتائج الدراسة الحالية مع دراسة تنيسون إلى الفارق الزمني بين إجراء الدراستين، حيث ازداد الاهتمام بالممارسات السيكلوجية في المؤسسات التربوية في الوقت الراهن نظرا لأهميتها، وهذا يشمل طبعا القائمين بالتوجيه حيث أصبحت أدوارهم أكثر وضوحا في ظل النصوص التشريعية والتنظيمية المحددة لمهامهم.

وفي ضوء الإصلاحات الجديدة في الجزائر تم إدراج مهمة الإرشاد كمهمة رسمية تغير على إثرها اسم المستشار إلى مستشار التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني، حيث بينت نتائج الدراسة الحالية درجة ممارسة كبيرة لجميع المهام الفرعية الخاصة بالإرشاد وانعكس هذا على التقدير الكلي حيث بلغت قيمة الوسط المرجح 4.16 و وصل الوزن المتوي 83.32، وعليه تؤكد النتائج على مواكبة مستشار التوجيه للتطورات الجديدة في مهامه والواردة في الإصلاحات الأخيرة، وحرصه على تأدية مهامه المشروعة، هذا وبالنسبة لمهمة المتابعة فقد أكد مستشارو التوجيه على درجة ممارسة كبيرة، حيث بلغ الوسط المرجح 3.52 ووصلت درجة الوزن المتوي إلى 70.57، وهذا يبين سعي المستشارين إلى ممارسة مهمة المتابعة والتفديد بما ورد في النصوص التشريعية لاسيما في المادة رقم 16 من القرار المذكور آنفا.

أما عملية التقويم فقد أكد المستشارون قيامهم بهذه المهمة بدرجة ممارسة كبيرة حيث بلغ الوسط المرجح 4.15 والوزن المتوي 83.08، وتجسد درجة الممارسة ما ورد في المادة رقم 8 من نفس القرار المحدد لمهام المستشار.

إذن من خلال ما سبق، يمكننا القول أن درجة ممارسة مستشار التوجيه لمهامه (الإعلامية، التوجيهية، الإرشادية، المتابعة والتقييم) تراوحت بين درجتي كبيرة وكبيرة جدا، وعليه نجيب على التساؤل المحوري للدراسة، ونؤكد على قيام مستشار التوجيه بمهامه الواردة

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

في النصوص التشريعية المحددة لعمله، وبدرجة كبيرة، وتتفق هذه النتيجة مع دراسة (روزنفيلد، ونيلسون، 1996)، والتي أكدت على قيام مستشاري التوجيه بتحقيق أهدافهم المسطرة بدرجة عالية.

#### خاتمة:

توصلت هذه الدراسة والتي هدفت إلى الكشف عن مدى ممارسة مستشاري التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني لمهامهم المحددة في النصوص التشريعية إلى درجة ممارسة كبيرة لتلك المهام، وهذا ما يؤكد حرص المستشارين على تأدية مهامهم على أكمل وجه وتنفيذ ما ورد في النصوص التشريعية رغم ما يكتنف عملهم من صعوبات، كما بينت الدراسة واقع وأهمية الممارسة السيكلوجية في الجزائر خاصة ما يتعلق بالجوانب التربوية والمهنية، والاهتمام بمخرجات العملية التربوية من خلال الاهتمام بالتلميذ ومنحه أقصى درجة من الرعاية والتكفل النفسي والبيداغوجي، ناهيك عن منح الأهمية والثقة للقائمين بالتكفل من خلال الاهتمام بسلك مستشاري التوجيه وتحديث النصوص التشريعية الخاصة بهم مواكبة للإصلاح الشامل وللتغيرات الجديدة في المنظومة التربوية.

#### \* قائمة المراجع:

##### أ- باللغة العربية:

- 1- أحمد عبد اللطيف أبو سعدي: علم النفس الإرشادي، (ط1)، الأردن: دار المسيرة للنشر والتوزيع والطباعة، 2011.
- 2- حامد عبد السلام زهران: التوجيه والإرشاد النفسي، (ط2)، القاهرة: عالم الكتب، مصر، 1980.
- 3- رياض نايل العاسمي: المبادئ العامة لعلم النفس الإرشادي، (ط1)، الأردن: دار الشروق للنشر والتوزيع، 2012.
- 4- ساسي بوشريط: "دوافع طلب الاستشارة النفسية في الممارسة التربوية"، مذكرة ماجستير في علم النفس المدرسي، جامعة باجي مختار، عنابة، 2012.

أ. لبنى بن دعيمة / د. فائزة يسعد..... واقع التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني في الجزائر  
بين النصوص التشريعية والممارسة الميدانية

- 5- سهير كامل أحمد: التوجيه والإرشاد النفسي، (دط)، مصر: مركز الإسكندرية للكتاب، 2000.
- 6- صونية براهيمية: "تأثير الوضعية المهنية على أداء مستشار التوجيه المدرسي والمهني"، مذكرة ماجستير (غ م)، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2006.
- 7- عبد الله لبوز، إسماعيل الأعور: ضغوط وعراقيل أداء مستشار التوجيه لمهامه في المقاطعة، مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، (عدد خاص)، الملتقى الدولي حول المعاناة في العمل.
- 8- عمار زغينة: "التوجيه المدرسي والجامعي والتحصيل وعلاقته بأساليب المعاملة الوالدية"، رسالة دكتوراه علوم، جامعة الإخوة منتوري، قسنطينة، 2005.
- 9- فضيلة حناش، محمد بن يحي زكرياء: التوجيه والإرشاد المدرسي والمهني من منظور إصلاحات التربية الجديدة، سند خاص بالتكوين المتخصص، وزارة التربية الوطنية، الجزائر، 2011.
- 10- "مهام وأنواع أطر التوجيه المدرسي في المؤسسات التربوية بالجزائر"، الإعلام المدرسي والجامعي والمهني، آفاق دراسية ومهنية، يونيو 2016.
- 11- وزارة التربية الوطنية: القرار رقم 827، مهام المستشارين والمستشارين الرئيسيين في التوجيه المدرسي والمهني، الجزائر، 13 نوفمبر 1991.

ب- باللغة الأجنبية:

12- Merriam .Webster: **guidance counselor**, www.google.com.

## علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك

### الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

بقلم: د. لخضر بوطبة

جامعة محمد لمين دباغين سطيف 2

#### ملخص:

مما لا شك فيه أن الأمير عبد القادر كان محارباً شرساً كما كان سياسياً محنكاً وقائداً عسكرياً فذاً، ولعل احترافيته في المجالين العسكري والدبلوماسي جعلت القادة الفرنسيين الذين كانوا يواجهونه يحترمونه ويقدرونه إيماً تقدير، ويحسبون له ألف حساب، فقد أخلط أوراقهم وأفسد مخططاتهم في العديد من المرات، فأدركوا أنهم يتعاملون مع رجل بارع، فكانوا يتوخون الحيطة والحذر في التعامل معه. وكان للأمير عبد القادر أهدافه الاستراتيجية كما كان للفرنسيين أهدافهم، من وراء عقدتهم معاهدتي ديميشال والتافنة<sup>1</sup>، فاغتتم الأمير عبد القادر الفرصة لتنظيم دولته وإعادة ترتيب البيت، فأجرى اتصالات عديدة مع زعماء القبائل وشيوخ الأسر الكبيرة التي كانت تتمتع بنفوذ كبير وتتحكم في مناطق واسعة من بايلك الشرق الجزائري. تعتبر أسرة المقراني من أبرز الأسر التي سعى الأمير عبد القادر إلى التقرب منها قصد الاستفادة من قوتها ونفوذها.

في 26 فبراير 1834، بين الأمير والجنرال الفرنسي ديميشال الذي Desmichels - انعقدت معاهدة ديميشال<sup>1</sup>

حملت المعاهدة اسمه.

ومعاهدة التافنة في 30 ماي 1837 بوادي التافنة بالقرب من تلمسان. مع الجنرال بيجو.

لمزيد من التفاصيل راجع، هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله،

ش و ن ت، الجزائر، 1982.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

#### تمهيد:

تعد أسرة أولاد مقران من أهم تلك الأسر التي كانت تتمتع بنفوذ كبير في ظل الحكم العثماني والمرحلة الأولى من الاحتلال الفرنسي. وعندما تعرضت الجزائر للحملة الفرنسية التي أطاحت بالحكم العثماني في الجزائر كانت أسرة أولاد مقران تعاني الانقسام والتمزق، بسبب صراع شيوخها على الحكم، ذلك الصراع الذي استغله الحكام العثمانيين ومن بعدهم الفرنسيين في إضعاف الأسرة والقضاء عليها وفق مبدأ فرق تسد، ومن المؤكد أن الأمير عبد القادر لم يكن يخفى عليه الوضع الذي آلت إليه أسرة أولاد مقران، وكان يدرك أنه على الرغم من الصراع والانقسام الذي كانت تمر به الأسرة إلا أنها لا تزال تتمتع بسمعة كبيرة وبنفوذ وسلطة لدى سكان المنطقة المترامية الأطراف التي كانت تابعة لحكم الأسرة، فكان يدرك النتائج التي يمكن أن تترتب عن انضمام شيوخ الأسرة إلى منطقة نفوذه ومن ثمة تعزيز قوته واتساع نطاق دولته الناشئة.

سنحاول من خلال هذا المقال التطرق إلى علاقة الأمير عبد القادر بأسرة أولاد مقران، واتصالاته بشيوخها، وموقف هذه الأخيرة من الأمير، وهل أدى ظهور الأمير في المنطقة إلى اتحاد الأسرة أم زاد من حدة النزاع والخلاف بين شيوخها، وهل سعى الأمير عبد القادر إلى الإصلاح بين شيوخها أم ساهم في ازدياد الفرقة والشقاق فيما بينهم؟، وهل كان لعلاقة شيوخ الأسرة بأحمد باي تأثير على علاقة الأمير بهم؟

وقبل الخوض في الموضوع تجدر الإشارة إلى الدور الذي لعبته الأسر المحلية في بايلك الشرق الجزائري في تكريس الحكم العثماني، منذ ظهور الأتراك العثمانيين في شمال إفريقيا في مطلع القرن السادس عشر الميلادي، حيث تشير المصادر إلى أن الإخوة بربروس (إسحاق وعروج وخير الدين)<sup>1</sup>، كان أول من اتصلوا به المرابطين (رجال الدين) والعائلات الكبيرة، من أجل تنفيذ مشروعهم الرامي إلى تطهير السواحل الجزائرية من الغزاة الإسبان في إطار الجهاد المنظم حينئذ ضد الكفار المعتدين. فانعقد التحالف الذي استمر طوال فترة الحكم العثماني بين السلطة العثمانية وهذه الأسر، وكانت أسرة بن القاضي في جرجرة أولى الأسر المحلية التي تحالفت مع

<sup>1</sup> - كان الإخوة بربروس أربعة: إلياس وعروج وخير الدين وإسحاق، أبوهم يعقوب وأمههم نصرانية اعتنقت الإسلام، وهم من جزير ميدي، كانوا في البداية يشتغلون في التجارة وكان والدهم صانع الفخار، ثم تحولوا إلى مجاهدين متخذين من البحر ميداناً لنشاطهم ضد القراصنة المسيحيين. لمزيد من التفاصيل أنظر: مجهول المؤلف: غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934. أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، بدون تاريخ

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

العثمانيين<sup>1</sup>، والملاحظة التي يجب التنبيه لها قد هي أن الحكم العثماني في الجزائر قام أساساً على الدور الذي لعبته هذه الأسر وكذا بعض الشيوخ الدينيين<sup>2</sup> في تمكين العثمانيين من تأسيس دولة حديثة استمرت لمدة ثلاثة قرون وعشر سنوات (1520-1830م)<sup>3</sup>. وقد اعتمد الفرنسيون بعد تمكّنهم من احتلال جزء من البلاد الجزائرية بداية من شهر جويلية 1830<sup>4</sup> على التقاليد الحكم العثماني فيما يتعلق بالأرياف، فحاول سلطات الاحتلال استمالة القبائل الكبيرة والأسر النافذة إلى جانبها من خلال إغراءها بالامتيازات،

<sup>1</sup> تناولت الباحثة جميلة معاشي بالدراسة والتحليل الأسر المحلية ذات النفوذ الكبير في بايلك الشرق الجزائري في رسالة ماجستير موسومة ب:

الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من القرن ال16، إلى القرن ال19، رسالة ماجستير معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1990/1991.

<sup>2</sup> كان الشيخ أحمد بن القاضي رجل يجمع بين السلطتين الدينية والدنيوية. حيث كان زعيم مملكة كوكو التي تأسست في مطلع القرن السادس عشر بعد سقوط بجاية بين أيدي الإسبان سنة 1510. ومن الشيوخ الدينيين الذين اعتمد عليهم العثمانيين وكانوا عوناً لهم في تأسيس الدولة نذكر الولي الشهير أحمد بن يوسف الملياني وابن شعاعة.

<sup>3</sup> تأسست الدولة الجزائرية الحديثة على يد خير الدين بربروس بعد أن كان أخاه عروج قد أرسى قواعدها لكنه استشهد في إحدى المعارك مع الإسبان في نواحي تلمسان بالتواطؤ مع الملك الزياني أبوحمو موسى الثالث.

<sup>4</sup> يندرج الاحتلال الفرنسي للجزائر ضمن مشروع أوروبي لتصفية ممتلكات الدولة العثمانية، كما يندرج في الوقت ذاته ضمن التنافس الاستعماري الأوروبي الذي بدأت ملامحه مع مطلع القرن التاسع عشر الميلادي، كنتيجة للتغيرات الحاصلة في القارة الأوروبية والتي كانت نتاجاً للثورة الصناعية التي ساهمت بدورها في ظهور هذا التنافس، لمزيد من التفاصيل حول الأوضاع في أوروبا في مطلع القرن التاسع عشر والأحداث التي عرفها فيما بعد أنظر:

- عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر-أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2014.

ثمة كتابات ودراسات جزائرية وأجنبية كثيرة تناولت حدث الاحتلال الفرنسي للجزائر نحيل القارئ على بعضها:

- أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، م. و. ك، الجزائر، 1992.

- شارل رويبر أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.

- محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، 1999.

- عبد الرحمان الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4.



د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

وإشراكها في الحكم نظراً لقوتها ونفوذها الضارب في التاريخ<sup>1</sup> وفي السياق ذاته قامت دولة الأمير عبد القادر الذي كان عارفاً بخبايا الحكم والتركيبية الاجتماعية والسياسية في الجزائر إبان الحكم العثماني الذي كان ساخطاً عليه مدركاً لمساوئه<sup>2</sup>، فاستند حكمه كذلك إلى القبيلة كوحدة سياسية واجتماعية متلاحمة، فارتكزت سياسته على التقرب من الشيوخ القبائل والأسر الكبيرة حتى لا ترتمي بين أحضان السلطات الاستعمارية، أو تعود إلى رشدها وتنظم إلى دولته وتفسخ عقدها مع الاستعمار، ولقد كان ذلك من الصعوبة بمكان، حيث لم يكن الأمير عبد القادر يواجه عدواً واحداً فقط وهو العدو الفرنسي المحتل، بل واجه أعداءً أكثر<sup>3</sup> لم يفلح في إقناعهم بمشروعه الكبير المتمثل في إقامة دولة عربية على أنقاض الدولة العثمانية التركية البائدة، كما أن بعض شيوخ القبائل وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية طغت عليهم المصلحة الشخصية فلم يتفاعلوا مع مشروع الأمير حيث نجحت فرنسا في استمالتهم إليها كشيخ الطريقة التيجانية على سبيل المثال<sup>4</sup>، وقد كان لهذه الصعوبات التي واجهها دور في سعيه إلى عقد الهدنة والصلح مع العدو حتى يتسنى له ترتيب بيته وتنظيم شؤونه العسكرية والسياسية.

#### 1- نبذة تاريخية عن أسرة أولاد مقران:

أسرة أولاد مقران هي واحدة من الأسر المحلية الكبيرة في بايلك الشرق الجزائري، تمكنت من تأسيس مملكة أو إمارة في قلعة بني عباس في أعالي جبال اليبان في مطلع القرن السادس عشر، وبعد أن كان شيوخها من أعداء الأتراك في بداية تواجدهم بالجزائر صاروا حلفاء لهم، ولعبوا دوراً أساسياً في تمكين الحكام الأتراك من بسط نفوذهم في بايلك الشرق،

<sup>1</sup> - أنظر جميلة معاشي: المرجع السابق.

<sup>2</sup> - أنظر: ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000.

<sup>3</sup> - فبالإضافة إلى العدو الفرنسي كان يحارب القبائل والأعراس المتعاونة معه، قصد إخضاعها، وكان يحارب القبائل المناوئة له قصد توحيد الصفوف لمواجهة العدو الحقيقي الغاصب، كما حاربه سلطان المغرب مولاي عبد الرحمان بعد الضغوط التي تعرض لها من جانب فرنسا، ولذلك فقد عانى الأمير عبد القادر في سبيل توحيد الصفوف وإرساء قواعد دولته التي وضع لها أهدافاً ثابتة، غير أن خذلانه من طرف قومه، وتأمير العدو الذي نجح في تأليب بعض القبائل ضده حال دون تحقيق تلك الأهداف. للتعرف أكثر على هذه الأهداف راجع، عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص 108-109.

<sup>4</sup> - أنظر هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ص 126.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

وقد اتسمت سياسة الحكام الأتراك اتجاه الأسر الكبيرة والقبائل ذات النفوذ في الجزائر على العموم بتركها تمارس السلطة والنفوذ الذي كانت تتمتع به من قبل دون التدخل في شؤونها الداخلية، كما عملوا على التقرب من شيوخ الأسر الكبيرة وزعماء القبائل النافذة بغية الاستفادة من خدماتها وضمها دون الدخول معها في صراع قد لا يكون في صالح الحكام الأتراك.

## 2- أوضاع الأسرة في أواخر العهد العثماني:

نتيجة للفتنة التي مرت بها إمارة بني عباس وأدت إلى نهاية حكمها بقلعة بني عباس، إثر مقتل آخر أمراءها سيدي ناصر عام 1600م<sup>1</sup>، فضل ابنه الأكبر سيدي بتقة<sup>2</sup> التوجه إلى منطقة مجانة<sup>3</sup> حيث استمر حكم الأسرة حتى بعد مجيء الفرنسيين، وفضل هذا الابن لقب الشيخ على الأمير أو السلطان مؤسساً بذلك مشيخة المقرانيين بمجانة، ولم تفصح لنا المصادر التي اطلعنا عليها عن الأسباب الحقيقية التي دفعته إلى هذا التغيير.

وكانت أسرة أولاد مقران في ظل حكم المشيخة تتمتع بسلطة ونفوذ كبيرين في المنطقة الغربية لبابلك الشرق، فقد جمعت الأسرة بين النفوذ الديني الذي استمدته من انتسابها إلى الأشراف حسب بعض الروايات<sup>4</sup>، والنفوذ الدنيوي المتمثل في امتلاكها أراضي شاسعة وجيش مما جعل تأثيرها على سكان المنطقة قويا وهذا ما يفسر حرص الأتراك ومن بعدهم الفرنسيين على التحالف مع شيوخ الأسرة سواء عندما كانت في قلعة بني عباس أو بعد انتقالها إلى مجانة.

<sup>1</sup> أسست الأسرة إمارة في قلعة بني عباس في إحدى قمم جبال البيبان (أبواب الحديد)، في حوالي سنة 1510 وذلك بعد سقوط بجاية في أيدي الإسبان، وربطت في البداية علاقات تحالف مع الحامية الإسبانية، لكن قوة السلطة العثمانية التي أسست إيالة الجزائر أرغمت سلطان هذه الإمارة على فسخ تحالفه مع العدو الإسباني وربطته بها عن طريق التحالف، وساهمت الإمارة كثيرا في تكريس الحكم العثماني في الجزائر، وتميزت بعد ذلك العلاقات بين الطرفين بين مد وجزر، حتى وقعت فتنة داخل الإمارة أدت إلى مقتل آخر سلاطينها سيدي ناصر. لمزيد من التفاصيل راجع، لخضر بوطبة: أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني (1837-1518)، رسالة ماجستير (غ.م). جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2006.

<sup>2</sup> ترك سيدي ناصر خمسة أبناء أكبرهم يدعى سيدي بتقة أو أبو التقى.

<sup>3</sup> هي مدينة تقع شمال شرق مدينة برج بوعريج وتبعد عنها بـ 10 كلم.

<sup>4</sup> أنظر محمد بن الحسين الورتلاني: نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار المشهورة بالرحلة الورتلانية، أنظر كذلك ابن فرحون:

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجا

وعلى أية حال فشيوخ الأسرة دخلوا في صراع دموي فيما بينهم<sup>1</sup> الأمر الذي انعكس سلبا على مكانة الأسرة وسمعتها سواء تحت الحكم العثماني أو في فترة بداية الاحتلال.

### 3- موقف المقرانيين من الاحتلال الفرنسي:

إن الحديث عن موقف المقرانيين من الاحتلال الفرنسي مرتبط ارتباطا وثيقا بعلاقتهم مع الحاج أحمد باي، فكان لزاما علينا أن نتناول موقف هذه الأسرة في ذات السياق. قبل الاحتلال الفرنسي للجزائر عام 1830،<sup>2</sup> كانت أسرة أولاد مقران تعاني الضعف والانقسام بسبب الحروب التي نشبت بين زعماءها منذ زمن بعيد كما سبق ذكره، والتي تسببت في انقسام الأسرة إلى عدة فروع أو صفوف متناحرة، حيث كان كل صف يرى أنه الأحق والأجدر بحكم مشيخة مجانية، وكان الحكام الأتراك يعملون باستمرار على تغذية ذلك الصراع من أجل السيطرة على الأسرة، وفق المبدأ الشهير "لرق تسد" وسار الفرنسيون على نفس المنوال فيما بعد.

### 4- موقف المقرانيين من مقاومة الحاج أحمد باي:

يعتبر الحاج أحمد باي<sup>3</sup> من أشهر البايات الذين حكموا بايلك قسنطينة، تم تعيينه من طرف الداوي حسين عام 1826، وهو آخر من حكم البايك، ودام حكمه إلى غاية سقوط مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين عام 1837.

<sup>1</sup> Charles Féraud: « Histoire des villes de Constantine – Bordj Bou Arreridj », in, R. S. A. C, Constantine, 1872, p264.

<sup>2</sup> لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية راجع، أرجمند كوران: السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التميمي، ط2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970. وكذلك، حمدان خوجة: المصدر. وعبد الجليل التميمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972. أنظر كذلك:

-Pierre Boyer: «la Conquête de l'Algérie», in, Initiation à l'Algérie, Librairie . d'Amérique et d'Orient, Paris, 1957.

<sup>3</sup> حول شخصية أحمد باي وحكمه للبايلك أنظر:

- محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضربة، م و ن ت، الجزائر، 1973. أنظر كذلك:

- صالح فركوس: صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة (1823-1850)، د م ج، الجزائر، 1993. وأيضا:

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

عندما نصب هذا الباي على رأس بايلك قسنطينة استبشر أولاد مقران خيراً، واعتقدوا أنه حان الوقت للتوقف عن الصراعات والحروب التي أنهمكهم، وأن تدخل الأتراك في شؤون المشيخة سيتوقف، وذلك لعلاقة المصاهرة التي كانت تجمعهم به، فهو بالنسبة إليهم حفيد وصهر في آن واحد.<sup>1</sup> وكان حكم مجانية بيد ابن عبد الله من فرع أولاد الحاج، غير أن فرحة أولاد مقران لم تدم طويلاً، إذ أن أول عمل قام به أحمد باي قيامه بإلقاء القبض على ثلاثة شيوخ من الأسرة أن يرى أنهم مصدر الاضطراب والفوضى والفتن التي كانت تعيشها المنطقة، وهؤلاء الشيوخ هم:

الحاج محمد بن عبد السلام وهو صهره<sup>2</sup> وسي الباي الونوغي، من فرع أولاد بورنان، وصالح بن القندوز من أولاد القندوز، وحكم عليهم بالإعدام، لكنه أطلق سراح صهره بعد الرسالة التي وجهها له ابن عبد الله<sup>3</sup> كبير الأسرة وشيخ مجانية، وتدخل والدته الحاجة رقية وتوسل زوجته عيشوش، ثم نجا سي الباي الونوغي من الموت بتدخل من حاشية الباي، فيما نفذ حكم الإعدام في حق صالح بن القندوز.<sup>4</sup>

ويبدو أن الباي أراد أن يفتح عهده بالصرامة في تنفيذ السلطة الفعلية بالمنطقة<sup>5</sup> أو ربما أراد أن يتخلص من الضريبة التي كان أولاد مقران يفرضونها على الأتراك كما يذكر مولود قايد.<sup>6</sup> ولم ينتهج الباي سياسة واحدة مع الأسرة، في ظل الصراعات والحروب التي مزقت وحدتها، فكان يدفع المال لتابعه لاستمرار الفتن والصراع بين شيوخ الأسرة.<sup>7</sup>

- Marcel Emrit: « les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine », in, R.A, n:°8, 1863.

وكذلك:

- Temimi, A. Djallil: le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, (1830-1837), Tunis, 1978.

<sup>1</sup> - أنظر موضوع المصاهرة في نفس الفصل.

<sup>2</sup> - كان الباي متزوج من ابنته عيشوش.

<sup>3</sup> - عاتب ابن عبد الله الباي على فعله، واخبره بأنه خيب ظن الأسرة التي استبشرت خيراً وفرحت بتعيينه على رأس البايك، عندما أقدم على القبض على ثلاثة من شيوخ الأسرة. أنظر نص الرسالة كاملاً في: Féraud: op. cit, p300.

<sup>4</sup> - Féraud: op. cit, p298.

<sup>5</sup> - جميلة معاشي: المرجع نفسه، ص304.

<sup>6</sup> - Gaid: **chronique des Beys de Constantine**, p 94.

<sup>7</sup> - L. Babes: op. cit, p15

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

وقد أثار أحمد باي عندما أقدم على اعتقال ثلاثة شيوخ من الأسرة واغتيال أحدهم، هيجان كل فروع الأسرة وخاصة فرع أولاد القندوز الذين تحالفوا مع أولاد بورنان وأعلنوا الثورة ضده، فاضطر للخروج لقتالهم لكنه انهزم و انسحب بعد أن خسر مائة وخمسون (150) بغلا محملاً بالمتونة والذخيرة ببرج زمورة وعاد مسرعاً إلى قسنطينة<sup>1</sup>.

غير أن الصراع سرعان ما دب بين الفرعين المذكورين اللذان أنهكتهما الحروب والهزائم ففضلاً بالانسحاب إلى الجبال في انتظار الفرصة السانحة للعودة إلى مجانية، وبذلك استأثر فرع أولاد عبد السلام وأولاد الحاج بمشيخة مجانية، إلا أن التنافس بين محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد انفجر عندما أسند ابن عبد الله شيخ مجانية عملية تحصيل الضرائب بمنطقة الونوغة لمحمد بن عبد السلام مما أثار غيرة وطمع خصمه أحمد بن محمد الذي طلب من الباي تنصيبه على قيادة خليل فأجابه الباي لطلبه، الأمر الذي لم يعجب ابن عبد الله لأنه اعتبر ذلك تبعية مباشرة للباي، وهذا ينقص من نفوذ المشيخة، وطلب من أحمد بن محمد رفض المنصب واعداء إياه بإشراكه في حكم مجانية، لكنه لم يجبه لطلبه<sup>2</sup>، وربما هدف الباي بسياسته هذه إلى إضعاف الأسرة والعمل على استمرار الصراع بين شيوخها.

وعندما سافر أحمد باي إلى مدينة الجزائر عام 1827، لأداء واجب الدنوش كان بمرافقته أحمد بن محمد<sup>3</sup>، وأثناء عودته إلى قسنطينة قطعت عليه قبائل التيطري بسور الغزلان طريق العودة فأضطر الباي إلى قتالهم وأظهر أحمد بن محمد شجاعة كبيرة وإخلاص في الوقوف إلى جانبه، وأبلى بلاء حسناً في الدفاع عنه<sup>4</sup>، فوعده الباي بمكافأته حال عودته إلى قسنطينة، فأنتهز أحمد بن محمد هذه الفرصة الثمينة وطلب من الباي منحه وظيفة تحصيل الضرائب بمنطقة الونوغة، وهو المنصب الذي كان يشغله ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام، وأمره بالقبض على هذا الأخير في حالة رفضه الانصياع لأمر الباي، وعندما علم ابن عبد السلام بالأمر لجأ هارباً إلى سور الغزلان حيث كان يقيم صديقه عدو الباي يحي آغا، ونظماً معاً هجوماً فاشلاً على مجانية بهدف الاستيلاء عليها منتهزين فرصة غياب الخليفة أحمد بن محمد، لكن فرسان الحشم وأبناء الخليفة رغم حداثة سنهم دافعوا بشجاعة عن مجانية حتى عودته إليها<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - Rinn: op. cit, p15.

<sup>2</sup> - Féraud: op. cit, p301.

<sup>3</sup> - محمد العربي الزبيري: المرجع نفسه، ص 11.

<sup>4</sup> - Gouvion : op. cit, p69.

<sup>5</sup> - Féraud : op. cit, p302.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

ومن الملاحظ أن أحمد باي قد أنحاز إلى جانب فرع أولاد الحاج المتحالفين مع أولاد عبد السلام، وهو الصف الوحيد الذي ظل يلعب الدور السياسي بالمنطقة، والتصدي لخصومهم من أولاد القندوز وأولاد بورنان، وقد ظل شيوخ الأسرة في صراع وقتال لم ينه سوى نداء الجهاد الذي وجهه الداوي حسين إلى كل قبائل الإيالة للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية عام 1830.

وعندما نادى الداوي حسين كل القبائل والأسر الكبيرة للدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية<sup>1</sup>، تناسى أولاد مقران أحقادهم وتركوا صراعمهم وهبوا جميعاً لتلبية نداء الداوي، ودعا بن عبد الله كبير الأسرة وشيخ مجانة آنذاك الأسرة إلى تكوين القوم<sup>2</sup> وأسند قيادته إلى كل من محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد، وبقي هو بمجانة بسبب سنه المتقدم، وسار القوم من أولاد مقران مع صهرهم الحاج أحمد باي<sup>3</sup> إلى مدينة الجزائر، وكانت مشاركتهم في صد الحملة الفرنسية فعالة بشهادة الفرنسيين أنفسهم الذين ذكروا أن دور فرسانهم كان بارزاً في معركة سيدي فرج، وأن الفرنسيين عانوا كثيراً من مقاومتهم الباسلة<sup>4</sup>.

ولما سقطت مدينة الجزائر في أيدي الفرنسيين عاد أحمد باي ومعه أولاد مقران، إلى قسنطينة فرافقه أحمد بن محمد وكان إلى جانبه يدافع عنه ضد أعداءه، وعندما دخل منطقة البيبان اعترض سبيله ابن القندوز المقراني على رأس قوة كبيرة من القبائل الحاقدة على الباوي وهي: أولاد عامر، أولاد عبد النور، التلاغمة، ريغة القبالة، وقبائل فج مزالة ( فرجيوة)<sup>5</sup>، ولكن الباوي تمكن من الإفلات منه باستخدام الحيلة والمكر، حيث كتب رسالة إلى

<sup>1</sup> - عمارهلال: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، د. م. ج. الجزائر، 1995.

<sup>2</sup> - القوم هي قوة إضافية محلية توفرها القبائل للبايلك عند الحاجة.

<sup>3</sup> - من دهاء أحمد باي أن صاهر العديد من الأسر القوية في بايلكه فتزوج من عيشوش ابنة عبد السلام المقراني حتي يتمكن من حكم الجهة الغربية من بايلك الشرق التي كانت تحت نفوذ وسلطة أولاد مقران، كما صاهر أسة بن قانة شيوخ العرب حكام الصحراء، وصاهر كذلك أسرة بوعكاز حكام فرجيوة وغيرها لمزيد من المعلومات حول الموضوع راجع، جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من القرن ال16، إلى القرن ال19، رسالة ماجستير معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1990/1991.

<sup>4</sup> - Ch. Féraud: op. cit, p304.

أنظر كذلك، يحي بوعزبز: كفاح الجزائر، م. و. ك. الجزائر، 1986.

<sup>5</sup> - Louis Rinn: Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie, Librairie Adolphe Jordan, Alger, 1891, p 15.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

ابن القندوز يعده فيها بتنصيبه على مشيخة مجانية إن توقف عن القتال، ودعاه إلى لقاءه في خيمته بمجانة، فلما حضر قام بإلقاء القبض عليه، فزاد ذلك من نقمة السكان وثورتهم، وتمكنوا من اللحاق به رغم فراره، وبينما نزل أحمد باي ضيفا على قبيلة أولاد عبد النور، وكان شيخ هذه القبيلة صهر أسير الباي، تمكنت ابنته (زوجة الأسير) من إثارة القبيلة ضد الباي لإطلاق سراح زوجها<sup>1</sup>.

وفي وسط عدد كبير من الثائرين الحاقدين على الباي، تمكن من النجاة وللمرة الثانية بأعجوبة من موت محق، إذ مكنته حيلته ودهائه من الفرار من الأعداء بعد أن قتل بن القندوز شنقا، وأسرع بطلب النجدة من أخواله أولاد بن قانة، وقد تمكن الثائرين من اللحاق به وكان عددهم كبير يستحيل على الباي وأتباعه التغلب عليهم، ومن حسن حظ الباي أن وصول أولاد بن قانة بقوة كبيرة لإنقاذه في الوقت المناسب، وتمكنوا من تفريق أعداءه<sup>2</sup>.

ويبدو أن متاعب الباي لم تنته بعد، فلما وصل إلى أبواب مدينة قسنطينة فوجئ بانقلاب الانكشارية عليه حيث قاموا بتعيين محمود بن شاكرباي ومنعوا الباي من دخول المدينة لكنه تمكن من دخولها بفضل براعة والدته الحاجة رقية التي حصلت على فتوة من علماء المدينة لفتح أبواب المدينة أمام الباي<sup>3</sup>، وبعد أن تمكن الباي من العودة إلى مقر حكمه وانتقم من المتآمرين عليه، خرج لعقاب القبائل الثائرة من أولاد مقران بزعامة صهره محمد ابن عبد السلام وشيخ مجانية ابن عبد الله، وكان صف ابن عبد السلام يتكون من قبائل: وأولاد يلس، أولاد ماضي، أولاد موصللي، أولاد بوضياف وأولاد عبد النور التلاغمة وريغة الظهارة، لكنه لم يتمكن من إخضاعها وعاد إلى قسنطينة<sup>4</sup>.

ولم يكد الباي من التحرر من قبضة الثائرين حتى سمع بحركة تمرد تزعمها الباي الأسبق إبراهيم الكريتلي<sup>5</sup> الذي يبدو أنه أراد أن يغتنم الفوضى التي عمت البلاد بعد الاحتلال الفرنسي، حيث جمع القبائل الحاقدة على الباي، مدعيا أن الفرنسيين عينوه بايا على

<sup>1</sup> - Mouloud Gaid : Mokrani, édition Andalouse, Alger, 1993, p38.

<sup>2</sup> - Féraud: op. cit, p310.

<sup>3</sup> - Rinn, op. cit, p18.

<sup>4</sup> - Féraud: op. cit, p307.

<sup>5</sup> - وأصله من جزيرة كريت، حكم بايلك قسنطينة لمدة سنتين وستة أشهر (من شهر جويلية 1822م إلى ديسمبر 1824م)، عزل من طرف الداى حسين لمزيد من المعلومات راجع، أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، م. و. ك، الجزائر، 1992، ص145 ومايلها.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

قسنطينة<sup>1</sup>، وكان بن عبد السلام المقراني ومقورة بن عاشور شيخ فرجية، من بين الذين التفوا حوله وسار بهم في اتجاه قسنطينة، وفي طريقه خيم عند قبيلة أولاد عبد النور ثم التحق بهم فرحات بن سعيد على رأس قوة كبيرة من عرب الصحراء، فخرج الباي لقتالهم، وعندما علم أحمد باي بكثرة عددهم ففكر في حيلة لتفريق صفوفهم وإضعاف قوتهم فهداه دهاؤه إلى توزيع المال على شيخ قبيلة أولاد سحنون مقابل سحب جيشه ففعل هذا الأخير، فلما رأى إبراهيم الكريتلي جيشه بدأ يتفرق اضطر إلى الانسحاب مع ما بقي معه من المقاتلين، فخرج الباي أحمد منتصراً من هذه المعركة<sup>2</sup>.

يبدو أن محمد بن عبد السلام لم يكن راضياً على سياسة صهره الحاج أحمد باي الذي أسند مشيخة مجانة<sup>3</sup> إلى عدوه ومنافسه أحمد بن محمد، ولا نجد هنا تفسيراً وجيهاً لانحياز أحمد باي إلى جانب أحمد بن محمد، غير أن أغلب المؤرخين يرجعون سبب ذلك إلى استماتة أحمد بن محمد في القتال دفاعاً عن الباي ضد قبائل التيطري الذين اعترضوا سبيله حينما كان عائداً من مدينة الجزائر إلى عاصمة إقليمه، فكافأه الباي على ذلك بتوليته مشيخة مجانة، وقد دفع هذا التعيين محمد بن عبد السلام إلى إقدامه على الانتقام من صهره فكان على رأس مجموعة من الشيوخ تتألف من: صالح بن يلس شيخ أولاد عامر وفرحات بن سعيد<sup>4</sup> وبوعكاز بن عاشور<sup>5</sup> وشيخ أولاد ماضي سي بوضياف، حيث اتصلت هذه المجموعة بالحاكم برثيزين (Berthézène) بمدينة الجزائر تعرض عليه استعدادها للاستسلام والتعاون مع الفرنسيين مع كل القبائل التي تحت زعامتها للإطاحة بأحمد باي،<sup>6</sup> ويذكر فيرو أن الفرنسيين لم يردوا على رسالتهم بسبب انشغالهم بأحداث الحملة والصعوبات التي واجهوها<sup>7</sup>.

<sup>1</sup> - حميدة عميراوي: دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827- 1840)، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987، ص133.

<sup>2</sup> - Féraud: op. cit, p309.

<sup>3</sup> - وذلك بعد وفاة الشيخ ابن عبد الله في عام 1830م.

<sup>4</sup> - عزله الباي أحمد من مشيخة عرب الصحراء وعين مكانه صهره الحاج بوعزيز بن قانة، فأصبح من أعداءه، واتصل بالفرنسيين وأعلن خضوعه لهم واستعداده للتعاون معهم للإطاحة بأحمد.

<sup>5</sup> - تحول إلى عدو ومحارب للباي أحمد لأنه قام بعزله من مشيخة فرجية.

<sup>6</sup> - Gouvion: op. cit, p70.

أنظر كذلك، حميدة عميراوي: المرجع نفسه، ص198.

<sup>7</sup> - Féraud: op. cit, p310.



د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

أما مرسي فيذكر أن اتصال هذه الجماعة بالفرنسيين كان عام 1837 وليس كما ذكر كل من رين وفيرو<sup>1</sup>، لكنه لم يذكر لنا هل كان ذلك قبل احتلال الفرنسيين لقسنطينة أم بعده؟ وعندما يئس محمد بن عبد السلام من مساعدة الفرنسيين له للانتقام من صهره أحمد باي، وجه أنظاره نحو باي تونس وكتب له يعرض عليه التحالف معه للقضاء على أحمد باي وغزو البايك، ولسوء حظه أن الباي أحمد علم بتلك المراسلة، وتمكن من القبض عليه، وكاد أن يقتله لولا توسلات زوجته عيشوش (ابنة محمد بن عبد السلام)، فاكتفى بوضعه في سجن القصبة<sup>2</sup>.

وبرجوعنا إلى مذكرات الحاج أحمد باي وجدنا أنه لم يشير إلى ذلك حيث يذكر أنه أثناء مفاوضاته مع الفرنسيين قام باستدعاء كل جيوش مقاطعة إقليمه إذ يقول «وقد هب جميع القادة لتلبية ندائي وأذكر من جملة من حضر: أحمد المقراني ومحمد بن عبد السلام المقراني وولد بن عبد الله المقراني وشيخ أولاد الحداد...»<sup>3</sup>.

وفي الوقت الذي كان فيه محمد بن عبد السلام في صراع مع صهره أحمد باي، ظل خصمه وابن عمه أحمد بن محمد (شيخ مجانة) مخلصاً ووفياً للباي أحمد طوال فترة حكمه للبايلك، وكان إلى جانبه في كل المحن التي واجهها الباي<sup>4</sup>، ومن ذلك وقوفه إلى جانب الباي في الدفاع عن مقر حكمه (قسنطينة) ضد الحملة الفرنسية الأولى عام 1836<sup>5</sup>، حيث ذكرين أن الفرنسيين عانوا من مضايقة أحمد بن محمد المقراني وجيشه<sup>6</sup>.

وأثناء الحملة الفرنسية الثانية (1837) تمكن الفرنسيون من اقتحام المدينة فانتهز محمد بن عبد السلام فرصة الفوضى التي عمت المدينة، وتمكن من الفرار من السجن في يوم 13

<sup>1</sup> - Ernest. Mercier : le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de 1871, Paris, 1900, p11.

<sup>2</sup> - Féraud : op. cit, p304.

أنظر كذلك:

-A. Dj. Temimi : op. cit, p115.

<sup>3</sup> - Marcel Emerit : « les mémoires d'Ahmed... », RA n° 49, 1905, p105.

راجع كذلك، محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي وحمدان خوجة وبوضرية، ص 69.

<sup>4</sup> - صالح فركوس: المرجع السابق، ص 289.

<sup>5</sup> - لمزيد من التفاصيل حول الحملة الفرنسية على قسنطينة يراجع، عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة، 1836-1837، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، الجزائر، 1984.

<sup>6</sup> - Rinn: op. cit, p16.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

أكتوبر من السنة نفسها والتحق بمجانة، حيث أعاد جمع القوة واستمال فرسان الحشم إلى جانبه، وأعلن نفسه الحاكم الشرعي للمشيخة في غياب خصمه أحمد بن محمد الذي كان ملازماً<sup>1</sup>.

وعندما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين وانسحب أحمد باي إلى الجنوب وعرض عليه أحمد المقراني اللجوء إلى قلعة بني عباس أو إلى جبال المعاضيد لكن الباي فضل الذهاب إلى الصحراء حيث أقاربه أولاد بن قانة<sup>2</sup>.

عند ذلك عاد أحمد المقراني مع ما تبقي معه من الرجال إلى مشيخته بمجانة لكنه وجد ابن عمه وخصمه محمد بن عبد السلام قد استولى عليها، ومنعه من الدخول إليها فلجأ إلى قلعة بني عباس التي ظل سكانها أوفياء للأسرة<sup>3</sup> لكن رين يذهب إلى القول أن بني عباس والقبائل القريبة من القلعة منها سكان تازايرت وأزرو وقسم من إغيل علي والشوارخ<sup>4</sup> أظهروا لأحمد بن محمد عداؤهم ورفضوا استقباله فلجأ إلى قبيلة بني عيديل بالمين<sup>5</sup> غير أن هؤلاء كما كما يذكر يحي بوعزيز ناصبوه العدا، فلم يكتفوا برفضهم استقباله والاعتراف به كزعيم عليهم، بل أن الأمر ذهب بهم إلى أبعد من ذلك، حين قاموا بالقبض عليه وتسليمه إلى عدوه محمد بن عبد السلام الذي نفاه إلى منطقة الحضنة بعد أن تعهد له بعدم العودة ثانية إلى مجانة<sup>6</sup> فاستأثر بذلك محمد بن عبد السلام بحكم مجانة لوحدته.

وبناء على قول المؤرخ التونسي عبد الجليل التميمي فإن القائد الفرنسي "دوروفيقو" قد اتصل بمحمد بن عبد السلام المقراني لتأليبها ضد أحمد باي<sup>7</sup>، ولكن التميمي لم يحدد التاريخ

<sup>1</sup> - Féraud: op.cit, p310.

<sup>2</sup> - Emerit: op. cit, p105.

أنظر كذلك: يحي بوعزيز: ثورة 1871، ص48.

وجب التذكير أن انسحاب الباي أحمد إلى الصحراء كان خطأً استراتيجياً ارتكبه، ذلك أنه وجد نفس معزولا، وتفرق عنه الأنصار ووجد نفسه وحيدا في مواجهة عدوين الصحراء من جهة والفرنسيين من جهة ثانية فاضطر إلى الاستسلام، حيث نق إلى قسنطينة ثم وضع في أحد السجون في مدينة الجزائر حيث مكث به حتى وافته المنية.

<sup>3</sup> - Gaid: Mokrani, p42.

<sup>4</sup> - تقع هذه القبائل بجوار قلعة بني عباس، ولا تبعد عنها كثيرا.

<sup>5</sup> - Rinn: op.cit, p21

<sup>6</sup> - يحي بوعزيز: المرجع نفسه، ص50.

<sup>7</sup> - Temimi: op.cit, p115

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

الذي اتصل فيه هذا القائد بمحمد بن عبد السلام، ونعتقد أنه يقصد اتصال بن عبد السلام بالفرنسيين وليس العكس.

وحسب أبو القاسم سعد الله فإن الفرنسيين اتصلوا أيضا بمحمد بن القندوز المقراني في محاولة منهم لتأليبهم ضد عدو أحمد باي لعلمهم بعداءه الشديد له<sup>1</sup>، و خلاصة القول أن أسرة أولاد مقران كانت من الأسر المحلية الكبيرة التي هبت إلى الدفاع عن مدينة الجزائر ضد الحملة الفرنسية، وان انقسام الأسرة أثر في مواقفها اتجاه أحمد باي ومقاومته، حيث ظل أولاد الحاج الفرع الحاكم بمجانة وفيما ومخلصا للباي أحمد حتى نهاية مقاومته واستسلامه.

#### 5- الأمير عبد القادر وسياسته اتجاه أسرة أولاد مقران:

يعتبر الأمير عبد القادر<sup>2</sup> من أبرز رجال المقاومة الجزائرية ضد الاحتلال الفرنسي، حيث اشتهر بمقاومته الاحتلال في منطقة الغرب الجزائري لمدة تزيد عن الثمانية عشر سنة (1832-1847م)، تمكن خلالها من انتزاع اعتراف فرنسا بدولته، كما تمكن من انتزاع احترام القادة الفرنسيين له لنبله وشجاعته وأخلاقه ودهائه، فكانوا يحسبون له ألف حساب<sup>3</sup>.

بعد توقيع معاهدة التافنة وضع الأمير عبد القادر استراتيجية في تعامله مع الأعيان والعلماء والمرابطين وشيوخ القبائل، فكان يرأسهم طالبا منهم الدخول في طاعته من أجل جمع كلمة الجزائريين تحت راية الجهاد، واستطاع التأثير على كثير منهم نظرا لشخصيته الكاريزماتية، وكانت نداءاته تلقى الترحيب والتفاعل، وكان حريصا في تعيين الخلفاء والقياد على اختيار الشخصيات ذات التأثير القوي في الناس حتى يتمكنوا من فرض إرادته وأوامره<sup>4</sup>، وهي

<sup>1</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص155 ومايلها

<sup>2</sup> - حول شخصية الأمير عبد القادر ومقاومته، أنظر:

- محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964.

أنظر كذلك:

- هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

<sup>3</sup> - لمزيد من التفاصيل حول حياة الأمير عبد القادر وجهاده وسياسته راجع هنري تشرشل: المرجع نفسه.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع السابق، ص213.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

استراتيجية ناجحة في اعتقادنا مكنت الأمير بدهائه أن يتغلغل في منطقة نفوذ تابعة للباي أحمد<sup>1</sup>.

ولكي يسهر على تنفيذ الاستراتيجية التي رسمها كان يزور بعض المناطق بنفسه حيث سافر إلى منطقة القبائل، حيث استقبل هناك استقبالا حافلا كما يذكر الكاتب الإنجليزي هنري تشرشل الذي كتب ترجمة له تحت عنوان " حياة الأمير عبد القادر " التي ترجمها وقدمها أبو القاسم سعد الله، حيث خطب فيهم خطبة مثيرة بعد أن التفوا من حوله جاء فيها: "استيقظوا يا أهل جرجرة، وانتهوا من غفلتكم، وثقوا ان ليس في قلبي سوى الرغبة في سعادة وصلاح ورفاهية المسلمين، إن كل ما أطلبه منكم اليوم هو الطاعة والوفاق والمحافظة التامة على قوانين ديننا المقدس، لكي ننتصر على الكفار، ولا أطلب منكم لتعضيد جيشنا سوى ما فرضه الله العلي القدير." ثم واصل القول: "إنني لا أرغب في تغيير تقاليدكم ولا في تعطيل قوانينكم وأعرافكم، ولكن القيام بالعمليات الحربية يتطلب مسؤولاً. إنني ادعوكم إلى الجهاد في سبيل الله، فاختاروا رئيسا عليكم، وإنني أقترح عليكم ابن سالم، فإذا اخترتموه فسيكون لكم كالبوصلية في ساعات الخطر والعسر، وإن الله شاهد على ما أقول، وإذا لم يلامس قولي هذا مكانا في قلوبكم فسيأتي يوم تندمون فيه...إنني أحاول إقناعكم بالتي هي أحسن، لا بالقوة، وإنني أدعو الله أن يهديكم إلى سواء السبيل. وعندما انتهى عبد القادر من خطبته، انطلقت صيحة عامة تقول أعطنا ابن سالم أعطنا ابن سالم، خذ منا الزكاة وخذ منا العشور وقدنا ضد الكفار، إننا أبناؤك وجنودك وخدمك"<sup>2</sup> ولما وصل إلى الونوغة قرب سور الغزلان، علم

<sup>1</sup> - تجدر الإشارة إلى أن الحاج أحمد باي قسنطينة كان يخوض حرب المقاومة في بايلك الشرق ضد الفرنسيين الذين حاولوا إغراءه بالمنصب والجاه لكنه رفض كل العروض التي قدمت له، وفضل الجهاد، حيث التفت حوله القبائل الحليفة للحكم العثماني، كما كان يعول على المدد الذي كان ينتظر وصوله من السلطان العثماني، لكن هذا المدد لم يصل أبدا، وكانت شعبية أحمد باي تتراجع تدريجيا حتى تفرقت عنه القبائل وظل يقاتل وحيدا حتى أعلن استسلامه في النهاية بعد أن يئس من جدوى مواصلة القتال. لمزيد من المعلومات حول أحمد باي ومقاومته راجع:

-Temimi, A. Djallil: op, cit.

- فندلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1977.

<sup>2</sup> - هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

بتواجهه الخصمان محمد بن عبد السلام المقراني وأحمد بن عبد السلام المقراني فأسرع كل منهما للقاءه، حاملاً كل منهما هدايا ثمينة تليق بمقام الأمير، وعرض عليه كل منهما خدماته و مساعدته، طمعا في منصب الخليفة على مجانية<sup>1</sup>، ويذكر في هذا السياق يحي بوعزيز أن الأمير عبد القادر هو من كاتب زعماء القبائل والأسر الكبيرة ومن بينهم بن عبد السلام المقراني لكي يستميلهم إلى جانبه<sup>2</sup>، ومهما يكن من أمر فقد وقع اختيار الأمير على محمد بن عبد السلام باعتباره صاحب السلطة الحقيقي على أولاد مقران، ولكون أحمد بن محمد كان صديقا وحليفا لخصمه أحمد باي، فانضم إليه صف أولاد القندوز الحاقدين على أحمد باي فحظيوا هم أيضا بقيادة منطقة الحضنة<sup>3</sup>.

وبدل اختيار الأمير عبد القادر صهر الباي محمد بن عبد السلام خليفة على مجانية على درايته ومعرفته بكل ما كان يجري من أحداث في منطقة نفوذ أحمد باي بما في ذلك الصراع الدموي الذي كان محتدما بين شيوخ أولاد مقران، فوقع اختياره على الشخص الذي يمكن أن يعول عليه في فرض سلطة الأمير على المنطقة على الرغم من علمه بأنه صهر للباي، فكان على علم كذلك بالخصومة التي كانت بين الباي وصهره، وهذا يدل مرة أخرى على ذكاء الأمير ودهائه.

ولكي ينظم الأمير دولته قسمها إلى ثمان ولايات كل منها تسمى مقاطعة، على رأس كل منها والٍ يحمل لقب الخليفة، يساعده أغوات على الدوائر والقياد والقبائل والشيوخ على العشائر، وهذه الولايات هي: تلمسان ومعسكر ومليانة والتيطري وحمزة ومجانة التي جعل عاصمتها سطيف<sup>4</sup>، والزيبان والصحراء الغربية<sup>5</sup>.

<sup>1</sup> - محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، الإسكندرية، 1903، ص200.

<sup>2</sup> - محمد بن الصالح العنثري: فريدة منيسة في حال دخول الترك قسنطينة واستيلاءهم على أوطانها أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق، يحي بوعزيز، د. م. ج، الجزائر، 1991.

<sup>3</sup> - محمد بن الأمير: المرجع نفسه، ص200.

<sup>4</sup> - محمد العربي الزبيدي: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، ش و ن ت، الجزائر، 1982، ص126. أنظر كذلك، أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، م. و. ك، الجزائر، 1992، ص 166 ومايلها.

<sup>5</sup> - يحي بوعزيز: موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب، دار الهدى، الجزائر، 2009، ص156.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

إن من أهداف الأمير عبد القادر من وراء عقده معاهدة التافنة مع الفرنسيين في ماي 1837<sup>1</sup> ربح مزيد من الوقت من أجل إعادة ترتيب أمور دولته وجيشه، كما كان يخطط إلى مد نفوذه إلى بايلك الشرق بعد الإطاحة بأحمد باي، فبدأ فعلاً في مراسلة الأعيان في هذا البايك طالبا منهم الإنضواء تحت سلطته<sup>2</sup>، وكان الأمير عبد القادر يهدف من وراء إنشاءه إقليم مجانيّة إلى إثبات شرعية نفوذه على قسنطينة القديم، وقد كان الخليفة الذي يعينه الأمير يتمتع بسلطات واسعة في حدود إقليمه تتمثل في جمع الضرائب وإقامة الحدود، وإجراء القضاء بين الناس، وحماية الأمن والمواطنين ومحاربة العدو، ولم تكن مدة تعيين الخلفاء محددة، وكان الخلفاء هم من ينقل تعليمات الأمير إلى الأغوات<sup>3</sup>.

ويبدو أن سلطة الأمير عبد القادر في الأقاليم الأربعة الجديدة التي أستحدثها ومنها مجانيّة كانت لا تُنفذ ولا تُحترم حسب ما يذكر أبو القاسم سعد الله، فخليفة مجانيّة محمد بن عبد السلام المقراني منذ تعيينه عام 1837 كان من أقوى الخلفاء وأسرته من من أكبر العائلات في الإقليم؛ ولكن بسبب بعد المسافة ومضايقة الفرنسيين له من بجاية وقسنطينة، والصراع الذي كان شديداً بين فروع الأسرة جعل سلطة الأمير بالإقليم ليست قوية<sup>4</sup>.

والظاهر أن الأمير عبد القادر كان يراقب خلفاؤه وقادة جنده مراقبة شديدة فكان يعزل كل من يُثبت عجزه أو سوء تسييره، ومن ذلك قيامه بعزل محمد بن عبد السلام المقراني خليفة مجانيّة وتعويضه بخليفة آخر ليس من شيوخ الأسرة بعد أن راودته شكوك في اتصاله بالفرنسيين<sup>5</sup>.

والسؤال الذي يطرح هل كان لامتداد نفوذ الأمير إلى منطقة نفوذ أسرة المقرانيين تأثير على علاقة شيوخ الأسرة ببعضهم البعض؟ وعلى علاقتهم بصهرهم الحاج أحمد باي، وبالفرنسيين؟

<sup>1</sup> - انعقدت هذه المعاهدة بين الأمير عبد القادر والجنرال بيجو le général Bugead وكان لكل منهما أهدافه التي كان يرمي إليها، ومكنت المعاهدة (الهدنة) الطرفين من كسب مزيد من الوقت الذي كانا في حاجة ماسة إليه من أجل إعادة ترتيب الأمور والاستعداد لما هو آت.

<sup>2</sup> - أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992، ص 18.

<sup>3</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 211.

<sup>4</sup> - أبو القاسم سعد الله: المرجع نفسه، ص 212.

<sup>5</sup> - المرجع نفسه، ص 213.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

إن تأثير تدخل الأمير في المنطقة التابعة لنفوذ المقرانيين يظهر جلياً من خلال عودة الصراع والقتال بين الخصمين محمد بن عبد السلام وأحمد بن محمد أكثر ضراوة وقوة، عقب تعيين محمد بن عبد السلام خليفة على مجانة من طرف الأمير عبد القادر، حيث قرر خصمه العنيد أحمد بن محمد منع خليفة الأمير عبد القادر محمد بن عبد السلام من الدخول إلى مجانة، وذلك بعد أن استعان بقوة من قبائل حوض الصومام وبني عباس تمكن من استمالتها إلى جانبه، في حين كان محمد بن عبد السلام يعتمد على قبيلة الحشم وأولاد ماضي وبعض مرابطي المنطقة، وقام حينها بن عبد السلام بتجريد صف أولاد الحاج من كل القوة والنفوذ الذين كانوا يتمتعون به في مجانة والمناطق المجاورة لها<sup>1</sup>.

ومن ثمة يمكن القول أن الصراع بين أحمد باي والأمير عبد القادر كان له تأثير كبير في صراع شيوخ أولاد مقران، حيث ازداد هذا الصراع عنفواناً وتأججاً.

#### 6- مرحلة استسلام المقرانيين وتعاونهم مع الفرنسيين:

الظاهر أن ضياع مشيخة مجانة من أحمد بن محمد جعله يشعر بالتهميش والإقصاء وضياح النفوذ والسلطة نتيجة إبعاده عن مجانة كما رأينا، فدفعه هذا الشعور إلى التفكير بجدية في وسيلة تمكنه من استرجاع ما كان يعتقد أنها حقوقه اغتصبته منه ولو اقتضى الأمر التحالف والتعاون مع العدو الفرنسي، وتحت تلك الظروف العصيبة راودته فكرة الاستسلام والخضوع للفرنسيين، فاتصل بصديقه بوعكاز بن عاشور<sup>2</sup> شيخ فرجية، وأعرب له عن نيته في الاستسلام، ثم كتب إلى الخليفة علي بن باحمد الذي كان قد دخل في خدمة العدو والذي شجعه على المضي في هذا الطريق، وطلب منه الذهاب إلى الفريق غالبوا (Galbois) في قسنطينة دون خوف أو تردد، فذهب إليه في أوائل جويلية 1838، فقام هذا الأخير بتعيينه في بداية الأمر قائداً على قبيلة أولاد عامر ناحية سطيف بصفة مؤقتة، وكان الفرنسيون قد عينوا بن هاني بن يلس خليفة على مشيخة مجانة<sup>3</sup>، كرد فعل على تعيين محمد بن عبد السلام على

أنظر كذلك، ناصر الدين سعيدوني: «العلاقة بين الأمير عبد القادر والحاج أحمد باي وانعكاسها على المقاومة في أوائل عهد الاحتلال»، مجلة الدراسات التاريخية، معهد التاريخ، جامعة الجزائر، عدد الثاني، 1986، ص 57 وما بعدها.

<sup>1</sup> - Charles Féraud: op, cit, p311.

<sup>2</sup> كان الشيخ بوعكاز بن عاشور يقاتل إلى جانب الباي ولما سقطت مدينة قسنطينة في أيدي الفرنسيين أعلن خضوعه للفرنسيين وتعاونهم معهم.

<sup>3</sup> - Colonel Robin: l'insurrection de la grande Kabylie en 1871, Alger, 1901, pp96-98.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجا

هذه المشيخة من طرف الأمير عبد القادر، وكان هدفهم ضرب الأسرة ومشيخة مجانية في آن واحد.

وقد تلقى أحمد بن محمد المقراني تعيينه قائدا على أولاد عامر بمرارة لأنه كان يرى أنه منصب دون مستواه لكنه أظهر للفرنسيين ولاءه كخطوة أولى في سبيل تحقيق ما كان يطمح إليه من استعادة مكانته ونفوذه، ولم يمض وقت على ذلك حتى تم تعيينه في منصب خليفة مجانية، وذلك بعد مقتل بن هني بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد قبيلة ريغة القبالة في في نواحي سطيف في سبتمبر من نفس السنة<sup>1</sup>، حيث قام الجنرال فالفي (Valée) شخصيا بتنصيبه في يوم 24 أكتوبر عام 1838 في حفل بهيج بقصر الباي بقسنطينة، ووقع الخليفة على وثيقة التعيين بعد أن أدى اليمين بحضور عدة شخصيات وطنية وفرنسية مهمة<sup>2</sup>.

وقد باشر الخليفة أحمد بن محمد المقراني المهام المنوطة به دون أن يلتحق بمركز المشيخة بملجاة التي لم يلتحق بها إلا بعد عام من تنصيبه، وذلك بسبب وجود خليفة الأمير عبد القادر محمد بن عبد السلام بها، وخضوعها إلى سلطة الأمير، وكان الخليفة محمد بن عبد السلام مدعما بجيش نظامي يتكون من 300 جندي من المشاة النظاميين، و50 فارسا نظاميا، بالإضافة إلى أفراد فرع أولاد عبد السلام وأولاد القندوز المتعاونين معه<sup>3</sup>، وكانت السلطة الاستعمارية بلا شك تهدف من وراء ذلك إلى ضرب ابن عمه خليفة الأمير عبد القادر على نفس المشيخة<sup>4</sup>، كما كانت تهدف إلى الحد من قوة الأسرة حتى لا تشكل أي خطر عليها مستقبلا وذلك في سياق مبدأ فرق تسد الذي اتبعته الإدارة الاستعمارية مع القبائل والأعراس.

وهكذا وضع أحمد بن محمد المقراني نفسه في خدمة السلطات الاستعمارية التي وضعت سياسة جديدة تتمثل في التعامل مع الأسر الكبيرة ذات النفوذ، وذلك بتمكينها من

<sup>1</sup> - قتل بن يلس في إحدى المعارك التي كان يخوضها الجيش الفرنسي ضد ريغة القبالة لإخضاعها.

<sup>2</sup> - Louis Rinn: op, cit, p23.

أنظر كذلك :

Bourde Paul: à travers l'Algérie, G. Charpantier, Paris, 1880, p175.

<sup>3</sup> - محفوظ قداش: « جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته»، ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، عدد 75، 1983، ص 65.

<sup>4</sup> - Ch. Féraud: op.cit, p312.



د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

الحفاظ على الامتيازات التي كانت تتمتع بها خلال العهد العثماني، مقابل تعاونها معها في التوسع والقضاء على المقاومة.

ونخلص إلى القول في الأخير أنه كان للصراع بين شيوخ أسرة أولاد مقران، دوراً في انقسام مواقف الأسرة من مقاومة أحمد باي، ومن الاحتلال الفرنسي، وكان من نتائج ذلك الصراع استسلام أحمد بن محمد الذي مكن الاحتلال من إخضاع الأسرة بجميع فروعها، ويمكننا القول أيضاً أن استسلام أحمد بن محمد للفرنسيين لم يكن حياً فيهم أو ضعفاً في إيمانه، أو نقصاً في شهامته وشجاعته، وإنما كان بهدف الاستعانة بهم ضد أعدائه من أفراد الأسرة، كما أن خصمه محمد بن عبد السلام انضم إلى صف الأمير عبد القادر بهدف القضاء عليه، ونكاية في أحمد باي، وفيما يتعلق باستسلام كل فروع الأسرة فقد حدث ذلك بعد أن ضاقت بهم السبل وحاصرتهم القوات الفرنسية من كل جهة.

وقد كان للزيارات التي قام بها الأمير عبد القادر لبعض المناطق في بايلك الشرق في إطار البحث عن توسيع منطقة نفوذه، والبحث عن حلفاء جدد يقوي بهم دولته في الصلح بين كثير من المتخاصمين وجمع كلمتهم على قتال العدو الفرنسي، كما تمكن بفضل تحالفه مع محمد بن عبد السلام المقراني من بسط سلطته على مناطق واسعة من إقليم الشرق، رغم أن ذلك لم يدم طويلاً حيث انقلب عليه هذا الأخير بعد عزله عن منصب خليفة مجانية وأصبح من خصومه<sup>1</sup>.

خاتمة:

يبدو أن حلول عام 1838 جلب معه المصائب لكل من أحمد باي الذي انسحب إلى الصحراء ليواصل المقاومة من هناك، ونزلت المصائب كذلك على الأمير من خلال بداية ضياع الأقاليم التي كان يسيطر عليها، فقد عين الفرنسيون عدداً من الخلفاء كانوا من رجال أحمد باي، وعينوا محمد بن عبد السلام المقراني خليفة على مجانية، وهو الذي عينه الأمير خليفة عليها ثم عزله.

كما سبقت الإشارة إلى ذلك، والظاهر أن استراتيجية الفرنسيين كانت في كسب خلفاء كل من الأمير وأحمد باي وخصومهما بفضل سياسة الإغراء وهذا ما حصل مع أسرة المقراني وبين قاعة حكام الصحراء.

<sup>1</sup> - محمد بن الأمير عبد القادر: المصدر السابق، 218.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

و يدل على المكانة والنفوذ الذي كانت تحظى به أسرة المقرانيين في المنطقة الغربية لبايلك الشرق الجزائري حرص الجميع على الارتباط بالأسرة بدءاً بالأتراك، ثم أحمد باي والأمير عبد القادر، ونهاية بالفرنسيين الذي استفادوا كثيراً من خدمات خليفة مجانية أحمد المقراني وهو والد البشاشا الحاج محمد زعيم ثورة 1871، إذ بفضل مساعدته تمكنوا من ربط إقليم الشرق بمدينة الجزائر بعد عبور منطقة الببان (1839) التي يفترض أنها تابعة لنفوذ الأمير الذي اعتبرها نقض واضح لبنود معاهدة التافنة وبالتالي قرر محاربتهم لأنهم اعتدوا على حدود دولته.

#### \* قائمة المراجع:

1. أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية، ج1، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1992.
2. أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة عام بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ش.و.ن.ت، الجزائر، بدون تاريخ.
3. أرجمند كوران: السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر، ترجمة عبد الجليل التيمي، ط2، منشورات الجامعة التونسية، تونس، 1970.
4. جميلة معاشي: الأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري، من القرن ال16، إلى القرن ال19، رسالة ماجستير معهد العلوم الاجتماعية، جامعة منتوري، قسنطينة، 1990/1991.
5. حمدان خوجة: المصدر. وعبد الجليل التيمي: بحوث ووثائق في التاريخ المغربي (1816-1871)، ط1، الدار التونسية للنشر، تونس، 1972.
6. حميدة عميراي: دور حمدان خوجة: في تطور القضية الجزائرية (1827-1840)، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1987.
7. شارل روبر أجرون: تاريخ الجزائر المعاصرة، ج2، من انتفاضة 1871 إلى اندلاع حرب التحرير 1954، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر، 2013.
8. صالح فركوس: الحاج أحمد باي قسنطينة (1823-1850)، د م ج، الجزائر، 1993.
9. عبد العزيز سليمان نوار، عبد المجيد نعنعي: التاريخ المعاصر-أوروبا من الثورة الفرنسية إلى الحرب العالمية الثانية، دار النهضة العربية، بيروت، لبنان، 2014.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

10. عبد الكريم بجاجة: معركة قسنطينة 1836-1837، تعريب محمد الهادي لعروق، دار البعث، الجزائر، 1984.
11. عمار بوحوش: التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962، دار الغرب الإسلامي، ط1، 1997، ص108-109.
12. عمار هلال: أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر المعاصرة (1830-1962)، د. م. ج، الجزائر، 1995.
13. فنديلين شلوصر: قسنطينة أيام أحمد باي (1832-1837)، ترجمة وتقديم أبو العيد دودو، ش. و. ن. ت، الجزائر، 1977.
14. لخضر بوطبة: أسرة أولاد مقران خلال العهد العثماني (1837-1518)، رسالة ماجستير (غ. م)، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2006.
15. مجهول المؤلف: غزوات عروج وخير الدين، تصحيح وتعليق نور الدين عبد القادر، الجزائر، 1934.
16. محفوظ قداش: جيش الأمير عبد القادر، تنظيمه وأهميته، ترجمة حسن بن مهدي، مجلة الثقافة، تصدرها وزارة الثقافة بالجزائر، عدد 75، 1983.
17. محمد بن الأمير عبد القادر: تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، ج1، الإسكندرية، 1903.
18. محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في أخبار الجزائر والأمير عبد القادر، دار اليقظة العربية، ط2، بيروت، 1964.
19. محمد العربي الزبيري: تاريخ الجزائر المعاصر، ج1، منشورات اتحاد الكتاب العرب، القاهرة، 1999.
20. محمد العربي الزبيري: الكفاح المسلح في عهد الأمير عبد القادر، ش و ن ت، الجزائر، 1982.
21. محمد العربي الزبيري: مذكرات أحمد باي و حمدان خوجة وبوضربة، م و ن ت، الجزائر، 1973.
22. ناصر الدين سعيدوني: عصر الأمير عبد القادر، مؤسسة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، 2000.
23. هنري تشرشل: حياة الأمير عبد القادر، ترجمة وتقديم وتعليق، أبو القاسم سعد الله، ش و ن ت، الجزائر، 1982.

د. لخضر بوطبة ..... علاقة الأمير عبد القادر بالأسر المحلية الحاكمة في بايلك الشرق الجزائري – أسرة أولاد مقران نموذجاً

24. يحي بوعزيز: **كفاح الجزائر**، م. و. ك، الجزائر، 1986.
25. يحي بوعزيز: **موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب**، دار الهدى، الجزائر، 2009.
- باللغة الأجنبية:
26. Charles Féraud: « **Histoire des villes de Constantine – Bordj Bou Arreridj**», in, R. S. A. C, Constantine,
27. Colonel Robin: **l'insurrection de la grande Kabylie en 1871**, Alger, 1901 .
28. Bourde Paul: **à travers l'Algérie**, G. Charpantier, Paris, 1880, p175.
29. Ernest. Mercier : **le Bachagha Mokrani et les causes de l'insurrection de 1871**, Paris, 1900.
30. Louis Rinn: **Histoire de l'insurrection de 1871 en Algérie**, Librairie Adolphe Jordan, Alger, 1891 .
31. -Marcel Emrit:« **les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine**», in, R.A, n:°8, 1863.
32. Marcel Emerit : « **les mémoires d'Ahmed Bey dernier Bey de Constantine**», RA n° 49, 1905.
33. Mouloud Gaid : **Mokrani, édition Andalousse**, Alger, 1993.
34. 1872
35. Pierre Boyer: «**la Conquête de l'Algérie**», in, Initiation à l'Algérie, Librairie
36. d'Amérique et d'Orient, Paris, 1957.
37. Temimi, A. Djallil: **le Beylik de Constantine et Hadj Ahmed Bey, (1830-1837)**, Tunis, 1978.

---

# متابعات

---



**قراءة في كتاب:**  
**مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر<sup>1</sup>**  
**الكاتب: ديفيد هارفي**  
**ترجمة: لبنى صبري**  
**بقلم: د. عبد الحليم مهورباشا**  
**جامعة محمد دباغين سطيف2**

تمهيد:

يقع الكتاب الذي بين أيدينا لمؤلفه: ديفيد هارفي، في حوالي: 240 صفحة، يتشكل من مقدمة وقسمان، ضم القسم الأول المعنون بالحق في المدينة؛ أربعة فصول، في حين، القسم الثاني معنون بمدن متمردة، ضم ثلاثة فصول. وتندرج إشكالية الكتاب ضمن الدراسات النقدية للسياسات التطوير العمراني الرأسمالي.

لا يخفي دافيد هارفي إعجابه بأطروحات الماركسيين المحدثين في مجال دراسات المدينة، فحاول من خلال هذا المؤلف؛ أن يطور مفهوم الحق في المدينة لصحابه عالم الاجتماع الفرنسي هنري لوفيفر، انطلاقاً من فرضيتين رئيسيتين: الأولى: الحضرة والتطوير العمراني الذي عرفته المدن الغربية من نهايات القرن التاسع عشر إلى يومنا ما هي إلا أدوات لامتصاص الفوائض المالية الرأسمالية، والثانية: تسهم الحضرة الرأسمالية في زيادة آليات الاستبعاد الاجتماعي والتدمير الهيكلي للمدينة، لذلك تتنامى الحركات الاجتماعية الحضرية المناهضة لهذه السياسات.

من هذا المنطلق، حاول هارفي أن يقنعنا عبر فصول هذا الكتاب؛ أن مفهوم الحق في المدينة الذي طرحه لوفيفر؛ يحتاج إلى تطوير معرفي، "إذا أعيد فكرة الحق في المدينة بشكل ما، كما حدث خلال العقد الماضي، فلن يكون ميراث لوفيفر الفكري، على الرغم من أهمية هذا الإرث، هو ما يتعين علينا العودة إليه بحثاً عن تفسير؛ فما كان يحدث في الشوارع بين الحركات

<sup>1</sup> - ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر ترجمة: لبنى صبري، الناشر: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017، عدد الصفحات: 240.

د. عبد الحلیم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

الاجتماعية أكثر أهمية بكثير"<sup>1</sup>، وكذلك ليس القصد تأسيس مفهوم الحق في المدينة بالاستناد إلى الإلهام الفكري، "بل ينبع أساسا من الشوارع، ومن الأحياء، كصرخة استنجد يطلقها المقموعون في أزمنة اليأس، كيف يمكن إذا للأكاديميين والمفكرين (سواء أكانوا عضوين أم تقليديين وفقا لصياغة جرامشي) الاستجابة لهذه الصرخة وهذا المطلب؟"<sup>2</sup>.

طرح لفيفر في الستينات من القرن الماضي مفهوم الحق في المدينة، "فالحق في المدينة لا يمكن أن ينظر إليه على أنه، حق بسيط في زيارة أو العودة إلى المدن التقليدية. بل لا يمكن إلا أن تصاغ على النحو الصحيح الحياة الحضرية [...] نظرية متكاملة للمدينة والمجتمع باستخدام موارد العلم والفن. الطبقة العاملة؛ يمكن أن تصبح الداعم الاجتماعي لهذا الإنجاز"<sup>3</sup>، ويرى هارفي في مؤلفه هذا؛ أن لوفيفر تجاوز الأطروحة الماركسية عن دور الطبقة العاملة في التغيير الاجتماعي، "فكان لوفيفر يشير ضمنا إلى أن الطبقة العاملة الثورية تتكون بالأساس من سكان الحضر، وليس فقط من عمال المصانع؛ وأشار في وقت لاحق إلى أنها تكوين طبقي مختلف تماما مشرذم ومقسم ومتعدد الأهداف والاحتياجات، وهو تشكيل متنقل وغير منظم وسائل أكثر منه صلب ومتجذر"<sup>4</sup>.

اندثرت البروليتاريا وحلت محلها البركارياء، وهي مشكلة من عمال بسطاء وغير نظاميين من سكان المدن، بسبب تحولات الاجتماعية والاقتصادية التي عرفتتها المجتمعات المعاصرة، وتمثل المشكلة السياسية بالنسبة لهارفي في: "كيف يمكن لمثل هذه المجموعات البائسة أن تنظم نفسها في ثورة؟ وجزء من المهمة هو فهم جذور وطبيعة صرخاتها ومطالبها"<sup>5</sup>، وبناء على هذا، لا يمكننا أن نصل إلى: "سياسات منطقية للمدن إلا عندما نفهم تماما أن أولئك الذين يبنون حياة

<sup>1</sup> - ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2017، ص 19.

<sup>2</sup> - المرجع السابق، ص 20.

<sup>3</sup> - Lefebvre Henri. Le droit à la ville. In: L'Homme et la société, N. 6, 1967. P35.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 21.

<sup>5</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 21.

د. عبد الحليم مهور باشة..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

الحضر وبيقون عليها لهم حق أساسي فيما أنتجوه، وأن من بين حقوقهم الراسخة حقهم في تشكيل المدينة على هوى قولهم"<sup>1</sup>.

### 1- الحق في المدينة:

يستهل هارفي هذا القسم من الكتاب، بتأكيديه على أننا نعيش في عصر انتقلت فيه حقوق الإنسان إلى الصدارة سياسياً وأخلاقياً،" لكن ترتبط غالبية المفاهيم التي يجري ترويجها بالفردانية، فضلاً عن ارتكازها على الملكية، وهي من ثم لا تتحدى أفكار السوق الليبرالية والنيوليبرالية المهيمنة أو الأنماط النيوليبرالية للشرعية وأداء الدولة"<sup>2</sup>. ويقصد هارفي بالليبرالية الجديدة: "نظرية في الممارسات السياسة والاقتصادية، تقول بأن الطريقة الأمثل لتحسين الوضع الإنساني تكمن في إطلاق الحريات والمهارات التجارية الإبداعية للفرد، ضمن إطار المؤسسات عام يتصف بحمايته الشديدة لحقوق الملكية الخاصة، وحرية التجارة، وحرية الأسواق الاقتصادية، ويقتصر دور الدولة في هذه النظرة على إيجاد وصون ذلك الإطار المؤسساتي الملائم لتلك الممارسات"<sup>3</sup>.

تأتي في صدارة هذه الحقوق؛ الحق في المدينة، التي يروج لها في عالمنا المعاصر على أنها حق فردي، بينما يرى هارفي أن: "الحق في المدينة أكثر من مجرد حق فرد أو مجموعة في الوصول إلى الموارد الموجودة في المدينة: أنه الحق في تغييرها وإعادة اختراعها تلاءم أهواء قلوبنا بدرجة أكبر: علاوة على ذلك، حق جمعي أكثر منه حق فردي، بما أن إعادة اختراع المدينة تعتمد حتماً على ممارسة القوة الجماعية من خلال عمليات التطوير الحضري العمراني"<sup>4</sup>.

### ما هي أفضل الطرائق للممارسة هذا الحق؟

ما هو السبيل إلى الحق في المدينة؟ "المطالبة بالحق في المدينة وفقاً لما أقصده يعني المطالبة بشكل ما من السلطة التشكيل على عمليات الحضنة، وعلى الطرق التي يتم بها صنع وإعادة

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص24.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص29.

<sup>3</sup>- هارفي، الليبرالية الجديدة، (موجز تاريخي)، ترجمة: مجاب الإمام، السعودية: دار العبيكان، 2008، ص13.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص30.



د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

صنع مدننا، وأن نقوم بذلك بشكل جوهري وجذري"<sup>1</sup>، يرى هارفي أن الرأسمالية تحتاج للحضنة لامتناس فوائض المالية الإنتاج التي تحققها على الدوام، وهذه الطريقة تظهر رابطة داخلية بين التطور الرأسمالي والتطوير العمراني، فتبحث السياسات الرأسمالية دائما عن مجالات مربحة لتوظيف الفوائض المالية، "قد أدرك هوسمان بوضوح أن مهتمة في مساعدة في حل مشكلة فوائض رأس المال والبطالة عن طريق الحضنة. واستوعبت عملية إعادة بناء باريس إعداد ضخمة من العمال، وكميات ضخمة من رأس المال.. إلى جانب القمع السلطوي لطموحات القوى العاملة الباريسية هي الأداة الرئيسية للاستقرار الاجتماعي"<sup>2</sup>.

لذلك، ظلت المشاريع العمرانية الأداة الرئيسية لإنقاذ الرأسمالية من تناقضاتها في الستينيات والسبعينات، فتأخذ اليوم عملية الحضنة والتطوير العمراني الطابع الكوني في ظل ظاهرة العولمة، "جلب هذا التوسع الكبير والأحدث في عملية الحضنة تحولات هائلة في أساليب الحياة: أصبحت جودة الحياة الحضر سلعة تباع للقادرين، وكذلك المدن نفسها، في عالم أصبحت فيه السلع والسياحة والثقافة والصناعات القائمة على المعرفة، فضلا عن النزوع الدائم للاقتصاد الاستعراضي، هي الجوانب الرئيسية للاقتصاد السياسي الحضري حتى في الهند والصين"<sup>3</sup>.

في المقابل، لاحظ هارفي تنامي الحركات الاجتماعية الحضرية، التي تحاول إعادة تشكيل المدينة وفق تصورات ورؤى فكرية جديدة، "إن امتصاص الفوائض عن طريق التحول الحضري يمتلك بعدا أكثر قتامة، فقد استلزم نوبات متكررة من إعادة الهيكلة الحضرية عبر التدمير الخلاق، وكان ذلك دائما تقريبا بعد طبقي بما أن الفقراء والمحتاجين والمهمشين من السلطة السياسية هم عادة من يعانون أولا وبدرجة أكبر من هذه العمليات"<sup>4</sup>. ليطرح هارفي السؤال: أين

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق ص31.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق ص34.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق ص43.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق ص45.

د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

ثورتنا الحضرية في زمننا الحالي؟ والسبيل إلى الحق في المدينة، يكون عن طريق مراقبة القنوات التي تمر عبرها الفوائض المالية التي تستخدم في عملية الحضرة.

## 2- الرأسمالية والتطوير العمراني للمدن:

### الجدور الحضرية للأزمة الرأسمالية.

يرى هارفي في هذا الفصل: أنه جرى استبعاد الاقتصاد الحضري من النقاشات الاقتصادية، لاعتقاد الكثير من المحللين أن دوره هامشيا في ظل النظام الاقتصادي الرأسمالي، بينما تكشف الدراسات أنه: "منذ منتصف الثمانينات القرن الماضي خلصت السياسة الحضرية النيوليبرالية، إلى أن إعادة توزيع الثروة على الأحياء والمدن والمناطق الأقل حظا غير مجدية، وأنه يتعين بدلا من ذلك توجيه الموارد إلى أقطاب نمو دينامية في قطاع الأعمال الحرة"<sup>1</sup>، وكذلك فشل المنظور الماركسي في استيعاب العلاقة بين التطوير العمراني والرأسمالية، "فبنية الفكر الماركسي في عمومها تتشابه بشكل مزعج مع بنية التفكير الاقتصادي البرجوازي، فينظر للعمرانيين باعتبارهم متخصصين، بينما يكمن الجوهر الحقيقي المهم للاقتصاد الكلي في النظرية الماركسية في مكان آخر"<sup>2</sup>.

ما يعاب على النظرية الماركسية أنها لم تدمج عمليات الحضرة ضمن حركة رأس المال، فماركس نفسه اهتم بفائض القيمة وقوانين رأس المال على حساب قضايا ومسائل جوهرية أخرى، فانتقد هرفي للائتمان عند ماركس، ويبيّن أن الأزمة الاقتصادية تفهم عبر نظام الائتمان، والاستهلاك وحالة المنافسة، والتراكم الرأسمالي عبر الحضرة.

### إنتاج القيمة والأزمة الحضرية.

ظل العديد من المنظرين في سوسيولوجيا المدينة، يربطون الأزمة الحضرية للمدن بعوامل ذاتية متعلقة بها، كسوء التخطيط الحضري، و الفشل في إدارة المشاريع العمرانية، بينما يرى هارفي أن الأزمة الحضرية لها علاقة ارتباطية بتناقضات النظام الرأسمالي، فأدت هذه الأزمة

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 61.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق ص 70.

د. عبد الحليم مهور باشة..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

إلى: "انهيار جودة الحياة في المدن، بسبب حبس الرهن العقاري، والاستمرار في الممارسات الوحشية في أرواق السكن في الحضر، وتقليص الخدمات، وقبل كل شيء غياب فرص عمل يعتد بها في أسواق العمل في الحضر، والأزمة حاليا هي أزمة حضرية كما كانت في أي وقت مضى"<sup>1</sup>، ومشاريع التطوير العمراني لم تكن يوما لصالح سكان المدينة، وإنما لامتصاص الفوائض المالية التي يحققها أرباب المؤسسات الاقتصادية.

يذهب هارفي إلى أن الاستهلاك الذي أهملته الماركسية في التحليل الاقتصادي، يعتبر الأداة المثلى التي وظفتها الرأسمالية في عمليات التطوير العمراني، "في الاقتصاديات الرأسمالية المتقدمة، تمثل قطاعا كبيرا من التراكم عن طريق الاستيلاء على ممتلكاتهم، ليسحب المال في دورة رأس المال الوهبي لدعم الثروات الضخمة التي تتشكل داخل النظام المالي"<sup>2</sup>، ولا نلاحظ هذه العلاقة الارتباطية بين رأس المال والحضنة، لأن الاستثمارات في الحضنة تحتاج وقتا طويلا لتؤتي ثمارها، "ووقتنا أطول لتنضج، لذلك يكون من الصعب عادة تحديد متى يتحول، أو يوشك أن يتحول، تراكم في رأس المال إلى تراكم مفرط في الاستثمارات في قطاع البناء"<sup>3</sup>. يرى هارفي إن إنتاج رأس المال يمر عبر عمليات الحضنة والتطوير العمراني، "لكن حضنة رأس المال تفترض قدرة قوى الطبقة الرأسمالية على ممارسة الهيمنة على عملية التطوير العمراني، ويتضمن ذلك هيمنة الطبقة الرأسمالية ليس فقط على أجهزة الدولة، بل هيمنتها أيضا على السكان، أساليب حياتهم وقوة عملهم، وثقافتهم، وقيمهم السياسية، إضافة إلى مفاهيمهم الذهنية عن العالم"<sup>4</sup>.

#### إنشاء الكمونات الحضرية.

يرى هارفي إمكان تحويل المدينة إلى كومونة جماعية، ففي تصوره المدينة: "هي المكان الذي يختلط فيه الناس من مختلف الأجناس والطبقات مهما كان ذلك على مضض أو ذا طابع

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص92.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص93.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق ص98.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص109.

د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

صراعي لخلق حياة تشاركية حتى، وان كانت دائمة التغيير ومؤقتة<sup>1</sup>، رغم أن المدينة تتعرض بشكل دوري إلى عملية التسييج لإخضاعها لمصالح الطبقة المهيمنة، "وتظهر الصفات الإنسانية للمدينة من ممارساتنا في الفضاءات المتنوعة في المدينة، حتى لو كانت هذه الفضاءات تخضع للتسييج، والسيطرة الاجتماعية، والتخصيص سواء لمصالح خاصة أو عامة/الدولة".<sup>2</sup>

وهناك اختلاف جلي بين الفضاء العمومي والفضاء المشاعي، "فعلى مدار تاريخ الحضرة، كان توفير الفضاءات العامة والسلع العامة (مثل الصرف الصحي، والرعاية الصحية، والتعليم وغيرها) سواء عن طريق وسائل عامة أو خاصة، مسألة مصيرية لتنمية الرأسمالية، وذلك لدرجة أن المدن باتت مواقع لصراعات طبقية عنيفة"<sup>3</sup>، ورغم كل الاكراهات الاجتماعية إلا أن المدينة يمكن إن تحولها إلى كومونة، لأن ساكنها هم من يخلقونها، "من خلال أنشطتهم وصراعاتهم اليومية العالم الاجتماعي للمدينة، ومن ثم يخلقون قاسما مشتركا يعيش في داخله الجميع".<sup>4</sup>

يثير مفهوم الكومونة أو المشاع اللبس لدى العديد من الباحثين، لكن هارفي يؤكد إن المشاع "ليس شيئا وجد ذات مرة، ثم فقد بعد ذلك، لكنه شيء ينتج باستمرار مثل المشاعات الحضرية. المشكلة أنه يتعرض باستمرار للتسييج والتخصيص من خلال رأس المال في شكله السلعي أو النقدي على الرغم من أنه ينتج باستمرار بقوة العمل الجماعي"<sup>5</sup>. غالبية الفساد المرتبط بسياسات التطوير العمراني الحضري يتعلق بكيفية تخصيص الاستثمارات العامة لإنتاج الكومونة الحضرية، فكم من مرة تدعم الدولة مشروعات تطوير عمراني باسم المصلحة العمومية، في حين، يكون المستفيدون هم من الطبقة البرجوازية.

تميل الحضرة الرأسمالية إلى تدمير المدينة ككومونة اجتماعية وسياسية قابلة للعيش المشتركة، "الحضرة هي إنتاج مستمر لكومونات حرة والاستيلاء الدائم عليها وتدميرها عن

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق ص 111.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق ص 118.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق ص 119.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق ص 120.

<sup>5</sup>- هارفي، مرجع سابق ص 125.

د. عبد الحلیم مهور باشة..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضرة

طریق المصالح الخاصة"<sup>1</sup>، لا يمكن احتواء هذا الضرر أو الحد منه إلا عن طریق تبني المبادئ الاشتراكية في عملية إنتاج وتوزيع الفائض، وإنشاء كمونة جديدة للثورة مفتوحة للجميع"<sup>2</sup>. يتمثل الحل من منظور لهارفي في تنظيم السكان لأنفسهم في كومونات، "ويصبح الاعتراف السياسي، بأن الكومونات يمكن أن تنتج، وتتم حمايتها واستخدامها لأغراض المنفعة الاجتماعية - إطار عاما لمقاومة السلطة الرأسمالية، وإعادة النظر في سياسات التحول المناهض للرأسمالية"<sup>3</sup>، ويتطلب ذلك هجوما سياسيا مزدوجا على محورين، "تجبر من خلاله الدولة على تقديم المزيد والمزيد من الخدمات العامة لأغراض العامة، إلى جانب التنظيم الذاتي للسكان جميعهم ليسيطروا ويستخدموا ويستكملوا تلك الخدمات العامة بشكل ينشر ويعزز خصائص الكومونات غير المسلعة لأعاد الإنتاج والحفاظ على البيئة"<sup>4</sup>.

تعتبر الثقافة أحد الأشكال التعبيرية الكومونية، فتحوّلت الثقافة مع الحضرة الرأسمالية إلى سلعة من نوع ما، هذا أمر لا يمكن إنكاره، لكن هناك اعتقاد على نطاق واسع بان شيئا خاصا جدا موجود في منتجات وأحداث ثقافية معنية (سواء كان في مجال الفنون، أو المسرح أو الموسيقى أو السينما، أو العمارة، أو على نطاق أوسع في أساليب الحياة المحلية، والموروثات والذاكرة الجميلة والمجتمعات المؤثرة، ليميزها عن غيرها من السلع مثل القمصان والأحذية"<sup>5</sup>، وأصبحت تسهم القيم الثقافة في عمليات الاحتكار الاقتصادي.

### رأس المال الرمزي الجمعي.

تسهم الحياة الاجتماعية للسكان في توليد رأس مال رمزي جماعي، "أسهم فيه الجميع، كل بأسلوبه المتميز، سواء في الوقت الحالي أو في الماضي. لماذا يترك العائد الاحتكاري المرتبط برأس المال الرمزي لتحصل عليه، فقط الشركات المتعددة الجنسيات أو قطاع صغير من البرجوازية المحلية"<sup>6</sup>،

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 128.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 136.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 136.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 137.

<sup>5</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 140.

<sup>6</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 159.

د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

وكذلك توظف الرساميل الرمزية في الهيمنة السياسية، "فالمنظومات الرمزية، بما هي أدوات تواصل ومعرفة تشكل بنيات تخضع العالم للبنىات، تؤدي وظيفتها السياسية من حيث هي أدوات لفرض السيادة وإعطائها صفة المشروعية التي تساهم في ضمان هيمنة طبقة على أخرى"<sup>1</sup>.

لذلك، يجب على القوى اليسارية والفاعلين الديمقراطيين في المدينة أن يواجهوا عملية التسليح الثقافي للرساميل الرمزية، "وهنا، يكمن أحد الفضاءات الرئيسية للأمل في بناء نوع بديل وسياسي حيوية مناهضة للتسليح: سياسة يكمن للقوى التقدمية للإنتاج والتغيير الثقافي أن تستخدمها لتمارس هي فعل مصادرة وتقويض القوى الرأسمالية بدلا من أن يحدث العكس"<sup>2</sup>، ويتقاطع هارفي مع رواد مدرسة فرانكفورت في نقدهم للتسليح الثقافي في ظل الرأسمالية، أين أصبحت صناعة الثقافة، "تفرض محتوياتها على البشر. أما الثقافة الشعبية، بمعنى عريض، فتعبر عن تجربة شعبي الحياة المعيشة، عن حبه، وكراهيته، وحزنه، وتمرده، ومقاومته، ولكن تتوسط صناعة الثقافة ذلك كله حتى يغدو شيئا آخر مختلفا: سلعة"<sup>3</sup>.

3- مدن متمرده:

في القسم الثاني من هذا الكتاب، يرى هارفي أن هناك تنامي الحركات الاجتماعية الحضرية في مختلف مدن العالم، قائلا: "نشير إلى الحركات المتشردمة المعارضة للعولمة النيولبرالية، كما ظهرت في سياتل وريباغ وملبورن، وبانكوك، ونييس، ثم بشكل بناء أكبر في المنتدى الاجتماعي العالمي في عام 2001، إلى مثل هذه السياسة البديلة، والسعي من أجل نوع معين من الاستقلالية الثقافية ودعم للإبداع والتنوع الثقافي يعد من عناصر التكوين القوية لهذه الحركات السياسية"<sup>4</sup>.

<sup>1</sup> - بياربوديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دارتوبقال للنشر، 2007، ص 50.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 166.

<sup>3</sup> - ألان هاو، النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: ثائر الذيب، مصر: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 107.

<sup>4</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 165.

د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

كما كان للحضنة أهمية في تراكم رأس المال، فإن هذه الحضنة تنتهي في كل مرة إلى ثورة حضرية، "إذا كانت قوى رأس المال وحلفاؤها العديدين يجب أن يجب أن يحشدوا بلا هوادة للقيام بثوير دوري للحياة الحضرية، فإن الصراعات الطبقيية من نوع ما ستوجد حتما"<sup>1</sup>، فيوقفنا الدرس التاريخي على العديد من هذه الثورات: من كمونة باريس 1878 إلى ثورة أيار 1968، ويظهر التاريخ أن المشاركة في الحركات الاحتجاجية الحضرية لم يقتصر على مدينة منفردة: امتدت روح الاحتجاج مثلا من تونس إلى العديد من المدن العربية.

تعتمد القوى الاجتماعية المهيمنة على التطوير العمراني إلى خلق فضاء عمراني بمواصفات هندسية معينة، حتى يسهل التحكم في الحركات الاحتجاجية التي تندلق بين الفنية والأخرى في المدن، "وتسعى القوى السياسية عادة لإعادة تنظيم البنية الأساسية في الحضر وحياة الحضر آخذة في الاعتبار قدرة على السلطة على الجماهير المتمرده"<sup>2</sup>، وتدرك تلك القوى الانتهازي؛ فعالية الاحتجاج السياسي في تعطيل الاقتصاد الحضري.

السؤال الواجب طرحه من منظور هارفي: ما طبيعة النضالات التي يجب خوضها ضد الرأسمالية؟ فاليسار فشل في فهم الحركات الاجتماعية الحضرية، "فعادة ما ينظر إلى الحركات الاجتماعية الحضرية، باعتبارها، بحكم التعريف، منفصلة عن، او ملحقه بالصراعات الطبقيية او المناهضة للرأسمالية، التي ترجع جذورها إلى استغلال واغتراب العمل الحي في العملية الإنتاجية"<sup>3</sup>.

وقعت الحركات اليسارية في خطأ فادح عندما أسقطت من حساباتها الحركات الاجتماعية الحضرية، "فإذا كانت الحركة يعتد بها لمناهضة الرأسمالية أن تظهر، فإنه يجب إعادة تقييم الاستراتيجيات السابقة والراهنة لمناهضة الرأسمالية؛ فليس المهم فقط هو أن تأخذ للوراء للتفكير فيما يجب وما يتعين عمله، ومن الذي سيقوم بذلك، وكيف يقوم بذلك"<sup>4</sup>، فظل

<sup>1</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 169.

<sup>2</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 171.

<sup>3</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 175.

<sup>4</sup>- هارفي، مرجع سابق، ص 184.

د. عبد الحليم مهور باشة..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

اليسار الجديد"مهموما بالنضال لتحرير نفسه من الأصفاد المزدوجة اليسارية القديمة، والسلطات القمعية لرأس المال الشركات الكبرى والمؤسسات المتبرقة(الدولة، الجامعات، النقابات..) ورأى نفسه من اللحظة الأولى قوة ثقافية مثلما هو قوة سياسية اقتصادية"<sup>1</sup>. تساهم الحركات الاجتماعية الحضرية في النضال ضد الرأسمالية، من خلال التركيز على ثلاثة قضايا محورية: الإفقار المادي المدقع الذي يعاني منه أغلب سكان العالم، المخاطر الواضحة أو الوشيكة للتدهور البيئي والتغيرات المناخية الخارجة عن نطاق السيطرة، إلغاء سلطة قانون القيمة الرأسمالية من أجل تنظيم السوق العالمية<sup>2</sup>، ونقل الحراك الاحتجاجي من فضاء المصنع إلى فضاء المدينة، "فالحضرنة في حد ذاتها منتجة يشارك الآلاف من العمال في إنتاجها، وعملهم منتج للقيمة ولفائض القيمة. لماذا لا نركز، من ثم على المدينة بدلا من المصنع باعتبارها الموقع الرئيسي لإنتاج فائض القيمة؟"<sup>3</sup> ونوسع من مفهوم البروليتاريا باعتبارها الأداة المركزية في كل حركة ثورية، "ليشمل منتجي الحضر غير المنظمين (من نوع الذين تم حشدهم في مسيرات الدفاع عن حقوق المهاجرين) واستكشاف قدراتهم وطاقاتهم الثورية المميزة"<sup>4</sup>، وهكذا، نقل النضال من ساحات المصانع إلى الساحات العمومية للمدن.

#### الحق في المدينة كمطلب سياسي على أساس تطبيقي.

إذا كان المشاركون في كومونة باريس قد سعوا لاستعادة المدينة، التي أسهموا في بنائها وإنتاجها، فلماذا لا يصبح الحق في المدينة شعارا رئيسيا للتعبئة النضال ضد الرأسمالية، "الحق في المدينة ليس حقا فرديا حصريا، بل هو حق جماعي مركز، وهو حق شامل وجماعي، ليس فقط لعمال البناء، بل لكل أولئك الذي يسهمون في إعادة إنتاج الحياة اليومية: مقدمي الرعاية، والمدرسين[...والعاملين في إدارة المدينة"<sup>5</sup>، لذلك، يعتقد هارفي أن الحق في المدينة:

<sup>1</sup> -هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص303.

<sup>2</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص187.

<sup>3</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص187.

<sup>4</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص188.

<sup>5</sup> -هارفي، مرجع سابق، ص197.



د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمرده، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

ليس حقا مفهوما تجريديا، قائلا: "يجب ألا يفسر الحق في المدينة باعتباره حقا فيما هو قائم بالفعل، بل كحق في إعادة بناء وإعادة خلق المدينة ككيان سياسي اشتراكي بصورة مختلفة تماما - صورة تقضي على الفقر وعدم المساواة الاجتماعية، صورة تشفي جراح التدهور البيئي الكارثي"<sup>1</sup>.

#### 4- الحركات الاجتماعية الحضرية:

في هذا الفصل، يرى الكاتب أن تصويب المفاهيم يفضي إلى ثورة حضرية، فيجب أن تستند الإضرابات العمالية على القوة الشعبية في مراكز المدن، وأن نوسع من مفهوم العمل، "الذي ظل مرتبطا بالأشكال الصناعية، إلى نطاق أوسع بكثير للعمل متعلق بإنتاج وإعادة إنتاج حياة يومية أكثر حضرية"<sup>2</sup>. وكذلك إعادة صياغة مفهومنا للطبقة الاجتماعية، وعلينا أن نوسع من مفهوم البرولتاريا ليضم كل سكان المدينة المستبعدين من الحياة الاقتصادية والاجتماعية.

فاعتبر هارفي أن مدينة -إل التو- بيوليفيا نموذجا للمدن التي ناضل سكانها ضد للرأسمالية، "فقد أوجد تنظيم العمالة غير الرسمية في اتحادات العمال التقليدية، وتشكيل اتحاد جمعيات الأحياء، وتسييس علاقات الريف والحضر، وخلق الهراريات المتشابكة والهياكل القيادية إلى جانب المجالس التي تعمل للتفكير في تحقيق المساواة، وتعبئة قوى الثقافة والذاكرة الجماعية، أوجد نماذج للتفكير في ما الذي يمكن عمله بشكل واع لاستعادة المدن من أجل النضال المناهض للرأسمالية"<sup>3</sup>.

في الختام، تعد الحركات الاحتجاجية التي عرفتها مدينة لندن سنة 2011، وحركة احتلوا وول ستريت في الولايات المتحدة الأمريكية من الشواهد الواقعية على تنامي الوعي بالنضال ضد السياسات الرأسمالية المتوحشة، "فالقوة الجماعية للأجساد المحتشدة في الفضاء العام ما زلت هي الأداة الأكثر فعالية للمعارضة عندما تعطل كل الوسائل الأخرى. ما أظهره ميدان التحرير

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 198.

<sup>2</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 199.

<sup>3</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 214.

د. عبد الحليم مهور باشة ..... قراءة في كتاب: مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر

للعالم كان حقيقة واضحة؛ أن الأجساد المتواجدة فعليا في الشوارع وفي الميادين، وليس الثثرة للتعبير عن المشاعر على مواقع توتير فيسبوك، هي التي تهتم<sup>1</sup>.

#### \* قائمة المصادر:

1- ديفيد هارفي، مدن متمردة، من الحق في المدينة إلى ثورة الحضر، بيروت: الشبكة العربية الأبحاث والنشر، 2017.

#### \* قائمة المراجع:

<sup>1</sup> - ألان هاو، النظرية النقدية، مدرسة فرانكفورت، ترجمة: نائل الزيب، مصر: المركز القومي للترجمة، 2010، ص 107.

<sup>2</sup> - بيار بوديو، الرمز والسلطة، ترجمة: عبد السلام بنعبد العالي، المغرب: دار توبقال للنشر، 2007، ص 50.

<sup>3</sup> - هارفي، حالة ما بعد الحداثة، بحث في أصول التغيير الثقافي، ترجمة: محمد شيا، بيروت: المنظمة العربية للترجمة، 2005، ص 303.

4- هارفي، الليبرالية الجديدة، (موجز تاريخي)، ترجمة: مجاب الإمام، السعودية: دار العبيكان، 2008، ص 13.

5- Lefebvre Henri. Le droit à la ville. In: L'Homme et la société, N. 6, 1967. P35.

<sup>1</sup> - هارفي، مرجع سابق، ص 226.

الترقيم الدولي المعياري للدورية

ISSN :2437-0592

مراسلات التحرير تكون على العنوان الإلكتروني:

[Rouadirassat@yahoo.fr](mailto:Rouadirassat@yahoo.fr)

أو على البريد العادي:

مدير مجلة روى للدراسات المعرفية والحضارية، مخبر المجتمع الجزائري  
المعاصر LSAC جامعة محمد لمين دباغين، سطيف2، الجزائر